ملف البيت المسلم

الوعي الإسلامي

اسلامية - شهرية جامعة

العدد ٣٩٤ - السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٨ م

أبناؤنا وآدابنا الاجتماعية

مادة الزراعة في القرآن .. ودلالاتها التربوية

إلى أي حد نكون علميين ؟



الصدق مع الله منجاة

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet



ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت - هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٤. السنة الخامسة والثلاثون
جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ. سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٨م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
BADER S. AL-QASSAR

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
عقاب يوسف
OQAB YOUSEF

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

المراسلات
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة ـ الكويت

كلمة العدد

الفهم الشمولي للإسلام

عزيزي القارئ

في ثنايا هذا العدد، تطالعك الكثير من الموضوعات والقضايا والدراسات والحوارات الإسلامية، التي تهم المسلمين في مسيرتهم المعاصرة، وتنير لهم طريق مستقبلهم المنشود، ولقد حازت القضايا الفكرية والفقهية والإعلامية والدراسات القرآنية على الحيز الأكبر من موضوعات هذا العدد، نظراً لما تمثله من أهمية في مواجهة التحديات التي تحاول جاهدة ودونما كلل أو ملل، صرف أمتنا عن نهجها، وتعريتها من مقومات وجودها، وحملها على تقبل أفكار غريبة ودخيلة لا تمت بصلة إلى هويتها الإسلامية الأصيلة.

إن فهم الإسلام بكل جوانبه فهماً صحيحاً وشمولياً بعيداً عن الأهواء والتعصب، وتشكيل عقلية إسلامية قادرة على الإحاطة بكل قضايا العصر، هو السبيل الوحيد لتحقيق الآمال والتطلعات المنشودة، فهل تستطيع هذه المعاني أن تجد طريقها إلى عقول أبنائنا وشبابنا، هذا ما نأمله، والله من وراء القصد.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

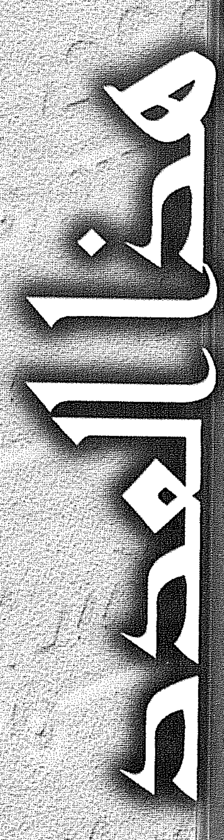
- داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير. للمؤسسات ١٠ دنانير.
- الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا ـ السعودية: ٤ ريالات ـ البحرين: ٣٠٠ فلس قطر: ٤ ريالات ـ الامارات: ٤ دراهم ـ سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة الأردن: ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع: جنيه مصري واحد ـ السودان: ٥ جنيهات موريتانيا: ١٢٠ أوقية ـ تونس: دينار واحد ـ الجزائر: ٥ دنانير اليمن: ٥ ريالات ـ لبنان: ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا: ٢٠ ليرة ـ المغرب: ٦ دراهم ليبيا: ٥٠٠ مليم ـ اوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله امريكا وبقية دول العالم الاخرى: دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع: شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت. برقيا نيوزبيبر



حوار



المدير التنفيذي لمؤسسة زمزم الخيرية دامير صدر الدينوف

نعمل وسط المجتمع الروسي بكل طوائفه لتقديم ما نستطيع من مساعدة لليتامى والمحتاجين والمشردين

19

قضايا دولية

حرب البحيرات العظمى

18

هل تقود الحرب الدائرة اليوم في الكونغو الديموقراطية المنطقة إلى هاوية سحيقة من الدمار؟ وما تأثير هذه الحرب وأبعادها على العالمين العربي والإسلامي؟

فكر

34

علم النفس من منظور إسلامي

هل علم النفس الذي يدرّس في الجامعات والمعاهد والكليات الإسلامية بقيمه وفلسفته الأجنبية يلتقي مع قيمنا الدينية وهويتنا الثقافية وميراثنا الحضاري.

قضايا فقهية

هل الشهادة واجبة ؟

22

ترى كيف يؤدي الناس شهاداتهم هذه الأيام؟ وكم من شهود الزور يدخلون المحاكم؟ ممن لا ضمائر ولا ذمة لهم! وكم عدد ضحاياهم الأبرياء؟ الشهادة أمانة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه

قضايا اجتماعية **اهتمام عالمي بالشيخوخة**

81

إن جلائل الأعمال لم تكن في يوم من الأيام وليدة القوى الجسمية أو الرشاقة البدنية، بل كانت وليدة المشورة والخبرة الطويلة والحكمة الرزينة وكل هذه مزايا لا تجيء إلا مع الشيخوخة.



في الأعداد المقبلة

- إطلالة تاريخية على مأساة قوصوه. — د. جمال الدين سيد محمد
- اللغة المعلم الوحيد في تحديد هوية الأدب. — د. رفيق حسن الحليمي
- زراعة القوقعة الإلكترونية — د. كمال الدين أحمد أبو المجد
- الأبناء والغذاء الآخر. — د. حسن أبو غدة
- حقائق علمية في الإعجاز القرآني. — د. قطب عامر فرغلي
- التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية — د. محمد السيد علي بلاسي
- أخلاقيات الإعلان في أجهزة الإعلام العربية والإسلامية — د. محيي الدين عبدالحليم

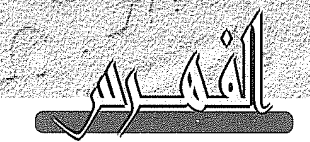




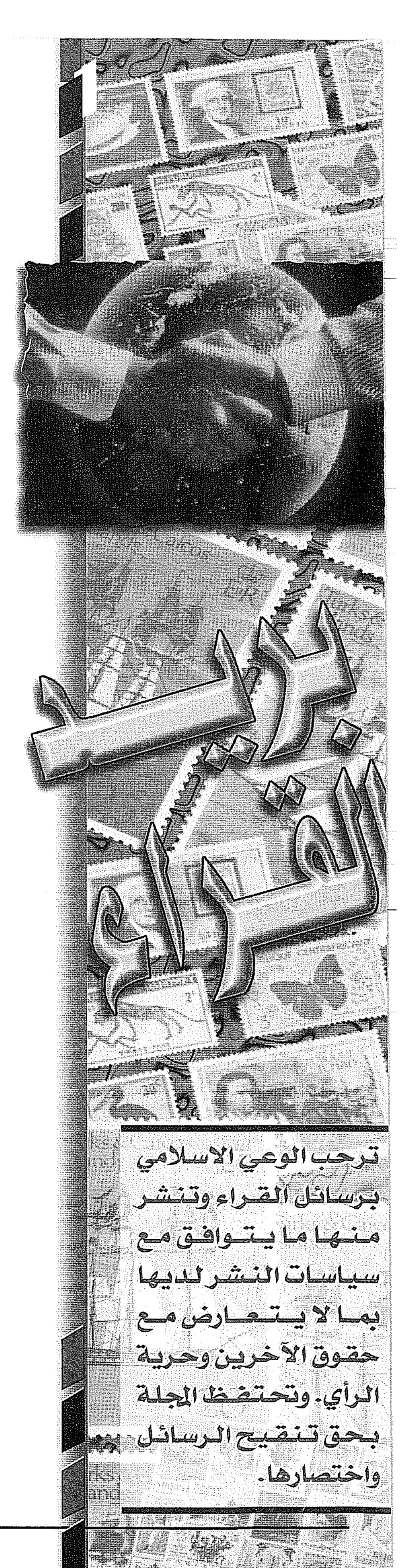
62

عقاب ابن رشد ومعركة العقاب

هل الأمة التي تعاقب مفكريها تبقى دون عقاب؟ إن معركة العقاب كانت بداية النهاية للأندلس الإسلامية، وقد حدثت فترة من الظلام الفكري وضيق الأفق والتعصب، وأسفرت عن أفدح الآثار التي يمكن تصورها...



الصفحة	الموضوع	الكاتب
٣	كلمة العدد/ الفهم الشمولي للإسلام	التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٩	الافتتاحية / الصدق مع الله منجاة	التحرير
١٠	وكيل الوزارة يشيد بجهود الهلال الأحمر الكويتي	التحرير
١٤	القراوي : نهدف لتبسيط إجراءاتنا	التحرير
١٥	الكويت تحتفل والعالم باليوم العالمي لمحو الأمية	د. عماد الدين عثمان
١٦	بيت الزكاة يصدر تقريره السنوي للعام ١٩٩٧م	التحرير
١٨	قضايا دولية / حرب البحيرات العظمى	محمد سالم الصوفي
١٩	حوار/ المدير التنفيذي لمؤسسة زمزم الخيرية في موسكو	تمام أحمد
٢٢	قضايا فقهية / هل الشهادة واجبة	د. ماجد أحمد المومني
٢٦	إعلام / الإذاعات الموجهة بعد نصف قرن على انطلاقها ماذا حققت؟	حسني عبدالحفاظ
٢٩	فكر/ إلى أي حد نكون علميين؟	د. عبداللطيف الخياط
٣٢	بين العلمانية والماسونية	سامي الجيتاوي
٣٤	علم النفس من منظور إسلامي	د. محمد الدسوقي
٣٩	دراسات/ الإدارة الإسلامية	مطلق القراوي
٤٠	دراسات قرآنية / التربية الأسرية العلمية من خلال سورة يوسف ٢/٢	محمد نور سويد
٤٤	مادة الزراعة في القرآن ودلالاتها التربوية	د. مصطفى رجب
٤٨	دعوة / المصحف الإمام في الآفاق	لقمان محمود
٥١	يهدي الناس للتي هي أقوم	علال البوزيدي
٥٤	تشريع / منزلة النوافل بين العبادات	عبدالرحمن العمراني
٥٨	دراسات أدبية / هل يبدع غير المسلم أدباً إسلامياً؟ ٤/٤	د. جابر قميحة
٦٢	تاريخ / عقاب ابن رشد ومعركة العقاب	د. خالص جلبي
٦٦	شعر / في رثاء الشيخ محمد متولي الشعراوي	محمد عبدالله قولي
٦٨	البيت المسلم / تحريرها من أنصاف الرجال!	محمد رشيد العويد
٧٠	أبناؤنا وآدابنا الاجتماعية	د. حسن أبو غدة
٧٢	متى تبدئين بتقديم الوجبات الصلبة لطفلك؟!	د. رضوان أحمد بيطار
٧٤	حكم الزواج إن استكتم الشهود	محمود النجيري
٧٦	الرجال لا يبكون	عابدة المؤيد العظم
٧٨	دور الأسرة في تنشئة الفرد وبناء المجتمع	محمد رجاء عبدالمتجلي
٨١	اهتمام عالمي بالشيخوخة	حواس محمود
٨٣	ثمرات الفكر	محمد هاني
٨٦	ترجمات / ماليزيا والخروج من الأزمة الاقتصادية	عبدالمنعم أحمد
٨٨	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٠	جديد الطب والعلوم	تمام أحمد
٩٢	نافذة على العالم	التحرير
٩٦	فتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ سهام الأسحار	محمود علي عبدالرحمن



أيها الأساتذة كفوا

لقد لاحظت في الفترة الأخيرة ملاحظة خطيرة، ينبغي عليّ كمسلم أن أشير إليها وأن أنبه إلى خطورتها - لاحظت - أن الباحثين في الشريعة الإسلامية المقارنين بالقوانين الوضعية وبخاصة قانون حقوق الإنسان يحاولون جاهدين أن يُوفقوا بين الشريعة الإسلامية ومبادئ ومواثيق حقوق الإنسان ولاحظت إسراعهم إلى دراسة الموضوعات التي يرون أن الشريعة تتفق فيها مع قانون حقوق الإنسان وهروبهم من الموضوعات التي يرون أن الشريعة تختلف فيها مع هذا القانون البشري.

وهذه ظاهرة خطيرة للغاية.

فكون هؤلاء الباحثين يسعون جهد سعيهم لتوضيح مواضع اتفاق الشريعة مع القانون وهروبهم من مواضع الخلاف فكأنهم يرون أن تلك التقنيات البشرية أفضل من الشريعة الإلهية، وكأنهم بهذا العمل يحاولون الوصول بالأدنى «الشريعة واستغفر الله» إلى الأعلى والأفضل وهو قانون الإنسان.

ولقد نسي هؤلاء أو تناسو أن أحكام الشريعة الإسلامية هي من عند الله تعالى الذي لا يضل ولا ينسى وهوالعليم بأحوال عباده وما يصلح دينهم ودنياهم، أما قانون حقوق الإنسان فهو من صنع البشر الذين يخطئون وينسون ويخضعون لحكم الهوى والشهوات.

فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسة والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من إعلانات ومواثيق حقوق الإنسان بالرغم من كونها تسعى إلى إقرار السلم والأمن والعدالة وغيرها من المثل العليا، وبالرغم من أن الذين صاغوها من كبار العلماء إلا أنها تحتمل الخطأ، بل فيها من الأخطاء والمتناقضات الكثير الكثير، هذا فضلاً عن عدم قدرتها على مُسايرة تغير الزمان والمكان، هذه المسايرة التي تعدُّ من أهم خصائص الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان.

فترى الواحد من هؤلاء العلماء يتجنب جاهداً أن يقول: إن الشريعة الإسلامية تخالف القانون في هذا الأمر أو ذاك وكأنه يرى أن في ذلك سبة للشريعة ويحاول أن يجد في الشريعة من الأدلة ما يوفق به بينها وبين القانون، مع أن الواجب عليه أن يقف ويعلن أن القانون هو الذي يخالف الشريعة وعليه أن يدرس هذه الموضوعات حتى يبين للناس مدى تفوق التشريع الإلهي على هذه التقنيات البشرية.

ولقد عايشت بنفسي تجربة إعداد رسالة للحصول على درجة الدكتوراة في الحقوق مقارنة بالشريعة الإسلامية، وعرضت موضوع الرسالة على عدد من أساتذة الشريعة والقانون في مصر: فكان كل أستاذ من هؤلاء الأساتذة ينظر في مواضيع الرسالة فيُسر من المواضيع التي يرى أن الشريعة توافق القانون فيها ويتمعض من المواضيع التي تخالف فيها الشريعة القانون، وكأنه يقول يجب علينا ألا ندرس موضوعاً تخالف فيه الشريعة القانون، أو كأنه يقول يجب علينا أن نخفي أي خلاف بين الشريعة والقانون وكأن ذلك الخلاف من وجهة نظره يعد سبة للشريعة.

فمن خلال دراستي لموضوع الجنسية كحق من حقوق الإنسان تناولته الإعلانات والمواثيق الدولية، ومحاولة تقنين قواعد الجنسية الإسلامية مستخلصة من الكتاب والسنة وغيرها من الأدلة الشرعية - من خلال هذه الدراسة - تبين لي مدى تفوق الشريعة الإسلامية على قانون حقوق الإنسان في هذا المجال، ومدى استيعاب ركن الشعب في الدولة الإسلامية لجميع طوائف البشر بغض النظر عن دياناتهم أو لغاتهم أو عناصرهم أو أجناسهم أو غيرها من الاختلافات بين بني البشر، ولقد كنت أتوقع التشجيع من الأساتذة ولكن حدث العكس، فالبعض رفض الإشراف على الرسالة، والبعض الآخر قال: «لا يصح لباحث لم يحصل إلا على درجة الماجستير أن يعارض إعلانات ومواثيق صاغها كبار العلماء والفقهاء».

فكان جوابي على هذا الكلام أن هذه المعارضة ليست من عندي ولكن بناء على ما جاء في الكتاب والسنة ولكن أين من يسمع هذا الكلام.

فيا علماء الإسلام كفوا :!

لقد وصلتم بتصرفاتكم هذه «بالقوانين البشرية» إلى حد التقديس فاحذروا وعودوا إلى شريعتكم.

أحمد محمد بكر موسى - مصر

جزاء عقوق الوالدين

يقول الإمام الحسن بن علي. رضي الله عنه. بينما أنا أطوف مع أبي حول البيت في ليلة ظلماء وقد رقدت العيون وهدأت الأصوات إذ سمع أبي هاتفاً بصوت حزين شجي يقول :

يا من يجيبُ دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت عينك يا قيوم لم تنم

هب لي بجودك فضل العفو عن جرمي
يا من إليه أشار الخلقُ في الحرم

إن كان عفوك لا يُدركه ذو سرف
فمن يجود على العاصين بالكرم

قال : فقال أبي: يا بني: أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقبل لربه ؟ الحق فلعلك تأتيني به.

فخرجت أسعى حول البيت أطلبه، فلم أجده حتى انتهيت إلى المقام، وإذا هو قائم يصلي،

فقلت : أجب ابن عم رسول الله ﷺ، فأوجز في صلاتك واتبعني، فأتيت أبي، فقلت :

هذا الرجل يا أبت !

فقال له أبي : ممن الرجل؟

قال: من العرب.

قال : وما اسمك ؟

قال : منازل بن لاحق.

قال : وما شأنك وما قصتك؟

قال : وما قصة من أسلمته ذنوبه وأبقته عيوبه فهو مرتطم في بحر الخطايا.

فقال له أبي على ذلك : أشرح لي خبرك.

قال: كنت شاباً على اللهو والطرب لا أفيق، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول : يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألحّ عليّ بالموعظة ألحّت عليه بالضرب، فلما كان يوماً من الأيام ألحّ عليّ بالموعظة فأوجعته ضرباً، فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو عليّ. فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول :

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا
عرض المهامة من قرب ومن بعد

إني أتيتك يا من لا يخيب من
يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمد

هذا منازل لا يرتدُ عن عققي
فخذ بحقي يا رحمان من ولدي

وشلُ منه بحول منك جانبه
يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالله ما أتم كلامه حتى نزل بي ما ترى ثم كشف عن شقه الأيمن، فإذا هو يابس قال: فأبيت ورجعت، ولم أزل أترضاه وأخضع له وأسأله العفو عني إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا عليَّ به.

قال : فحملته على ناقة وخرجت أقفو أثره حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من على شجرة فنفرت الناقة فرفق به بين أحجار فرضخت رأسه فمات، فدفنته هناك وأقبلت آيساً، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعبير أني لا أعرف إلا بالمأخوذ بعقوق والديه.

فقال له أبي : أبشر فقد أتاك الغوث، فصلي ركعتين ثم أمره فكشف عن شقه ودعا له مرات يرددهن فعاد صحيحاً كما كان.

وقال له أبي : لولا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك.

قال الحسن : وكان أبي يقول لنا، احذروا دعاء الوالدين، فإن في دعائهما النماء والاستئصال والبوار.

مصطفى إبراهيم مرسي مخيمر - مصر

ردود خاصة

● **القارئ سيد حامد عبدالحافظ ـ مصر :**

عنوان الداعية الإسلامي الدكتور عبدالكريم زاكير هو :

Dr. Zakir Naik Islamic Resarch Foundation
56/58 Tamdel Street (North) Dongri,
Bombay - 400009
India

● **القارئ حسين عمر موسى حسين ـ مصر :**

شكراً على عواطفكم الصادقة تجاه المجلة والقائمين عليها وبخصوص موضوع العمل فنحن في المجلة لسنا الجهة المختصة بهذا الأمر وبارك الله بكم.

● **القارئ أحمد خليفة ـ سورية ـ خير النظام بن أبي هاشم ـ ماليزيا، عبدالقادر محمد إبراهيم ـ مصر :**

أعانكم الله على تجاوز المحنة التي أنتم فيها ... يمكنكم مراسلة الجمعيات الخيرية المختصة وشكراً لكم.

● **القارئ محمد عبدالواحد حجازي ـ مصر :**

يمكننا التعريف بالكتاب فقط، أما إعادة نشره فهذا ليس من اختصاصنا، يمكنكم القيام بهذا العمل عن طريق دور النشر المعروفة.

● **القارئ د. عدنان بدر الدين سعيد ـ الرياض :**

يمكنكم إرسال شيك بقيمة الاشتراك السنوي ليصار إلى إرسال المجلة إليكم وجزاكم الله كل خير.

الحبة السوداء حبة البركة

طالعت في مجلتنا العزيزة «الوعي الإسلامي» في العدد ٣٩١ رداً لدكتور الباطنية عبدالله صالح، وما أثار انتباهي كلامه حول نقطة مفادها أن الحبة السوداء ليست هي بالخصوص «حبة البركة»، ولقد كنت طالعت كتاباً في هذا الشأن أثبت فيه خلاف هذا فأردت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع بصفتي أحد كتّاب المجلة، فإنني مرسل إليكم بعضاً من صفحات من هذا الكتاب الذي يؤكد فيها المؤلف أن الحبة السوداء هي حبة البركة.

وأشرت إلى مواضع التأكيد بالخط الأحمر تحت كل عبارة.

د. خالد سعد النجار

المنظمة الإسلامية لأميركا اللاتينية على الإنترنت

www: islamerica. org. ar

قامت المنظمة بوضع صفحة إلكترونية على موقع في الإنترنت يتميز بتعريف الإسلام والدعوة إليه باللغة الإسبانية.

وهو أول عمل عبر هذه الشبكة يصدر في أميركا الجنوبية لخدمة المسلمين الناطقين بهذه اللغة وغير المسلمين الذين يريدون معرفة الإسلام ومحاسنه، كما يشمل بعض المعلومات والصور ومواقيت الصلاة في عواصم دول أمريكا اللاتينية، وأن وسيلة الاتصال به عبر العنوان التالي: www: islamerica. org. ar.

نأمل في حال اطلاعكم على هذه الصفحة الكتابة إلينا وتزويدنا بآرائكم عن المواضيع والمادة المنشورة، ونشر هذا الخبر وعنوان الصفحة في مجلة الوعي الإسلامي الغراء، مع جزيل الشكر وخالص التقدير لتعاونكم وحسن اهتمامكم.

المهندس محمد يوسف هاجر

لكي نعود إلى جذورنا

منذ ما يقرب من خمسة عشر قرناً من الزمان، تنبأ الرسول - ﷺ - بما سيكون عليه حال أمته في أيامنا هذه، فقال ﷺ: «توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أوَ من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله، قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». وفي ظل عالم تقوده قوة عظمى واحدة تستقطب جميع الأطراف، ويدور الكل في فلكها فيما يسمى «بالنظام العالمي الجديد»، نجد أن أمتنا الإسلامية مفككة الأوصال، ممسوخة الهوية، لا شأن لها بين الأمم مع أن منهج الإسلام في بناء القوة وفي بناء الدولة يؤهل هذه الأمة لقيادة البشرية من جديد في ضوء القرآن والسنة، وهما الدستور الخالد للمسلمين.

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، ويقول تعالى: (وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين).

إن انتصار أي فئة مؤمنة تدخل حلبة الصراع الدولي القائم الآن وفي أي وقت لا يتم إلا بتعاون أفرادها والتزامهم بأوامر الله ورسوله والعودة إلى دين الله هي بداية الطريق، وإذا توافر القائد الكفء فإن عناصر القوة المتبقية من العتاد والسلاح ستكون أهميتها نسبية، فهي تطلب من المسلمين قدر استطاعتهم، يقول تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...).

هذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقف موقفاً حاسماً من المرتدين عقب وفاة النبي - ﷺ - وكلنا يردد مقولته الشهيرة: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله - ﷺ - لقاتلتهم عليه».

وفي موقف خالد بن الوليد يوم غزوة اليرموك درس كبير، فها هو يجمع الطوائف التي تقاتل تحت راية واحدة ويكتب الله النصر على يديه.

وللكلمة المجتمعة أثر كبير في توحيد الصف المسلم وتعزيز قوته، ومطلوب منا جميعاً كمسلمين أن نتفق في الأهداف والتوجهات.

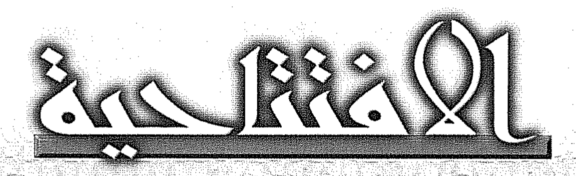
نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه... فلولا اجتماع الجنود حول أبي بكر، وخالد، وسعد، وصلاح الدين، لما وجد النصر، ويد الله مع الجماعة حيثما تكون، وهو سبحانه وتعالى يقول: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) نعود فنؤكد أن الله تعالى عودنا كمسلمين أن التمكين لن يكون إلا بمقدار قربنا منه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وتخيل أن التغيير - تغيير واقع المسلمين الآن، يبدأ كما كان من قبل بحركة أو إجراء أي فعل قد لا يتعدى حجم الذرة، ولكنه بداية «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره»، وينتهي بإقامة حدود الله الحلال والحرام إلى ما فوقها من اتقاء الشبهات. ويؤكد الفقهاء أن شؤم كل معصية يأتي وفق حجمها وأن الذي نعانيه اليوم ما هو إلا نتيجة كثرة المعاصي.

ويكفي أن الإثم يقع على المسلمين جميعاً بترك الجهاد في سبيل الله.

إن وجود العصاة في صف المسلمين سَبَبٌ لتخاذلهم وضعفهم، وغير المسلمين يصرون على تدمير المسلمين والفتك بهم، (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)، ورغم ذلك فإن خلاص الصف المسلم وعدم الاستعانة بأهل الكفر والضلال من مجرمي العصر الحديث، وقادة النظام العالمي الجديد سيكون مؤهلاً قوياً للنصر وساعتها سيشرق فجر الإسلام من جديد ليكون مدعاة لحرمة الإنسانية وتقدمها.

إن جماع الأمر كله يأتي في تضحية المسلم بما لديه من غال ونفيس في سبيل نصرة دينه وعقيدته، ولأن العالم يبني قوته واستراتيجيات تحركه من منطلقات عقيدته... فلماذا يهمل المسلمون عقيدتهم ولا تنبعث غيرتهم عليها في ظل هوان يلقونه الآن؟؟

محمد السيد عامر



الصدق مع الله منجاة

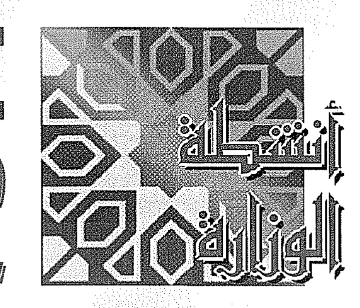
يحثنا إسلامنا الحنيف على وضع الأمور في مكانها، فذلك العدل والإنصاف، ولعل من أهم ما تدعو إليه ظروفنا الحاضرة، هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، واعتزال الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ذلك أن الملمات اليوم بلغت من الخطورة درجة كبيرة، جعلت المسلمين في العالم، في تشتت وضياع وتمزق هنا وهناك، لذا فإنه يلزم التوكيد أن اللجوء إلى الله سبحانه، والاحتماء بكنفه، والاعتصام بكتابه - جل وعلا - وسنة نبيه - ﷺ - يمثل حقيقة الصدق مع الله تبارك وتعالى، ولعل ما جاء عن جمع من العلماء في ذكرهم الإخلاص، يصوِّر ويرسم الأثر الحقيقي لتلك المسألة المهمة في الخلاص والنجاة والفوز والفلاح، وهذا المعنى ما جاء عن التابعي الفقيه سفيان بن عيينة - رحمه الله - إذ قال: «كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض هؤلاء الكلمات: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص «انظر مقدمة كتاب الإيمان لابن تيمية».

إن تأمل هذه الكلمات الرفيعة تجعلنا نعيش ما فيها من سمو إيماني وروحي من تبين لمعنى الإخلاص العميق في إصلاح النفس والسريرة، وأداء حقوق الله سبحانه، والعمل للآخرة الباقية الدائمة، كذلك فإن العيش في معاني هذه الكلمات، يجعلنا في ترفّع عن مطامح ومطامع الحياة الدنيا الهزيلة الفانية، ليس بمعنى عدم السعي لكسب الرزق والرفاه والثراء، ولكن بعدم التمسك بها والتشبث بحطامها الزائل، وهذا التصور يعد ضرورة ملحة في واقعنا المعاصر، نتيجة ما بلينا به من أحداث جسام، وملمات عظام، فيما يعيشه المسلمون اليوم في مختلف أصقاعهم وبقاعهم من مصائب وآلام وضعف وفرض الاستضعاف، وبالرغم من كونه واقعاً مؤلماً مشيناً، إلا أن الأمة الإسلامية، لا تعدم من إيجابيات هنا أو هناك، فهذه أعمال الخير المنتشرة، ولجان التكافل والتراحم، وبذل سبل العلم والعطاء، وإنشاء المشاريع التنموية وغيرها، وإن ذكرنا ما يخصنا في الكويت والخليج من مظاهر الخير بشكل خاص، فإننا لا نعدم ما يزخر به العالم العربي والإسلامي من معطيات علمية وفكرية وخيرية، تمتد إلى مختلف بقاع العالم، إلا أن السلبية الظاهرة، وسوء التصرف في المواقف التي لا تتناسب في التعامل مع القوى الغالبة، ومواجهة الأحداث الأكبر بالتهديد والكلام دونما إيجاد قوة رادعة، وحجة ظاهرة، مما يثير الحفيظة، ويوغر الصدور، هو الأمر الذي يجلب الشر والأذى بخلاف ما حثّت عليه الشريعة من الرفق والاعتدال وتقدير الأمور.

إن المخرج من أزمة العالم العربي والإسلامي اليوم، سواء أكنا أمماً أم أفراداً، هو صدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، ورجاء الفرج منه سبحانه، وذلك بمواجهة الأحداث بوعي وإدراك، والتسليم للقوي بقوته، وطلب الاستعانة من الله وحده، والتحلي بالصبر والحكمة، والجدية في العمل، وعدم الانشغال بالترهات، فقد كان شأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هو الصبر والعمل إلى أن يأتي فرج الله وأمره، ويلزم الرجوع إلى الله سبحانه، كثرة الدعاء فهو سلاح المؤمن، كالتعوذ به - سبحانه - من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وكثرة الاستغفار، وأن يرفع - سبحانه - مقته وغضبه، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا.

إن الفقيه الحكيم والرشيد هو من لايغالب الأحداث ويصادمها، وأنه يلزم المسلم وأمة المسلمين اليوم سبل الحكمة والرفق والحلم، وعدم الغوغائية، دونما دراسة وتأكد، وتفويض الأمر لله - سبحانه - فهو الهادي إلى سواء السبيل، ولابد من اليقين بأن العاقبة للمتقين.

الوعي الإسلامي



خلال تسلم الأوقاف مسجد أمغرة

وكيل الوزارة يشيد بجهود جمعية الهلال الأحمر الكويتي


● وكيل وزارة الأوقاف خالد عبدالله الزير

سلمت جمعية الهلال الأحمر الكويتي مسجد «أمغرة» إلى وزارة الأوقاف أمس بعد إنجازه. وأشاد وكيل وزارة الأوقاف خالد عبدالله الزير بجهود جمعية الهلال الأحمر الكويتي على إسهاماتها الإنسانية في داخل الكويت وخارجها مشيراً إلى أن الوزارة ستقوم بالإشراف على مسجد أمغرة. وأضاف أن هذا المسجد يوجد في منطقة مكتظة بالعمال وأنه تم افتتاح مسجد أمغرة للمصلين تسهيلاً لهؤلاء العمال من الانتقال إلى مناطق أخرى لإقامة شعائر الصلاة.

من جهة أخرى، ذكر المدير الإداري لجمعية الهلال الأحمر الكويتي نبيل حافظ أن المسجد يعد ثمرة التعاون بين الجمعية ووزارة الأوقاف التي قامت مشكورة بالإشراف على هذا المسجد فأرسلت الأئمة والمؤذنين لخدمة العمال في المنطقة السكنية «أمغرة» مبيناً أن المسجد يتسع لـ ٨٠٠ مصل. يذكر أن رئيس مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر الكويتي برجس حمود البرجس، قام بتسليم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المسجد في أمغرة، واستمع وكيل وزارة الأوقاف إلى شرح من نائب رئيس مجلس إدارة الجمعية يوسف الغانم عن الهدف من إنشاء المسجد في هذه المنطقة، وعن التكلفة المادية للمسجد التي قامت الجمعية بالتبرع بها.

وحضر حفل الافتتاح مدير إدارة الإسناد في قطاع المساجد بوزارة الأوقاف وليد الشعيب والمدير الإداري لجمعية الهلال نبيل حافظ.

وزير خارجية غامبيا وسونيا غاندي يشيدان بالمسجد الكبير ودوره في حياة الأمة

● وزير خارجية غامبيا يستلم شهادة الشكر على الزيارة

استقبلت إدارة المسجد الكبير وزير خارجية جمهورية غامبيا د. محمد الأمين سادات جوب والوفد المرافق له والسفير جاسم محمد الصباغ، وقد نظم للوفد برنامجاً خاصاً بعد أدائه صلاة الظهر في المصلى اليومي، حيث اشتمل البرنامج على مشاهدات لمعالم وأجزاء المسجد الكبير، وقدم عرض بقاعة المحاضرات عن برامج وأنشطة المسجد الكبير والتي تهدف إلى إعطاء صورة حقيقية للمسجد ودوره في حياة الأمة، كما تم عرض صفحات المسجد الكبير في شبكة الإنترنت.

وفي نهاية الزيارة أثنى وزير الخارجية الغامبي على النشاط العام للمسجد، وذكر أن المسجد في الإسلام لم يكن يوماً من الأيام فقط للصلاة، بل كان مدرسة وجامعة، ومركزاً للعلم والتعليم بأمور الحياة عموماً، وبعد ذلك، تم إهداء الوزير والوفد المرافق له مطبوعات وإصدارات المسجد الكبير وشهادة «شكر على الزيارة» والتي تهدى لزوار وضيوف المسجد الكبير.

كما استقبلت إدارة المسجد الكبير سونيا غاندي زوجة رئيس وزراء الهند السابق، وزعيمة حزب المؤتمر الهندي، برفقة وفد كبير المستوى، وقد نظم للضيفة برنامج شامل، احتوى على عرض - بقاعة المحاضرات - لفكرة بناء المسجد الكبير ومعالمه الرئيسية ودور المسجد في خدمة الإسلام، ومعلومات عن فن الحضارة والعمارة الإسلامية، كما تم عرض وشرح لصفحات المسجد الكبير في الإنترنت.

وقد قامت الضيفة بجولة في رحاب المسجد، حيث اطلعت على الأجزاء الرئيسية للمسجد الكبير، مثل المحراب والمنبر وبيت الصلاة والقاعة الأميرية في المسجد.

وفي نهاية الزيارة سطرت سونيا غاندي كلمة أثنت فيها على هذا الصرح الإسلامي، كما قامت الإدارة بإهدائها شهادة «شكر على الزيارة» وبعض مطبوعات المسجد الكبير بلغات مختلفة.

وفد وزارة الأوقاف يعود من الأراضي المقدسة

العامر: أداء مناسك العمرة هي المكافأة الحقيقية للطلبة المتميزين بالحلقات

عاد وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المنبثق من إدارة الدراسات الإسلامية «مراقبة حلقات القرآن الكريم»، من الأراضي المقدسة وذلك بعد الانتهاء من مناسك العمرة، وقد تمثلت هذه الرحلة بترشيح الطلبة المتميزين بحلقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى المحافظات الخمس وفق الشروط التي وضعت، وهي حفظ ١٠ أجزاء أو أكثر، وأن يكون مقيداً بحلقات وزارة الأوقاف، علاوة على التحلي بالأخلاق الرفيعة وجدير بالذكر أن رحلة العمرة تقام سنوياً على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك تكريماً وتشجيعاً للطلبة، ورفع مستواهم من الناحية الإيمانية والخلقية والثقافية.

وبهذا الصدد حدثنا رئيس وفد وزارة الأوقاف «لرحلة العمرة» عبدالرحمن أحمد العامر، عن خط سير الوفد، وقال إنه غادر بتاريخ ١٩٩٨/٨/٢٣م، متوجهاً إلى المدينة المنورة، حيث مكث فيها أربعة أيام وقد تخللت فيها زيارات إلى معالم المدينة التالية :

١ - مسجد الرسول ﷺ.
٢ - مسجد قباء.
٣ - نادي الأنصار الرياضي.
٤ - مطبعة الملك فهد للمصحف الشريف.

وبعدها اتجه الوفد إلى مكة المكرمة، حيث مكث فيها ٥ أيام وتم من خلال الزيارة التعرف على معالم مكة، ومنها :

زيارة مصنع الكسوة «للكعبة المشرّفة» علاوة على التنزه في مدينة الطائف، ثم الاتجاه إلى مدينة جدة والمكوث فيها يوماً واحداً.

ومن جانب آخر، تطرق رئيس الوفد عبدالرحمن العامر - إلى الحديث عن عدد الطلبة المشاركين بالرحلة، فقال إن : عددهم بلغ ٣١ طالباً و ٧ مشرفين إداريين وفنيين، وأوضح أن الأهداف التي وضعت لإقامة هذه الرحلة تتركز على الجانب الايماني والثقافي والتربوي والاجتماعي - أما الجانب الإيماني فهو أداء مناسك العمرة ومن ثم التعبد في الحرم وإعداد مسابقة حفظ سورتي «الكهف والإسراء»، وتلاوة القرآن الكريم وإحياء دور الحلقات والاعتكاف بعد صلاة الفجر والمغرب يومياً، ولا شك أن هذا المكان الطاهر يربي على التحلي بالإيمان والأخلاق الحميدة واحتساب الأجر والتفكر بالأرض التي وطأها الرسول - ﷺ - وصحبه الكرام.

أما الجانب الثقافي، فيتركز على الاستفادة من الدروس التي تقام عادة في الحرم، وإعداد المسابقات الثقافية في الأحاديث الشريفة والأدعية وبعض المسامرات الترفيهية الهادفة وبعض الزيارات الميدانية لمختلف المعالم. وأيضاً حرصنا على أن تكون هناك علاقة أخوية وودية بين الطلبة وأعضاء الوفد المرافق من خلال إقامة حفل للتعارف والمشاركة مع برامج الطلبة في جميع مراحلها.

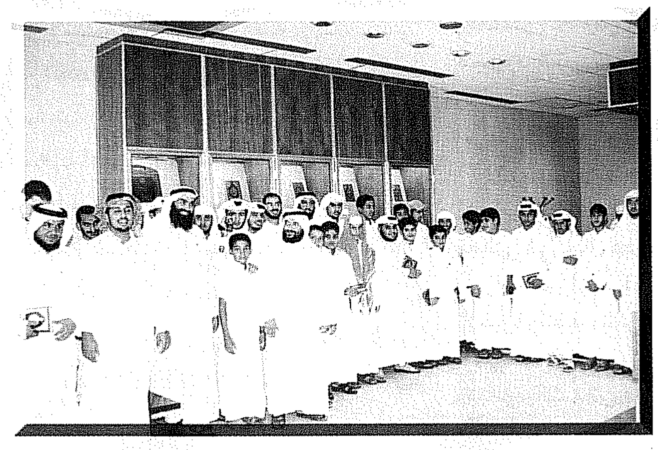
هذا، وقد شكر رئيس الوفد جميع الجهات التي أسهمت في إنجاح هذه الرحلة، وأثنى على الوفد المرافق على حسن التجهيز والإعداد المتكامل.



● وفد الحلقات قبل أداء مناسك العمرة في مكة



● الوفد في مصنع الكسوة



● الوفد في مطبعة الملك فهد للمصحف الشريف

الصندوق الوقفي لرعاية المساجد والعناية ببيوت الله تعالى

مسجد فاطمة بعد الترميم

المسجد هو الملتقى الجامع لأفراد المجتمع كافة، على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وأفكارهم، وذلك في رحاب الإخاء والتآلف، وهو قلب المجتمع الإسلامي وروحه وضميره المجسّد، ومركز توجيهه، ومدرسته وملتقى أفراده، وعين مائه التي لا ينضب معينها فضلاً عن أنه ساحة للعبادة والطاعة والطمأنينة والخشوع التي يلجأ إليها المسلم فتهدأ نفسه ويسكن فؤاده ومن هنا فإن المسجد كان ولا يزال ملاذاً للمسلمين، وكهفهم الآمن الذي يأوون إليه أجمعين طائعين، وعاصين ليجدوا في رحابه الراحة لنفوسهم.

وتنفق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت جُلّ ميزانيتها على صيانة المساجد ورعايتها وتوفير المستلزمات اللازمة لها، حيث تعهد إلى شركات النظافة العامة بتولي نظافة بيوت الله تعالى وتجميلها حتى تظهر بالمظهر الجمالي الذي يليق بها، وذلك تحت إشراف ورقابة قطاع المساجد، وحيث إن عدد المساجد الموجودة في دولة الكويت ٨٥٧ مسجداً موزعة على كل المناطق، فإن توفير المبالغ المالية اللازمة لصيانة وتجديد تلك المساجد لا يمكن توفيرها عن طريق الميزانية العامة للدولة بالكامل، ومن هنا فإن الأمانة العامة للأوقاف وهي المسؤولة عن إدارة أموال الوقف قد أنشأت الصندوق الوقفي لرعاية المساجد وذلك لتعزيز الاهتمام بالدور الرائد للمسجد في حياة المسلمين، وتقديم الدعم المالي بهدف تشجيع الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي تمارس من خلاله، وتوفر وتقدم مختلف أوجه الرعاية المناسبة للمسجد والعاملين به، ومن أهم أهداف الصندوق دعم الجهود التي تستهدف إنشاء المصليات وتطوير مرافقها، ومنذ إنشاء الصندوق الوقفي لرعاية المساجد بالقرار الوزاري رقم ١٩٩٥/٢١م، وهو يقوم بدوره في توفير الاعتمادات المالية اللازمة لصيانة بيوت الله تعالى في حال عدم كفاية المبالغ المعتمدة بميزانية الوزارة، وقد قام الصندوق في الفترة الأخيرة بتنفيذ مشروع صيانة وتجديد مسجد الشيخة فاطمة في ضاحية عبدالله السالم، ومسجد الشملان في منطقة المرقاب، ومسجد النويصيب على الحدود الكويتية وقد بلغت جملة المبالغ التي تم صرفها ٢٦٠,٣٧٥ د.ك.

وفيما يلي بيان بأعمال التجديد والصيانة التي نفذت على النحو التالي:

- مشروع تجديد وصيانة مسجد الشيخة فاطمة، حيث تم استبدال وحدات التكييف القديمة للحرم والحوش لضعف مستوى أدائها وتركيب وحدات جديدة ومعالجة الأخطاء التصميمية الموجودة مع عزل وسد فتحات مجاري الهواء الموجودة في الأرض وبذلك قد تم معالجة ضعف التكييف بالمسجد، كما تم زيادة عدد دورات المياه في المسجد، حيث إن العدد الموجود لا يفي بالغرض خصوصاً يوم الجمعة، كما تم استبدال لوحات الكهرباء الرئيسية وذلك للقضاء على مشكلة الكهرباء، وقد بلغت التكلفة النهائية لعمليات الصيانة مبلغ ١٢٧٧٥ د.ك.

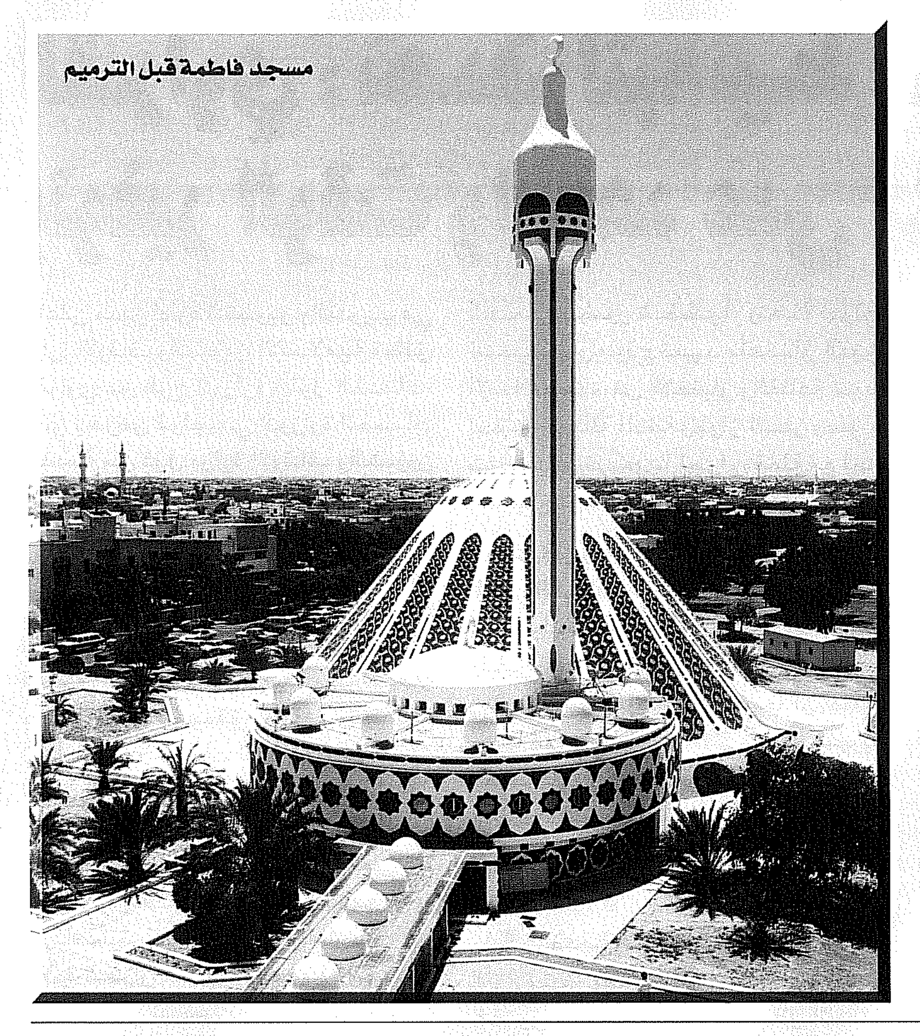
كما قام الصندوق أيضاً بتنفيذ مشروع تجديد وصيانة مسجد الشملان في منطقة المرقاب في العاصمة، حيث تم استبدال وحدات التكييف القديمة.. وعمل عازل حراري لمداخل ومخارج الهواء، وبذلك انتهت مشكلة ضعف التكييف بالمسجد، كما تم تنفيذ نظام كامل للصوت داخل الحرم والحوش، وعمل تحديث لأساليب الإنارة الداخلية والخارجية لترشيد استخدام الطاقة بالمسجد، كذلك تمت زيادة عدد دورات المياه في المسجد، وتغطية الحوش مع إعادة صباغة المسجد ومعالجة الشروخ الموجودة فيه، وقد بلغت التكلفة النهائية مبلغ ٨٠,٠٠٠ د.ك.

وقام الصندوق أيضاً بتنفيذ مشروع صيانة وتجديد مسجد النويصيب في منطقة الحدود، حيث تم عمل توسعة شاملة للمسجد،

واستبدال وحدات التكييف القديمة، وإنشاء مصلى للنساء مع إعادة صباغة المسجد، وقد بلغت التكلفة النهائية مبلغ ٥٣,٠٠٠ د.ك فقط. واستكمالاً لدور الصندوق الوقفي لرعاية المساجد في دعم المشاريع التي تخدم بيوت الله تعالى، فقد تم اعتماد مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ د.ك لتنفيذ الصيانة لعدد ٢١ مسجداً موزعة على مناطق الكويت.

ومن الأنشطة الأخرى التي يقوم بها الصندوق:

سداد رواتب الأئمة والمؤذنين المعينين على بند الإيرادات، حيث بلغت جملة المبالغ التي تم صرفها حتى تاريخه ما يقرب من مليون ونصف المليون دينار كويتي. وطباعة المصحف الشريف، حيث قام الصندوق بطباعة ١٠٠ ألف نسخة من المصحف الشريف، وتوزيعها على المساجد بتكلفة إجمالية ١٥٠ ألف دينار كويتي. وإنشاء ٢٦ مكتبة ملحقة بالمساجد مجهزة بأهم المراجع الإسلامية، وأجهزة الحاسب الآلي بتكلفة إجمالية ١٠٠ دينار كويتي. وإصدار سلسلة رسائل المسجد، حيث صدر حتى الآن ١١ إصداراً، تعالج المشاكل التي تهم المسلمين. وفرش عدد ٢٠٠ مسجد موزعة على مناطق دولة الكويت، حيث تم فرش المساجد بفرش جديدة بتكلفة إجمالية قدرها مئتا ألف دينار كويتي.

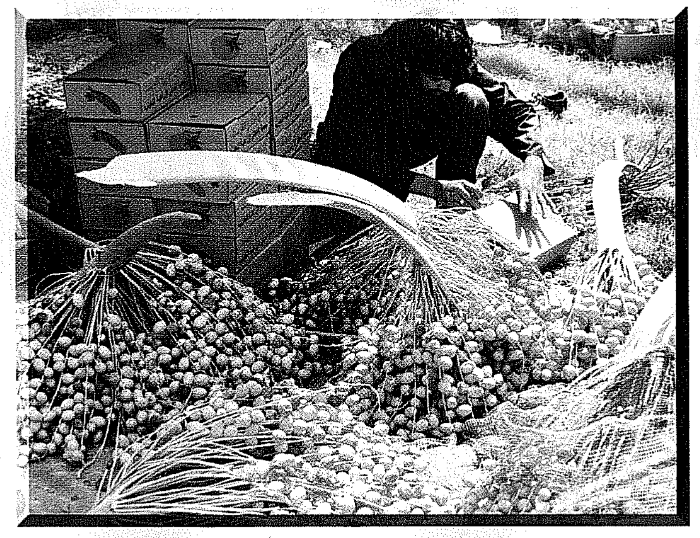

مسجد فاطمة قبل الترميم

توزيع ثمار نخيل المسجد الكبير على الفقراء بالتعاون مع بيت الزكاة

سلمت إدارة المسجد الكبير كميات كبيرة من ثمار النخيل في حدائق المسجد الكبير لبيت الزكاة لتوزيعها على الأسر الفقيرة والمحتاجة.

صرح بذلك أحمد العنجري مراقب الخدمات في المسجد، وأضاف أن المسجد الكبير وللمرة الخامسة، يقوم وبنجاح بتوزيع هذه الكميات حرصاً من إدارة المسجد على تفعيل هذا العمل الإسلامي والذي يهدف إلى إبراز الدور الاجتماعي للمسجد، وضرورة المشاركة في خدمة شرائح المجتمع المختلفة.

وبين العنجري أن النشاط الزراعي في المسجد الكبير يلاقي عناية خاصة من إدارة المسجد، حيث تبلغ مساحة حدائق المسجد ١٥ ألف متر مربع وتحتوي على عدد ١٦٠ نخلة من النوع الممتاز بالإضافة إلى الأشجار والنباتات الأخرى.


● توزيع ثمار نخيل المسجد الكبير للفقراء.

القراوي: نهدف لتبسيط إجراءاتنا وتوفير الوقت والجهد على المراجعين

أعلن مدير إدارة التطوير والتدريب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطلق القراوي عن طرح الوزارة «دليل الخدمات» الذي يعرض لمراجعي الوزارة الخدمات المقدمة من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والشروط والمستندات والرسوم المطلوبة للاستفادة من تلك الخدمات، وأكد القراوي حرص وزارة الأوقاف على تطوير وتبسيط إجراءاتها وسعيها إلى دعم التواصل والود مع المراجعين، مشيراً إلى أن الدليل الجديد سيوفر وقت المراجعين وجهدهم، كما سيحقق رضاهم وتفاعلهم الإيجابي مع خدمات الوزارة، وأضاف أن الدليل الجديد يحتوي على التعريف بثماني خدمات تقدمها الوزارة، وكيفية الاستفادة منها، موضحاً أن الخدمة الأولى تتعلق في دور القرآن الكريم، والتي أنشأتها وزارة الأوقاف ليتمكن الدارسون والدارسات من تلاوة القرآن الكريم وتجويده وحفظه بالإضافة إلى تدريس بعض العلوم الشرعية كالفقه والحديث والتفسير والعقيدة والسيرة والتاريخ واللغة العربية لمدة أربع سنوات ويحق لخريجي الدور بعدها مواصلة دراستهم من خلال التسجيل في معهد الدراسات الإسلامية والذي يضم شعبة الدعوة وشعبة القرآن الكريم.

وأوضح أن شروط تقديم هذه الخدمة هي أن لا يقل سن الدارس أو الدارسة عن ثماني عشرة سنة وأن لا يقل المستوى الدراسي عن الرابع المتوسط وأن يجيد المتقدم اللغة العربية كتابة وقراءة، مضيفاً أن الوثائق المطلوبة للتسجيل هي: البطاقة المدنية وصورة آخر مؤهل دراسي، ، وصورتان شخصيتان وقال إن الخدمة الثانية هي «إشهار الإسلام»، وذك من خلال قسم يستقبل من يرغب في دخول الإسلام ومن يود تقرير إسلامه، وعمل الإجراءات اللازمة لهذه الخدمة، مبيناً أن من شروط تقديم هذه الخدمة الحضور شخصياً، وتعبئة نموذج استبيان، ونموذج تعهد باعتناق الدين الإسلامي بمحض الاختيار والقناعة شرط إحضار البطاقة المدنية وجواز السفر وصورة شخصية ويتم بعدها إجراء مقابلة مع أحد المشايخ ومن ثم النطق بالشهادتين.

وذكر القراوي: أن خدمة الاشتراك في مجلة الوعي الإسلامي تتطلب أن يكون للمشترك عنواناً واضحاً وأن يوقع الاشتراكات اللازمة والمقدرة بخمسة دنانير للأفراد داخل الكويت وعشرة دنانير للمؤسسات موضحاً أن اهتمام مجلة الوعي الإسلامي التي تصدر شهرياً ينصب على فروع المعرفة الإسلامية كافة إلى جانب الاهتمام بالناشئة من خلال مجلة «براعم الإيمان» والتي تصدرها كملحق لمجلة الوعي الإسلامي.

وعن خدمة الفتوى، ذكر القراوي أن الوزارة تقدم ثلاثة أنواع من الفتاوى، الأولى الفتوى الهاتفية وذلك من خلال اتصال المستفتين الراغبين في الاستفسار عن قضايا مستعجلة ما عدا الطلاق الذي تم إحالة المستفتين عنه إلى لجنة الفتوى.

وأضاف أن النوع الثاني من اختصاص لجنة الأحوال الشخصية، والتي تستقبل الاستفتاءات المتعلقة بالطلاق والميراث والرضاعة ... إلخ وأما النوع الثالث، فهو لجنة الأمور العامة التي تستقبل جميع الاستفتاءات ما عدا تلك المتعلقة بالأحوال الشخصية، مبيناً أن من شروط تقديم خدمة الفتوى هي وضوح السؤال واسم صحاب السؤال والعنوان وتقديم رقم الهاتف وصورة البطاقة المدنية، وحضور الزوج والزوجة في قضايا الطلاق.

وقال إن حلقات تحفيظ القرآن هي إحدى الخدمات التي تقدمها الوزارة وتهدف منها إلى تشجيع الناشئة على حفظ كتاب الله وبث روح المنافسة وعلى العناية به وتخريج الحفظة القادرين على الإمامة والخطابة والتدريس وتوفير مناخ إيماني تربوي للطلبة المنتمين للحلقات مشيراً إلى أن شرط تقديم الخدمة الوحيد هو: أن لا يقل سن المشارك عن ست سنوات، وأضاف أن الخدمة السادسة التي يقدمها الدليل، هي «خدمة الاستعارة الخارجية»، والتي تعتبر من الخدمات التقليدية التي تقدمها المكتبات التابعة لإدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية في وزارة الأوقاف لجميع الفئات من دون استثناء، بشرط توفير الكتاب المراد استعارته، وألا يكون هذا الكتاب مرجعاً أو نسخة أخيرة وألا تزيد الكتب المعارة للشخص نفسه عن ثلاثة كتب في المرة الواحدة، وأن يلتزم المستعير بفترة الاستعارة وهي أسبوع واحد كحد أقصى لرد الكتاب، موضحاً أن على الراغب في الاستفادة من هذه الخدمة مراجعة إدارة المخطوطات في الوزارة، أو مكتبة الروضة العامة، أو مكتبة المسجد الكبير وتقديم البطاقة المدنية الأصلية.

وأضاف أن الخدمة السابعة هي خدمة «رخصة تسيير حملة حج» والمشروطة بأن يكون المتقدم كويتي الجنسية ولا يقل عمره عن ٣٥ سنة، وأن يكون حسن السيرة والسلوك وأن يتقدم بشهادة بنكية بمبلغ ٣٠ ألف دينار وأن يحضر صاحب الطلب شخصياً لإجراء المقابلة الشخصية، وعن آخر الخدمات المقدمة في الدليل، ذكر القراوي أنها تختص في زيارة المسجد الكبير والذي يستقبل الجمهور عن طريق المؤسسات المختلفة للاطلاع على معالمه وفنون العمارة الإسلامية التي يحتويها ودور المسجد في تنمية الحضارة الإسلامية مبيناً أن شروط تقديم الخدمة هي: الحجز المسبق من خلال كتاب رسمي والتنسيق مع إدارة المسجد والمحافظة على آداب وقدسية المسجد. ■

الكويت تحتفل والعالم باليوم العالمي لمحو الأمية

د. عماد الدين عثمان

حث الإسلام جميع المسلمين على طلب العلم، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة، كما أشارت أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى فضل طلب العلم، يقول الله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) آل عمران: ١٨، وقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة: ١١، ولم يسو بين العالم والجاهل فقال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر:٩.

كذلك حضَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على طلب العلم، وفي ذلك قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم، وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال: «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة».

ومن وصية لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وصى بها صديقه كميل بن زياد: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وضيع المال يزول بزواله، يا كميل بن زياد: معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل: هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .. ويقول الإمام الشافعي رحمه الله :

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

ومن ذلك نرى مدى حرص الإسلام على أن يكون المسلم متعلماً رافضاً للأمية بكل صورها وأشكالها.

وتعتبر تجربة دولة الكويت في مجال محو الأمية تجربة رائدة يحتذى بها على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي، وقد جاء في كلمة للدكتور عبدالعزيز الغانم - وزير التربية وزير التعليم العالي - لمناسبة احتفال دولة الكويت باليوم العالمي لمحو الأمية: إن الكويت تشارك دول العالم في الاحتفال باليوم العالمي الثالث والثلاثين لمحو الأمية، كما أن الكويت تفتخر بما حققته من إنجازات في سبيل القضاء على الأمية، ما جعلها في مصاف الرائدين على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي.

وأوضح الدكتور الغانم في حديثه أن تجربة دولة الكويت في مجال محو الأمية يحتذى بها على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي، وقد أتت ثمرة للتعاون بين المسؤولين والعاملين في هذا المجال خلال سنين طويلة من العمل والجهد والعطاء.

وبيّن أن الكويتيين منذ القدم سعوا إلى فتح دور العلم والمعاهد المختلفة لكل طالب وراغب، ولم يألوا جهداً في نشر العلم والمعرفة بين صفوف المواطنين جميعاً، ذكوراً وإناثاً، على السواء، وقد سعوا جاهدين إلى القضاء على الأمية، وتوجت جهودهم بإصدار القانون رقم (١٩٨١/٤) الخاص بمحو الأمية الإلزامي، الذي بدأت أحكامه بنطق سام من سمو أمير البلاد، وجهه إلى الأميين والأميات حثهم فيه على الالتحاق بفصول محو الأمية لتحرير أنفسهم من الجهل، كي يصبحوا مواطنين عاملين عالمين، إذ لا مجال في هذا العالم لجاهل، وذكر أن سمو أمير البلاد دعا إلى تضافر جهود جميع الجهات المعنية لتحقيق أهداف القانون والتمسك بروحه قبل حَرْفيته.

وأشار الغانم في كلمته بهذه المناسبة إلى أن المواطنين استجابوا استجابة واعية لتوجيه سمو الأمير، فأقبلت أعداد كبيرة من الأميين والأميات على مراكز الدراسة، وازداد عدد المتعلمين في البلاد، وقل عدد الأميين، وآتى التوجيه أكله، وقطف المواطنون ثماره، معرباً عن أمله في أن يأتي اليوم الذي نحتفل فيه بتخرج آخر أمي في هذا البلد الطيب.

وأثمرت جهود منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة والجهاز العربي لمحو الأمية، وتعليم الكبار، إضافة إلى الأمانة العامة للمجلس الاستشاري لتعليم الكبار ومحو الأمية في وزارة التربية في القضاء على الأمية ونشر العلم والمعرفة بين الناس.

وفي ختام كلمته بهذه المناسبة، وجه الغانم الشكر والتقدير لجميع الأجهزة الدولية والإقليمية والمحلية، لما بذلوه ويبذلونه من جهود خيِّرة مثمرة في الإسهام بالقضاء على الأمية ونشر العلم والثقافة والمعرفة بين الناس، كما ثمَّن موقف الرجال العاملين في مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات لتعاونهم بكل صدق وإخلاص مع الأمانة العامة للمجلس الاستشاري لتعليم الكبار ومحو الأمية في وزارة التربية، في تنفيذ أحكام قانون محو الأمية كل في جهة عمله. ■

بيت الزكاة يصدر تقريره السنوي عن إنجازاته للعام ١٩٩٧م



أصدر بيت الزكاة الكويتي كتاباً تضمن إنجازاته العام ١٩٩٧م، وجاء في التقرير أن بيت الزكاة أنفق داخل الكويت العام ١٩٩٧م ما مقداره ٩٤٥٢٩١١ د.ك، وبلغت نسبة هذا الإنفاق من إجمالي نفقات البيت ٦٨,٥٪، قدمت على شكل مساعدات دائمة ومقطوعة وقروض حسنة استفادت منها ٣٤٦ أسرة متعففة و ٢٠٤٥٢ أسرة محتاجة تمثل جميع الفئات المحتاجة من أيتام وأرامل، ومطلقات، عجزة، منكوبين، ضعفاء، دخل محدود... وغيرها، منها ٤٠٪ أسر كويتية و ٣٤٪ من الأسر غير محددة الجنسية و ٢٦٪ أسر من جنسيات أخرى.



كما وزع البيت المساعدات العينية والمواد الغذائية شهرياً، على ٣٣٠٠ أسرة منها ٣٨٪ أسر كويتية و ٤٥٪ أسر غير محددة الجنسية و ١٧٪ أسر من جنسيات أخرى، هذا بالإضافة إلى ٦٤٠٣٣٧ د.ك أنفقها البيت على تنفيذ الأنشطة والمشاريع الخيرية ودعم الهيئات والمؤسسات الخيرية والإنسانية داخل الكويت.

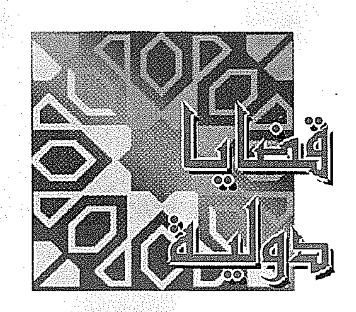
أما على الصعيد الخارجي، فقد أنفق البيت ٤٣٤٤٦٦٨، وتبلغ نسبة هذا الانفاق من الإنفاق الإجمالي العام ٣١,٥٪ وهي في مجملها تبرعات مشروطة، ينفذها البيت كوكيل عن المحسنين الكرام، ووفق رغبتهم الشخصية، لتقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين أبناء المسلمين، وذلك من خلال كفالة الأيتام ورعاية طلاب العلم، وتنفيذ المشاريع والأنشطة الخيرية الموسمية وغيرها، وإغاثة المنكوبين في العالم الإسلامي، ودعم الهيئات الإسلامية الموثوقة.



ولم يكتف البيت بهذا القدر للنهوض برسالته السامية في إحياء فريضة الزكاة، بل أولى الجوانب الشرعية والعلمية والفنية حقها من الاهتمام، فعقد ندوته السابعة لقضايا الزكاة المعاصرة التي استضافتها الكويت، ونظم الدورة السابعة لمحاسبة الزكاة، فيما تُواصل الفرق الاستراتيجية عملها لتنفيذ مشاريع استراتيجية البيت للفترة (١٩٩٥م - ٢٠٠٠م).

ومن ناحية أخرى، صدر عن مكتب بيت الزكاة في القاهرة «جمهورية مصر العربية» تقرير تضمن مسيرة إنجازات البيت للعام ١٩٩٧م، وقد غطت هذه الإنجازات معظم المحافظات المصرية وفقاً لسياسة بيت الزكاة الكويتي، حيث تم تنفيذ وافتتاح نحو ١٩ مشروعاً بلغت تكاليفها ٥٥٠٠٠٠ جنيه مصري، كما تم التعاقد على ٢٧ مشروعاً متنوعاً يجري تنفيذها في ١٦ محافظة مصرية، بتكلفة قدرها ٦٥٠٠٠٠ جنيه مصري، وهناك مشاريع مستقبلية عددها ١٢ مشروعاً ستنفذ في عشر محافظات وبتكلفة قدرها ٥٥٠٠٠٠ جنيه مصري، وقد وصلت قيمة المبالغ المنفقة على هذه المشاريع الإنسانية خلال العام ١٩٩٧م نحو ١١٠٠٠٠٠ جنيه مصري، بالإضافة إلى المشاريع المستقبلية التي مازالت تحت التنفيذ. ■





حرب البحيرات العظمى والموقف العربي والإسلامي منها

تمثل الحرب الدائرة راهناً في منطقة البحيرات العظمى حديث الساعة في وسائل الإعلام العالمي المختلفة، إلا أن الموقف العربي والإسلامي منها مازال متسماً بالغموض والضبابية رغم وجود مصالح وقضايا إعلامية وعربية واضحة تدخل في تشابك وتداخل الاستراتيجيات الدولية والمخططات العالمية بشكل أو بآخر وبخاصة تلك التي تنفّذ وتصاغ من قبل قوى دولية غالبة ومتنفذة.

بقلم : محمد سالم الصوفي

وهذا ما يبيّنه تحمّس أطراف عدة لرعاية التكتل القائم على سيطرة أقليات لا تتجاوز نسبتها في الدول الست المعنية بالصراع بشكل مباشر أكثر من ٢٪ من عموم السكان.

وفضلاً عن التنافس التقليدي بين القوى الأجنبية على تعزيز نفوذها من خلال الوجود السياسي والاقتصادي، فإن معظم المراقبين يؤكدون اهتمام تلك القوى بمنح السلطة لأقليات بعينها قادرة على صد ومضايقة الدول العربية المحيطة، وفي الإطار ذاته، فإن الهيمنة على منطقة البحيرات وتلغيمها يعد خطراً حقيقياً لوقوع التوتر في نطاق منابع النيل ذات البعد الحيوي في الأمن القومي العربي بشكل عام، وضرورة حمايتها من الخلف، وقد تكون المنافسات التي ترددت في بداية شهر يوليو الماضي والمتعلقة بدفن نفايات نووية في المنطقة نفسها تدخل في سياق تعريضها لشتى المخاطر.

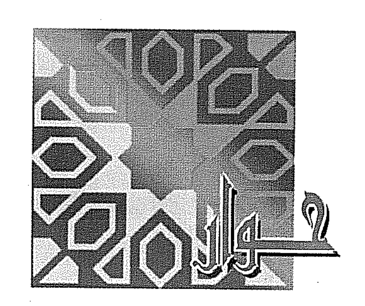
ولا شك في أن استمرار الحرب الدائرة الآن في الكونغو الديموقراطية بين لوران كابيلا المدعوم من زيمبابوي وأنغولا، ومعارضيه من أقلية التوتسي «البانيامولونغي» المدعومين من رواندا وأوغندا، سوف تقود المنطقة إلى هاوية الدمار الرهيب، ليس فقط بسبب الحال الإثنية والقبلية المعقدة، وإنما أيضاً بسبب حال الاستقطاب المتفاقمة التي تفتح الباب أمام مزيد من التدخلات الأجنبية التي تفرضها حاجة الأطراف المتناحرة إلى الدعم والمساندة مقابل منح الامتيازات وفتح الأسواق والمجالات الأخرى.

ولعل قدر الكونغو التي هي مسرح الاقتتال والتنافس الحالي أن تكون ضحية الصراعات الموسمية ففي ذروة الحرب البارة بين المعسكرين في الستينات أزيحت حكومة باتريس لومومبا المنتخبة لتوضع البلاد في ظل دكتاتورية عمياء بقيادة موبوتو سيسوسيكو على مدى ثلاثين سنة أوصلت أكبر وأغنى بلد في وسط القارة الأفريقية إلى الهاوية والإفلاس والحضيض وما كاد سكان الكونغو «زائير سابقاً» يفرحون بسقوط هذا الكابوس الرهيب وانتصار لوران كابيلا في شهر مايو ١٩٩٧م حتى بدأت بوادر مأزق جديد تلوح في الأفق حيث تحفظ التوتسي الذين أوصلوا كابيلا إلى الحكم على طريقته في إدارة شؤون البلاد بعد أشهر قليلة معدودة من حكمه وظل الخلاف يتسع بين كابيلا والتوتسي حتى وصل إلى ذروته في بداية شهر أغسطس ١٩٩٨م عندما أمر كابيلا القوات الرواندية بمغادرة بلاده نهائياً، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير وأعلن التوتسي ثورتهم الجديدة، وكاد تمردهم أن يسقط الحكم المركزي في كينشاسا لولا التدخل الكثيف من حكومات زيمبابوي وأنغولا، حيث استطاع هذا التحالف أن يلحق هزيمة واضحة بالمتمردين وأن يعيدهم القهقرى إلى شرق البلاد.

استمرار الحرب في الكونغو الديموقراطية ستقود المنطقة إلى هاوية الدمار الرهيب

لكن المراقبين يتوقعون أن تستمر رواندا وأوغندا في دعم ومؤازرة المتمردين التوتسي في إطار الخطة المعروفة المتعلقة بإقامة دولة لهم في المنطقة تسيطر ليس فقط على الكنغو الديموقراطية التي يصل تعداد سكانها إلى ٤٠ مليون نسمة وإنما تمتد سيطرتها لتشمل بروندي ورواندا وأوغندا.

وقد درج الرئيس الأوغندي موسفيني على تبني دعم حركات التمرد، كما يتهمه الكثيرون بتغذية نزعات الكراهية والعداء في أكثر من اتجاه، حيث يوفر دعماً لوجستياً ومعنوياً كبيراً لحركات التمرد في جنوب السودان، كما تربطه علاقات متميزة وطيدة، مع قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان - فصل جنوب السودان - جون غارانج، حيث يشتركان في موقفهما المتعصب ضد اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومحاولة محاصرتها في وسط وشرق أفريقيا. ■



نعمل لإحياء المشروع الحضاري الإسلامي في روسيا

نبع دافق وعطاء متجدد في قلب العاصمة الروسية ـ موسكو ـ إنها مؤسسة زمزم الخيرية الروسية التي قامت من أجل نشر الخير والحب والتعريف بديننا الإسلامي العظيم وسط المجتمع الروسي بكل طوائفه وتقديم ما تستطيع من المساعدة لليتامى والمحتاجين والمشردين. مجلة الوعي الإسلامي كان لها هذا اللقاء مع السيدين دامير صدر الدينوف المدير التنفيذي للمؤسسة وسعد الدين اللبان العضو المؤسس في مؤسسة زمزم الخيرية ومدير مؤسسة التنمية العالمية خلال زيارتهما الأخيرة للكويت حيث سلطا الضوء على أهداف المؤسسة وأنشطتها المختلفة وإنجازاتها.

أجرى الحوار : تمام أحمد

المدير التنفيذي لمؤسسة زمزم الخيرية في موسكو للوعي الإسلامي :

● **متى قامت مؤسستكم وما أهدافها التي تعملون لتحقيقها في المجتمع الروسي؟**

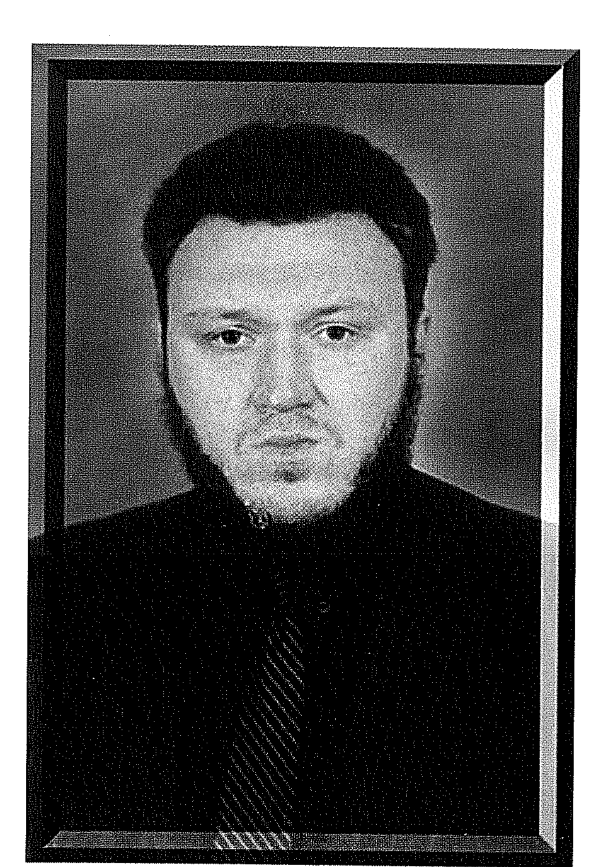
■ زمزم مؤسسة خيرية روسية محلية تأسست في أغسطس عام ١٩٩٦م، وتم تسجيلها في وزارة العدل الروسية ومقرها الرئيسي مدينة موسكو التي تضم نحو المليون مسلم من أصل ٢٠ مليون مسلم يشكلون العدد الكلي لمسلمي جمهورية روسيا الاتحادية.

وتهدف المؤسسة إلى النهوض بمستوى النشاط والعمل الإسلامي والخيري بمجالاته المختلفة على الساحة الروسية ووسط شعوب آسيا الوسطى والقوقاز وتهتم بإظهار الوجه الناصع الوضاء لديننا العظيم وإحياء المشروع الحضاري الإسلامي والتعريف به في كل بلاد ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي السابق.

● **نفهم منكم أن عملكم ليس مقصوراً على روسيا فقط فهل للمؤسسة فروع خارج روسيا؟**

■ هدفنا كل المسلمين في نطاق ما كان يسمى الاتحاد السوفييتي لذا فإننا افتتحنا فروعاً في كل من كازاخستان وقرغيزستان وأوكرانيا وروسيا البيضاء وقباردين وبلغاريا.

● **من خلال عملكم الفكري**



● السيد دامير صدر الدينوف المدير التنفيذي للمؤسسة

والدعوي كيف تقيمون حركة إقبال غير المسلمين على الإسلام؟

■ في الحقيقة حركة دخول الروس في الإسلام لازالت في بداياتها والأمر يعود لعدة أسباب منها: ضعف العمل الإسلامي في المنطقة بصورة عامة وقلة الإمكانات المتاحة والتشويه المستمر لصورة الإسلام من قبل اتباع بعض الدعوات الأخرى والأحداث المحيطة بالمنطقة كالشيشان وأفغانستان وطاجكستان ونحن نحاول من خلال الندوات والمؤتمرات التي ندعو إليها المسلمين وغير المسلمين إلى تصحيح هذه الصورة، وقد عقدنا في رمضان الماضي ندوة بعنوان «الإسلام والمسلمون في روسيا»، حاضر فيها عضو البرلمان الروسي نادير خاتشيلايف والداعية محمد قاراتشاي والصحفي المعروف حيدر جمال وأعقب الندوة أسئلة من المسلمين وغير المسلمين وقد تبين لنا من الندوة أن الإسلام مغيب حتى عن كثير من المسلمين فكيف إذاً بشرائح المجتمع الروسي الأخرى والتي هي في أمّس الحاجة إلى من يشرح لها هذا الدين ويقدم لها المطبوعة الإسلامية باللغة الروسية خاصة وأن المجتمع الروسي مجتمع مثقف ويحب القراءة والأمية شبه معدومة.

● **النظام الداخلي للمؤسسة مم يتكون وهل هو قاصر على الروس فقط؟**

■ مجلس إدارة المؤسسة يتكون من عدد من الشخصيات الإسلامية الروسية والتترية وهي مستقلة في عملها الخيري والإسلامي وفق نظامها الداخلي، وتتعامل مع كل الطوائف وشرائح المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة، كما تتعاون مع غيرها من المؤسسات والهيئات المماثلة سواء كانت محلية أو أجنبية داخل روسيا أو خارجها وخاصة بالبلاد العربية والإسلامية.

● **لو طلبنا منكم ترتيب أولويات المسلمين في روسيا فما الاحتياجات التي تضعونها على رأس القائمة؟**

■ الاحتياجات المطلوبة وسط مسلمي روسيا كثيرة لكن هناك قناعة كاملة بأن العمل التعليمي والتربوي يأتي أولاً، ثم العمل الثقافي والحضاري، ثم ترجمة الكتب، وأخيراً تأتي الأعمال الإغاثية والخيرية، إذاً العمل الفكري والثقافي يحتل رأس القائمة وهناك فراغ فكري كبير في المنطقة، وهناك صراع بين أصحاب الثقافات لملء هذا الفراغ ومن واجبنا كمسلمين أن نعمل أولاً للحفاظ على هوية أبنائنا وبناتنا إنقاذاً لهم من الانحراف، وفقدان الهوية، وثانياً: علينا أن نعمل لتوضيح الصورة المشرقة لمبادئ الإسلام العظيم ونظرته الحضارية والإنسانية لجميع الأمم والشعوب لهذا فإن دعوتنا موجهة للجميع.



● حفل افطار صائم أقامته المؤسسة

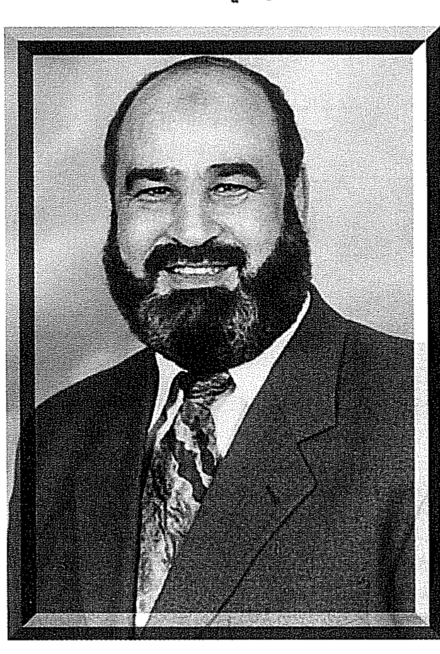
● **من أين تحصل المؤسسة على التمويل لدعم مشاريعها ؟**

■ تعتمد المؤسسة في تمويلها على التبرعات الداخلية من مسلمي روسيا وعلى بعض التبرعات من اللجان الخيرية في الدول الإسلامية، وفي مقدمها لجنة مسلمي آسيا في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومؤسسة الراجحي في المملكة العربية السعودية، ولا يفوتني هنا إلا أن أذكر بأن أغلب العاملين في المؤسسة يعملون متطوعين مقدرين الظروف المالية الصعبة للمؤسسة.

● **هل حاولتم إيجاد وقف إسلامي لدعم مشاريعكم الخيرية على غرار الوقف الذي أنشأته العديد من الأقليات والجاليات الإسلامية في الأقطار الأوروبية وغيرها ؟**

■ هذا موضوع في غاية الأهمية ونحن نفكر

تهدف المؤسسة إلى النهوض بمستوى النشاط والعمل الإسلامي والخيري بمجالاته المختلفة



● سعدالدين اللبان
العضو المؤسس في مؤسسة زمزم الخيرية
ومدير مؤسسة التنمية العالمية



● لقطة من الحوار

حركة دخول الروس في الإسلام لازالت في بداياتها والأمر يعود لعدة أسباب

به حتى يكتب لعملنا الاستمرار والديمومة، وبهذه المناسبة نتوجه لكل المسلمين القادرين على تقديم المساعدة لنا حتى يظهر مشروعنا الوقفي إلى حيز الوجود، وقد اطلعنا خلال وجودنا في الكويت على التجارب الوقفية الرائعة التي تقوم بها الهيئات والمؤسسات الخيرية الكويتية وفي مقدمها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ولجنة السنابل وجمعية إحياء التراث الإسلامي، والأمانة العامة للأوقاف ونرجو الله تعالى أن يشد من عزائمنا ويقوي جهودنا لنحذو حذوهم وليس ذلك على الله بعزيز إذا ما صدقت النوايا وخلص العمل لوجهه سبحانه وتعالى.

● جولتكم التي تقومون بها الآن ما الغاية منها ؟

■ في الحقيقة نحن نهدف من وراء جولتنا إلى التعرف على المؤسسات الخيرية العاملة في الساحة الكويتية وفي الإمارات والسعودية وغيرها من أقطار الخليج وإجراء اللقاءات مع بعض الشخصيات التي لها صلة بالعمل الخيري لعرض مشاريعنا عليهم، وخاصة ممن لها اهتمامات بروسيا وآسيا الوسطى لأننا وحدنا لا نستطيع أن نفعل الكثير، والمؤمن قوي بأخيه، ونحن مطالبون بالتشاور والتناصح لتحقيق أفضل النتائج التي تخدم الإسلام والمسلمين في كل مكان.

● المسلمون في روسيا هل لهم إدارة موحدة ترعى شؤونهم وتحقق مطالبهم ويتعاملون من خلالها مع الحكومة الروسية ؟

■ للأسف هذا شيء غير متحقق على ارض الواقع في روسيا وهناك جهود تبذل لتحقيق هذا الهدف ونرجو من الله سبحانه وتعالى ان يتوحد المسلمون في روسيا ويعملوا في ظل ادارة دينية واحدة حفاظاً على وجودهم ومكانتهم اللائقة بهم خاصة وان عددهم كما ذكرت يفوق الـ ٢٠ مليون نسمة..

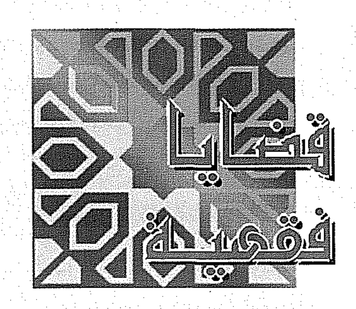
● الإعلام في عصرنا الحاضر يلعب دوراً مهماً في صياغة رؤى الامم والشعوب. ترى هل انتبهت المؤسسة إلى هذا الجانب وهي تضع خططها وبرامجها ؟

■ نشاطرك الرأي بأن هذا الجانب في غاية الخطورة والاهمية ولهذا أوليناه كل اهتمام وبدأنا في يونيو عام ١٩٩٧م وبدعم من مؤسسة التنمية العالمية في انشاء مركز زمزم الإعلامي بهدف توفير المادة الإسلامية المسموعة والمرئية والمقروءة باللغة الروسية وتقديمها للمسلمين أهل البلاد بلغة سهلة وبعرض شيق ومن دون أخطاء لغوية أو شرعية. وقد استطعنا ولله الحمد تجهيز الأشرطة المسموعة في مواضيع مختلفة مثل: توحيد الخالق، والاربعون النووية، ومعنى الصوم، وقصص الانبياء، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكذلك اشرطة القرآن الكريم بصوت مشاهير القراء وفي مجال التسجيلات المرئية تم ترجمة مادة الشريط الكرتوني باسم «رحلة الخلود» والذي يحكي قصة اصحاب الاخدود، وعند مراجعة هذه الترجمة يجري الاتفاق مع احد استديوهات «التلفزيون» لادخال الصوت الروسي على الشريط الاصلي، وسيكون هذا الشريط باكورة انتاج المؤسسة في هذا الجانب، كما تم الاتفاق مع بعض المتخصصين لانتاج شريط مرئي عن اركان الاسلام.

● وماذا عن مشاريعكم الأخرى القائمة والمستقبلية ؟

■ في الحقيقة لدينا مشاريع وطموحات كثيرة بعضها نفذ وبعضها يحتاج إلى دعم ومن أبرز هذه المشاريع :

مشروع المسلمون الجدد للتعريف بالدين الإسلامي وسط الروس بصورة أساسية، ويتخذ المشروع من تجمعات التتار الطبيعية منطلقاً لتحركه للوصول الى كل مسلم في مكان وجوده ثم مده بالعلم النافع الصحيح، وهناك مشروع تأهيل الدعاة، ومشروع جريدة زمزم الشهرية، ومشروع الندوات الثقافية، ودورات إعداد الخطط الاستراتيجية والإدارة، ومشروع كفالة يتيم، ومشروع حلقات زمزم التعليمية، ومشروع افطار صائم، ومشروع كسوة العيد، ومشروع مجمع زمزم الخيري في موسكو، وتقدر تكاليف ميزانية مشروعات زمزم لعام ١٩٩٨م بنحو ١٩٨ الف دولار امريكي نرجو الله تعالى ان يعيننا على تنفيذها. ■



الشهادة في الشرع هي إخبار صدق لإثبات حق، في مجلس القضاء والقاعدة العامة أن الشهادة لايجوز كتمانها، إلا في الحدود، فالشاهد مخيّر بين الستر والإظهار، والستر على الجاني أفضل نقلاً وعقلاً، لما جاء في أخبار الرسول ﷺ في أنه كان يأمرنا بالستر، وقوله - ﷺ - «... من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ...».

هــل الشهادة واجبة ؟

بقلم: د. ماجد أحمد المومني

من شروط الشاهد

١ - العقل، لأن من لا يعقل لا يعرف الشهادة.

٢ - البلوغ، لأن الصبي لا يقدر على الأداء.

٣ - الحرية، فلا تقبل شهادة العبد لأنه لا يقدر عليها.

٤ - العدالة، بحيث تكون حسناته أكثر من سيئاته، والعدل هو الذي تعتدل أحواله في دينه وأفعاله.

٥ - أن يكون الشاهد عالماً بالمشهود به وقت الأداء، ويلزم في الشاهد أن يكون عدلاً بحيث تعتدل أحواله في دينه وأفعاله، فلا يرتكب كبيرة ولا يداوم على صغيرة مع الإصرار على ارتكابها، وأن يتجنب الأمور الدنيئة المزرية التي تحط من قدر صاحبها، كشرب الخمر وحضور مجالسه ولعب الميسر والقمار والزّنا والتعامل بالربا، والمجرم الذي ارتكب جريمة بغير حق ومن ثبت عليه أنه قد شهد شهادة الزور ... ومن عُرف عنه أنه يُحارب الله ورسوله ويسعى في الأرض فساداً، جميع هؤلاء لا تقبل شهاداتهم بإجماع الفقهاء ... إلا من تاب وأخلص في توبته لقوله تعالى :

(إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) المائدة : ٣٤.

أما إذا لم تكن التوبة خالصة لله فلا تقبل شهادته لقوله تعالى:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا...) المائدة : ٣٣

فجزاء هؤلاء القتل والصلب ولا تُقبل شهاداتهم.

والشهادة الصادقة إظهار للحق والله يريد أن يحق الحق ويُبطل الباطل لقوله تعالى :

(...ويريدُ الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) الأنفال: ٧

التزكية

المزكّي هو الذي يشهد بعدالة الشهاد والقاضي يختار المزكي من جيران الشهاد، فإن لم يجد فمن أهل حيه، فإن لم يجد فمن أهل محلته، فإن لم يجد يأخذ عنهم بتواتر الأخبار.

أما إذا علم القاضي عدالة الشهود لا يلزمه السؤال لأن علمه أقوى من الحاصل له من المزكّي والتزكية نوعان : تزكية سر، وتزكية علانية.

أما تزكية السر فإنها تتم بعيداً عن نظر الجمهور خارج مجلس القضاء وصورتها أن يبعث القاضي ورقة يكتب فيها اسم الشاهد ونسبه وصفاته ويبعثها سراً بيد أمينة ويلتمس في المزكي تعريف حاله فيكتب المزكي تحت الاسم «هو عدل مقبول الشهادة».

فإن كان الشاهد فاسقاً أو مجرحاً لا يكتب المزكي شيئاً احترازاً عن هتك سمعته أو يكتب «الله أعلم» إلا إذا زكاه غيره وخاف أنه لو لم يصرح بذلك يقضي القاضي بشهادة الشاهد بناء على تزكية الآخر، فإنه في هذه الحال يصرّح بتجريحه.

أما إذا كان المزكي لا يعرف عن الشاهد أهو عدل أم فاسق يكتب تحت اسمه «هو مستور» ثم يعيد المزكي الرقعة بعد ذلك إلى القاضي.

ولا ينبغي للقاضي أن يصرح للمدعي بأن شهودك جرحوا بل يقول: «زدني شهوداً آخرين».

والصدق مبدأ أساسي في المزكي والشاهد، وهو خُلق إسلامي عظيم، أساسه الالتزام بالحق في الأقوال والأعمال، وهو في أهم أسس تربية الأفراد وبناء المجتمعات واستقرارها، به يطرّد التعاون بين الناس وتعمّهم الثقة ويشملهم التحاب.

قال عليه الصلاة والسلام :

«دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة» أخرجه الترمذي.

وقال تعالى :

(إن الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذاب) غافر : ٢٨.

أما تزكية العلانية فتتم بأن يجمع القاضي بين المزكي والشهود في مجلس القضاء ومثل هذا ما حدث مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

حينما دخل عليه رجل ليؤدي شهادة ... فقال له عمر : هل جئت بمن يعرفك؟ وذهب الرجل إلى حيث أتى برجل آخر أثنى عليه أمام عمر ... فبادره عمر بقوله :

- هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟

- قال الرجل : لا ... فسأله عمر :

- هل كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟

- فأجاب الرجل : لا ... وعاد عمر يسأله :

- هل سبق لك أن عاملته بالدينار والدرهم؟

- فقال الرجل : لا ... وهنا قال عمر للرجل : أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن ويخفض رأسه طوراً ويرفعه طوراً آخر.

وهنا فرح الرجل بالخروج من المأزق ... وقال على الفور نعم !!... عندئذ التفت أمير المؤمنين إلى الشاهد ... وقال له في حِدّة اذهب وجئني بمن يعرّفك !

تُرى كيف يؤدي الناس شهاداتهم هذه الأيام، وكم من شهود الزور يدخلون المحاكم؟ ممن لا ضمائر ولا ذمة لهم! وكم عدد ضحاياهم الأبرياء؟

إن الشهادة أمانة من يكتمها فإنه آثم ... والآثم من أضاع دنياه بعرض بخس، وخسر آخرته، والتزكية واجبة وبخاصة في القضايا التي يترتب عليها عقوبة بالغة.

التزكية واجبة بخاصة في القضايا التي يترتب عليها عقوبة بالغة

قال تعالى :

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) البقرة : ٤٢

وقد ذم الله الكذب بقوله تعالى :

(إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل : ١١٦.

وامتدح الله الصدق بقوله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة : ١١٩.

من هو الفاسق الذي لا تُقبل شهادته ؟

الفسوق هو الخروج عن طاعة الله وأوامره.

وعند الشافعية أن الفاسق ليس في أهل الشهادة، وكذا الحنابلة، ويقول بعض الفقهاء إنه يلزم التفرقة بين الفسق الذي يطرأ على الشاهد بعد أدائه الشهادة مما يستتر على الناس مثل الخمر والزنا فهذا الفسق ترد به الشهادة اتفاقاً.

ويرى البعض الآخر أنه إذا كان الفاسق قد شهد وهو فاسق ثم تاب ومضى عليه زمان وهو على توبته فالقاضي لا يقضي بتلك الشهادة، بل يأمر بإعادتها فإن أعادها وعدله المعدل فالقاضي يقبل شهادته.

كما أن الفساق عند البعض الآخر من أهل الشهادة وإنما ردوها اجتهاداً... فما يراه البعض أنه فسق قد لا يراه آخرون أنه كذلك مع إجماع على أن الفاسق هو مرتكب الكبيرة بسبق الإصرار وهذا لا تقبل شهادته قطعاً. وعلى العموم ففي عُرف المشرّعة - أهل التشريع - الفاسق لا تقبل شهادته، والعرف هو حجة شرعية، والعرف في اللغة هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول، وهو حُجّة، والعادة كذلك دليل، وهو ما استمر الناس عليه وعادوا إليه مرة أخرى. قال الخادمي فيما يروي عنه القاسمي : أما التعامل هو استعمال الناس فيما بينهم بالأخذ والعطاء حسب العرف إن لم يكن هذا العرف يخالفه نصّ شرعي بالقرآن والسنة.

والخلاصة : الفاسق وشاهد الزور لا تُقبل شهادتهما، إلا من تاب لله وأخلص في توبته لقوله تعالى :

(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصّل الآيات لقوم يعلمون) التوبة : ١١.

وقوله تعالى :

(ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) التوبة : ٢٧.

وقد شدد الإسلام في محاربته للكذب ودعوته للصدق : قال تعالى :

(وقد خاب من افترى) طه : ٦١.

وقال سبحانه :

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الأحزاب : ٢٣.

من هو المؤمن القوي الذي تُزكّى شهادته ؟

الإسلام دين الحياة الحقة، وهو يريد هذه الحياة في الدنيا عزيزة كريمة، فياضة بالعمل والقوة ويريدها في الآخرة سعيدة هانئة بما فيها من متعة ونعيم مقيم. هو دين متين يحرص على أن تكون الأمة الإسلامية عالية الكلمة، وأن يكون المسلم قوياً: في عقيدته، وفي إرادته، وفي جسمه، وفي خلقه وعمله، وفي ترفعه، عما تضطرب به الحياة في صغائر، وتيارات فاسدة منحرفة، وعن مواقف الضعف والعجز أمام مشاقها، ومواقف الأحلام والأوهام الخادعة التي تجعله حين يصيب منها منها شيئاً يطيرُ فرحاً وإذا لم يصب منها يتحسر على ما فاته حسرة تنقطع به وترديه في اليأس والمآتم.

والإسلام لا يريد القوة الجسمية الطائشة، أو المخرّبة المدمرة، وإنما يريد القوة التي تصرفها إرادة حازمة، تضبطها وتوجهها وجهة خيّرة رشيدة.

إن الضعف في كل صورة ليس من هذا الدين في شيء، فليس منه ضعة النفس المنافقة التي تتلون بكل لون، وتظهر في كل موقف بالوجه الذي تراه ملائماً له، وليس منه القعود عن العمل والكفاح والانصراف إلى عالم الهوى والأماني، يطلق له المرء عنانة ثم يعود

منه بغير شيء إلا الحسرة والضياع.

وليس منه العجز عن مواجهة الصعاب والتغلب عليها، أو الهروب منها بالتخلص من لحياة ومما في الحياة.

هذه بعض قسمات المسلم القوي، تعرضها عليك الأحاديث التالية :

قال عليه الصلاة والسلام :

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلتُ كذا كان كذا ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ...».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ :

« ... ما تعدون الصُرعة فيكم ؟ قلنا: الذي يصرعُ الرجال، قال : ليس كذلك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب».

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ... الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتْبعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

وقال سبحانه وتعالى :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) الأنفال: ٢.

وقال سبحانه وتعالى :

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل: ١١٦.

وقال عليه الصلاة والسلام :

«كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت له كاذب» رواه أحمد وأبو داود.

العاقل من يعمل لآخرته، كما يعمل لدنياه، والعاجز من يترك لأهوائه وشهواته العنان، فيضعف أمام مطالب النفس التي تأمره بالسوء، والضعف غير مرغوب فيه، لما فيه في التضييع في الحقوق والتقصير في الطاعات والقعود عن السعي إلى الجهاد، الذي به عزة الإسلام.

بينما المؤمن القوي قوي العزيمة والشكيمة والإرادة قوي الإيمان في توكله على الله.

المؤمن القوي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلّ الطيبات ويحرّم على نفسه الخبائث مصداقاً لقوله تعالى :

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) الأعراف: ١٥٧.

فقد بينت الآية أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكرات وعمل المعاصي والذي يبتغي الرزق الحلال ويأكل الطيبات ويبتعد عن الخبائث - كالدم ولم الخنزير وأكل الميتة جميعها من الخبائث - وتناول المخدرات وما هو بدرجتها جميعاً صفات في شروط تزكية الشاهد.

وعلى العموم، فالشاهد العدل وبخاصة في القضايا الكبيرة، يجب أن يكون عدلاً تقياً بعيداً عن الخبائث، وبعض الفقهاء اشترط صحة الحواس لدى الشاهد: فلا يجوز لأعمى أن يقول إنني رأيت فلاناً يرتكب كذا ... أو الأطرش الذي لا يسمع أن يقول سمعت فلاناً يقذف المحصنات الغافلات ... أو الأخرس ... أن يدّعي أنه قال كذا وكذا وعلى العموم المؤمن القوي التقي - قوي العزيمة والشكيمة والإرادة مع سلامة الحواس هو الذي تقبل شهادته، وبخاصة في القضايا الكبيرة.

حُكم الشهادة

وحكم الشهادة وجوب الحكم على القاضي بموجبها بعد التزكية، والقياس يأبى كونها حجة ملزمة لأنه خبر محتمل للصدق والكذب، ولكنه ترك بالنصوص والإجماع.

ولا يجوز للقاضي تأخير الحكم بموجبها بعد وجوب شروطها إلا في ثلاثة أمور، وجاء الصلح بين الأقارب واستمهال المدعي، وإذا كان عند القاضي ريبة.

الشاهد العدل يجب أن يكون عدلاً تقياً بعيداً عن الخبائث

وقد روي عن عمر بن الخطاب، الإمام العادل أنه بعث رسالة إلى أبي موسى الأشعري قال فيها:

«... البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحلَّ حراماً، أو حرّم حلالاً، واجعل لمن ادَّعى حقاً غائباً، أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت إلى رشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدٍّ، أو مجرباً عليه شهادة الزور».

الفرق بين الشهادة والرواية

الشهادة إخبار ناشئ عن علم لا عن ظن أو شك، وهو معنى قول بعضهم الشهادة إخبار بما حصل فيه الترافع وقصد به القضاء وبت الحكم، والرواية إخبار بما لم يحصل فيه الترافع ولم يقصد به فصل القضاء وبت الحكم، بل قصد به مجرد عزوه لقائله بحيث لو رجع عنه رجع الراوي.

والمبدأ العام أن الأدلة القانونية هي طريق الإثبات في المواد المدنية ولكنها قد تكون في بعض الأحوال إقناعية، بينما في الشرع تعني إخبار صدق لإثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء وتخرج شهادة الزور فإنها ليست شهادة وإطلاق الشهادة على الزور مجاز من قبل إطلاق البيع على بيع الحق، أو هي إخبار بحق للغير على

آخر سواء كان حق الله تعالى أو حق غيره، وناشئاً عن يقين لا عن حسبان وتخمين وقد روي عن الرسول ﷺ قوله :

«... إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع...» وهذا هو الحكم المطلق في الشهادة.

وجوب الشهادة

القاعدة العامة أن الشهادة لا يجوز كتمانها فهي مأمور بها، وقال الله تعالى في محكم كتابه :

(كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء : ١٣٥

وعند الشافعي أن الشاهد ملزم بالشهادة وأنها فرض عليه أن يقوم بها ولو كانت على والديه وولده والقريب والبعيد والبغيض والحبيب ولا يكتم عن أحد ولا يحابي بها ولا يمنعها أحداً في كل القضايا ما عدا الحدود. ففي الحدود الشاهد مخيّر بين الستر والإظهار، فهو مخيّر بين أن يشهد حسبة لله فيقام على الجاني الحد، وبين أن يتوقى عن هتك ستر الجاني حسبة لله، وقد رجّح الفقهاء الأربعة أن الستر في الحدود جائز بينما في حقوق الناس تجب الشهادة.

وعلى العموم لا تصبح الشهادة حُجة ملزمة إلا أمام مجلس القضاء، فعلى الشاهد أن يُدلي بشهادته أمام مجلس القضاء فلو أدلى بها أو شهد أمام قاض واحد فلا تعتبر حُجة قاطعة وهي عُرضة للتعديل أو التجريح حسب ما يقرره مجلس القضاء.

العاقل من يعمل لآخرته كما يعمل لدنياه
والعاجز من يترك لأهوائه وشهواته العنان

كما لا يجوز التخلف عن الشهادة وعلى القاضي أن يطلب الشاهد للإدلاء بشهادته وسماع أقواله وأحواله، فإن انطبقت عليه شروط تزكية الشاهد، التي جاءت في أول المقال - وجبت عليه الشهادة لأن المصلحة العامة تقتضي ذلك.

والمصلحة في اللغة مأخوذه من الصلاح، والصلاح ضد الفساد، وأما في العُرف فهي السبب المؤدي إلى الصلاح والنفع، أما المصلحة في الشرع فهي السبب المؤدي إلى حفظ مقصود المشرّع في العبادات، ونعني بها المصلحة من دون تقييد فالإرسال يعني الإطلاق وعدم التقييد وهو أمر ينطبق على الإدلاء بالشهادة.

أحكام الشهادة في الشريعة الإسلامية

الأصل في الشهادة أن يكون الإثبات بشهادة رجلين عدلين غير متهمين في شهادتهما عند تحمل الشهادة وعند أدائها واستثنى من ذلك حدّ الزنا الذي جعله بأربعة شهود رجال، وهذا متفق عليه عند الفقهاء والأئمة الأربعة. واشترط الأئمة الأربعة أن إثبات الزنا يكون بشهادة أربعة شهود ليس من بينهم الزوج باعتبار أنه متهم بدعواه أن الزوجة خانته وأنه يوجه إليها تهمة الزنا.

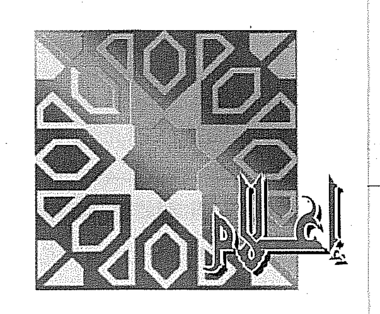
وشهادة الشهود جائزة مجتمعين أو متفرقين - وهذا هو رأي الشافعية - بينما رأى الحنابلة والحنفية في وجوب الشهادة أن يكونوا مجتمعين وفي مجلس واحد عند أداء الشهادة فإذا جاؤوا متفرقين يشهدون واحداً بعد واحد - ولا واحد - في رأيهم - لا تقبل شهادتهم.

أما عن وجوب توافر الرواية في الشاهد في جرائم الحدود، فهذا متفق عليه عند الشافعية، والحنفية والمالكية، لأن الشهادة تقتضي العلم بالواقعة وتميزها بأوصافها، ومعرفة المشهود له والمشهود عليه على نحو لا يتطرق إليه الشك، واشترطوا أن يكون الشاهد قادراً على التعبير قولاً أو كتابة عند تحمّل الشهادة وعند أدائها، وبذلك يكونون قد أباحوا شهادة الأخرس، إذا أداها كتابة، وهذا الشرط هو رأي المالكية والحنابلة، أما رأي الشافعية والحنفية حول هذا الموضوع هو عدم قبول شهادة الأخرس في الحدود. واتفق الأئمة الأربعة على مبدأ قبول تقادم الشهادة في الحدود وعدم سقوطها في باب تحريم الخمر وإقامة حد الشرب وأقروا جميعاً أنه لا تنقضي الدعوى الجنائية عن الجريمة الحدية، كما لا يُمنع سماع الشهادة عليها أو الإقرار بها بمضي المدة.

وبالنسبة لحد القذف فقد اتفق الأئمة الأربعة والفقهاء من بعدهم على عدم جواز رفع الدعوى إلا بناء على شكوى من المدّعي، ولكنهم اختلفوا في المدة فبعضهم حددها بستة أشهر، حيث لا يجوز إقامة الدعوى بعد مضي ستة أشهر من يوم علم المقذوف بالجريمة، ومرتكبها وتمكّنه من الشكوى. واتفق الشافعية والمالكية أن يكون الإسلام شرطاً أصيلاً في الشهادة ولكن الحنفية والمالكية أجازوا قبول شهادة غير المسلمين بعضهم على بعض واتفقوا مع الشافعية والمالكية أن الإسلام شرط أساسي في الشهادة بين المسلمين، هذا. ■

المراجع :

- أصول الدين الإسلامي، الأستاذ الدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري - جامعة آل البيت.
- بُنية الفكر الديني - الأستاذ الدكتور عادل العوا - جامعة دمشق.
- دراسات في الفكر الإسلامي - د. موسى أبو الريش - الجامعة الأردنية.
- معالم الشريعة - فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري - معهد الدراسات الإسلامية.
- الثروة في ظل الإسلام - د. البهي الخولي - جامعة القاهرة.
- الموارد الإسلامية - د. إبراهيم فؤاد - القاهرة.
- الثقافة الإسلامية - د. صالح الهندي - جامعة السلطان قابوس.



لاشك أن الكلمة المُذاعة، عبر موجات الأثير، لها تأثيرها الخطير... وهي من أقوى الوسائل تأثيراً في اتجاهات الجماهير... وتكمن قوتها، ليس فقط بما يُبث فيها من برامج تستخدم في إعدادها وإخراجها طُرقٌ فنية وتعبيرية متباينة تُخاطب المشاعر والوجدان، وتترك أثراً قوياً على العقل والعاطفة معاً...(١) ولكن أيضاً، لكونها تستطيع بسهولة، الوصول إلى المستمع، أينما كان، وفي أي وقت.

الإذاعات الموجهة بعد نصف قرن على انطلاقتها ماذا حققت؟

دراسة بقلم : حسني عبدالحافظ

وإذا كان قد كثر الحديث عن التأثيرات السلبية، التي تُحدثها إذاعات الغرب، وبخاصة الموجهة منها، على الأنماط السلوكية والفكرية لدى الفئات السنية المختلفة في عالمنا الإسلامي ... فإنه قد آن الأوان لفتح ملف إذاعاتنا العربية الموجهة. ونتساءل ... ماذا حققت هذه الإذاعات بعد نصف قرن على انطلاقها ...؟

ماهية الإذاعة الموجهة

تعرف دولياً بـ «أوفرسيز بروغرامز»(٢) ... أما عربياً، فقد اختلفت مُسمياتها، فثمة من أطلق عليها «إذاعات ما وراء البحار»(٣)، وهناك من أطلق عليها «إذاعات ما وراء الحدود»(٤)، وآخرون أسموها «الإذاعات الخارجية»(٥) ... والحقيقة، أن هذه المسميات في جوهرها اللغوي والجغرافي أيضاً غير دقيقة... وقد اتفق جل الإعلاميين العرب على تسميتها بـ«الإذاعات الموجهة»، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن «الإذاعات المحلية» فهذه تُخاطب جماهير الشعب داخل القطر، بهدف رفع المستوى المعرفي والثقافي، بينما تلك تُقدم شعبها إلى الشعوب الأخرى.

وقد بدأت بث الإذاعات الموجهة، لأول مرة، في بدايات العقد الثاني، من القرن الميلادي الحالي ... انطلاقاً من إيطاليا... ثم ألمانيا، فكانت سلاحاً قوياً لدعاية كل من الدولتين، الموجهة إلى الرأي العام في أوروبا ... ثم انطلقت تقنياتها إلى الدول الأوروبية الأخرى ... وكانت بمثابة الحصان الجامح، الذي امتطى الروس صهوته، لنشر أفكارهم الشيوعية في البلدان الخاوية عقائدياً، وذلك عبر ما يُسمى بـ «إذاعات السلام والتقدم»، التي رصدت الحكومة الماركسية أموالاً ضخمة لبناء هيكليتها... وقد بدأت بث برامجها بنحو ثلاثين لغة. وعرف العرب الإذاعات الموجهة، في أواخر الثلاثينيات (٦) ... عندما بدأت مصر بث برامج تثقيفية عدة على موجات الأثير القصيرة، ولم تتجاوز مدة الإرسال آنذاك ثلاث ساعات، تبدأ من الثامنة والنصف مساء بنشرة إخبارية، يتبعها أحاديث ولقاءات تستهدف إبراز الهوية العربية الإسلامية، وكانت لغة البث الوحيدة هي «العربية».

> **الحكومة الماركسية رصدت أموالاً ضخمة لنشر الأفكار الشيوعية**

وبشكل تصاعدي كبير، تطورت تقنيات البث عبر الموجات القصيرة... ودخلت دول عربية عدة الدائرة الأثيرية الدولية، وأصبح كل منها يسهم في البرامج الإذاعية الموجهة... وفي منتصف الخمسينيات، حدثت طفرة كبيرة في البيت العربي الموجه(٧)، واكبت حركات الاستقلال الوطني، ودعوات التحرر للشعوب النامية التي كانت ماتزال تئن تحت وطأة براثن الاستعمار الغربي، وقبل أن يكتمل العقد الخمسيني كان للعرب إذاعات موجهة تبث برامجها بأكثر من أربعين لغة ولهجة محلية ويغطي إرسالها مساحات واسعة من العالم... وأصبح لكل إذاعة هيكليتها الخاصة، وكوادرها الفنية والتقنية، بعد أن كانت في السابق مجرد جزء ملحق بهيكلية الإذاعات المحلية. وفي أواخر العام ١٩٦٨م ... وقَّعت الدول العربية على اتفاقية تأسيس اتحاد للإذاعات ... بدأ يُمارس نشاطه الفعلي العام ١٩٦٩م(٨) ... وهو يضم مراكز وهيئات تدريبية وبحثية، من أبرزها: المركز العربي للتدريب الإذاعي...(٩) والهيئة العامة لبحوث المستمعين.(١٠) وفي الوقت الحاضر ... لم يعد سنتيمتراً واحداً على وجه هذه البسيطة، إلا ويغطيه إرسال إذاعاتنا العربية الموجهة.

الأهداف

في ظل اتفاقية اتحاد الإذاعات العربية، وتحت مظلة «ميثاق الشرف الإذاعي»... تعهد القائمون على الإذاعات الموجهة، بالالتزام والسعي نحو تحقيق ما اتفق عليه من أهداف، على أفضل ما يكون... وأن يضعوا ما له الأولية منها في المقدم، ويمكن إيجاز أهم هذه الأهداف في نقاط بعينها:

- أولاً : تعريف الرأي العام العالمي، بقضايانا المصيرية
- ثانياً : التعريف بمظاهر حضارتنا في الميادين المختلفة... دينية، واقتصادية، وصناعية... إلخ.
- ثالثاً : نشر اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، في العالمين.

- رابعاً : نقل الصورة الحقيقية للأحداث التي يهم العرب أن يعرفها الرأي العام العالمي عنهم.
- خامساً : المواجهة السريعة الواضحة لمروجي الفتن وناشري الإشاعات، ودحض ما يثيره المغرضون من شُبهات ومغالطات، عنا.
- سادساً : تعريف الأجانب ببلادنا... وما تزخر به من معالم وآثار ... وبخاصة الإسلامية منها.
- سابعاً : تعزيز روح الأخوة بين الأشقاء في الدول العربية والإسلامية، وتنمية الاتجاهات المشتركة.
- ثامناً: تقديم العون للمهتدين الجدد.

وماذا تحقق .... ؟

هذا هو السؤال، الذي يفرض نفسه. وقبل الإجابة عليه ... لا مناص من توضيح أمر مهم، حتى يكون كلامنا منطقياً وواقعياً... إن الإعلام الغربي يشن حرباً شاملة، عبر محطاته الموجهة إلينا، وهذه الحرب تأخذ طريقين:
- علني : وتمثله الإذاعات التي تُعلن عن هويتها.
- سري : وتمثله الإذاعات التي لا تفصح لمستمعيها عن هويتها ... وجلها إذاعات تنصيرية وطائفية إلحادية هدامة.

ورغم ما يرصده الغرب لهذه الإذاعات، من مبالغ ضخمة... وما يقدمه من تقنيات لتقوية بثها وتغطية إرسالها، ليصل أرجاء العالم... ورغم أيضاً التشجيع الدائم للمستمعين للإقبال عليها، بالمزيد من المسابقات المغرضة والجوائز التي غالباً ما تكون عبارة عن «رحلات سياحية وترفيهية».... رغم كل هذا، فإن الإذاعات العربية الموجهة نجحت في تحقيق بعض الانتصارات المهمة، وبخاصة على الساحتين الإفريقية والشرق آسيوية، بفضل ما يُبث من برامج دينية... وقد اعترف بذلك غير واحد من الإعلاميين الغربيين المعنيين ببحوث الاستماع في الإذاعات الموجهة... وصرخ يوماً مسؤول كبير في إذاعة لندن الموجهة إلى قلب إفريقيا، بلغة «الهوسا» «إن أسباب تفوقهم علينا، الناحية الدينية التي لا تقبل هذه الشعوب منا أن ننافسهم فيها»(١١).

وبنظرة عامة لموقع البرامج الدينية، مقارنة بالبرامج الأخرى، في إذاعاتنا العربية الموجهة، عبر تاريخها... نجد أن نسبة البث خلال الفترة من بدء الانطلاق وحتى الستينيات لا تتعدى الـ٧٪، زادت النسبة لتصل إلى ١٠,٤٪ خلال السبعينيات، ثم ١٤٪ خلال الثمانينيات... ونحو ٢١,٧٪ حتى العام ١٩٩٦م «مستثنى من هذه النسب... برامج الإذاعات الدينية الموجهة التي صارت - ولله الحمد تغطي مساحات واسعة من العالم، بتقنيات البث عبر الأقمار الصناعية... وكان ظهور هذه الإذاعات رداً منطقياً على الإذاعات التنصيرية والطائفية والإلحادية الهدامة».

وإننا إذ نطالب القائمين على الإذاعات العامة الموجهة، أن يزيدوا مساحة بث البرامج الدينية.... فليس من المعقول أو المقبول أن نرى نسبة ٤٣٪ للبرامج الترفيهية، ونسبة ٢١,٧٪ للبرامج الدينية. ونأمل أن يكون وقت إذاعة البرامج الدينية ملائماً للمستمع في الجهة التي يغطيها الإرسال... مع العناية القصوى بالإعداد الجيد لهذه البرامج، بحيث تحقق الأغراض المطلوبة، وهي :

بعد أن استمع الطيار الكندي للقرآن شعر بأن شيئا شديدا استولى على مشاعره لم يدرك كنهه

١ - الإعلام عن الدين ... وتحققه البرامج التي تقدم صوراً صحيحة تتعلق بالأثر الديني في الترابط الاجتماعي الوثيق على مستوى الأسرة، وعلى مستوى المجتمع... بحيث يستشعر المستمع كما لو كان ابناً من أبناء هذه الأسرة، وفرداً من أفراد هذا المجتمع.

إن مثل هذه البرامج تترك أثراً طيباً لدى المستمع... وهي، كما يؤكد كبار الإعلاميين في وطننا، تصلح للبث إلى شعوب العالم كافة.

٢ - الدفاع عن الدين ... فالإذاعات الموجهة تتحمل في ذلك قدراً كبيراً من المسؤولية، ولابد لها من أن تجابه الدنايا والمطاعن التي توجه إلى ديننا السمح من قبل إذاعات لا هم لها سوى تشويه صورة الإسلام والمسلمين... خذ على ذلك مثلاً مؤتمر (١٢) دولي في أسبانيا، جمع عدد كبير من الباحثين، ويشاء القدر أن يجتمع نفر من باحثي أمريكا اللاتينية وأحد باحثينا المسلمين، حول مائدة واحدة... فلما علموا أنه مسلم، أمطروه بوابل من الأسئلة حول الإسلام وأوضاع المسلمين ... كيف يعيش من يعبدون الشمس منكم مع من يعبدون محمداً؟؟ .. كيف تعبدون ٩٩ إلهاً في عصر الحضارة والمدنية ...؟! دُهش الباحث المسلم، وأخذ يستفسر عن مصادر هذه المغالطات الخبيثة... فعرف أنها الكلمة المذاعة، الموجهة لهدم الصورة المضيئة للإسلام وتشويه صورة المسلمين ... وأوضح لهم أن هذه مغالطات وافتراءات، مؤكداً أننا أمة واحدة، تعبد إله واحد لا شريك له وأن محمداً عبدالله ورسوله الأمين الذي بعثه بالحق لهداية العالمين ... وأن الـ٩٩ ليست آلهة، بل هي الأسماء الحسنى. إن الدفاع عن الدين، وتصحيح المفاهيم، لهؤلاء المستمعين، واجب ... لابد أن تؤديه إذاعاتنا الموجهة، عن طريق المزيد من الدعم لهيئات بحوث الاستماع، التي تستطيع أن تترصد الإذاعات الملحدة والحاقدة، وتراقب برامجها وتحلل مراميها وتكشف سمومها، وبالتالي يُمكن تفنيدها ودحض مغالطاتها، قبل أن تتفشى بين المستمعين... كما يُمكن أن تقوم مكاتبنا الإعلامية في الخارج - وما أكثرها - بالمساهمة في ذلك.

٣ - الدعوة إلى الدين... بالإعداد الجيد للبرامج التي تُقدم الإسلام، أركانه، ومبادئه... بأسلوب سلس... فمازالت هناك شعوب في حاجة ماسة إلى من يُنقذها من براثن الشرك والضلال، إلى الهداية وعبادة الواحد الرحمن... أليس هذا واجباً ... (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل: ١٢٥).

ولكي ندرك أهمية استخدام الكلمة المذاعة في نشر الدعوة إلى الدين ... أذكر مثالاً : في العام ١٩٣٧م (١٣)،

الإذاعات العربية الموجهة نجحت في تحقيق بعض الإنتصارات المهمة

كان هناك برنامج ديني موجه، يستهدف هداية الضالين، وقد تم إعداده إعداداً جيداً، حيث اشتمل على تلاوة من آيات الله تبارك وتعالى، للقارئ الشيخ محمد رفعت، تبع التلاوة تفسير وابتهالات... وقد تمكن طيار كندي من استقبال هذا البرنامج... فما الذي حدث؟"... كندي يستمع إلى قرآن بلسان عربي مبين..!!، أترك معد البرنامج وهو الأستاذ محمد فتحي ليجيب عن هذا السؤال بنفسه: «كنت في مكتبي ذات مساء - قيل لي إن ضابطاً إنجليزياً يريد مقابلتك، فليدخل، وإذا به طيار كندي لا إنجليزي... كان في أواخر الثلاثينيات من عمره، قال: إني جئتك في استيضاح، وكنت إذ ذاك كبير الإذاعيين في الدار، قال: إن مصر أذاعت العام ١٩٣٧م برنامجاً على موجة الإذاعة البريطانية نقلته عنها إذاعة كندا، وكنت في أقصى الساحل الغربي في مزرعتي... استمع بالليل إلى هذه الإذاعة، قال مُقدم البرنامج في بدايته إن قارئاً كفيفاً سيتلوا من كتاب المسلمين المقدس، وتلا القارئ دقيقة أو دقيقتين... فهل لك أن تدلني على هذا القارئ؟!

قلت للكندي: نعم، أستطيع، فقد كنت أنا - للمصادفة الطيبة - الذي قدمت هذا البرنامج، قلت له وكان الفضول قد أخذ مني مبلغاً متصاعداً... ولكن لماذا؟! قال الكندي: تلا القارئ... وبالطبع لم أفهم شيئاً مما تلا.... ولكني شعرت لحظتها أن شيئاً شديداً استولى على مشاعري لم أدر كنهه. واستمعت إلى بقية البرامج، ولكن ذلك الشعور الذي تملكني ظل معي، فجئت بترجمة للقرآن وقرأت فيه، وجئت بما استطعت أن أحصل عليه من كتب بالإنجليزية عن الإسلام... وقرأت... وأسلمت، وجئتك الآن لتدلني على هذا الرجل الكفيف الذي أنار طريقي إلى الإسلام - لكي أشكره...»(١٤).

٤ - تعليم الدين.... ويأتي ذلك عن طريق البرامج التي تُقدم تعاليم ديننا الإسلامي السمح بشكل صحيح، للمهتدين الجدد، وما أكثرهم ولله الحمد، الذين هم في أمس الحاجة لمثل هذه البرامج الهادفة... فأعرف أن هناك فتيات مسلمات كثيرات تزوجن بغير مسلمين، وأنجبن، وهن لا يدرين أهذا صحيح أم خطأ... وهناك من يرث خاله، ولا يرث أباه أو أمه...(١٥)!! أليس هؤلاء، وغيرهم، في حاجة ماسة لمعرفة التعاليم الصحيحة لدينهم العظيم..؟

خاتمة

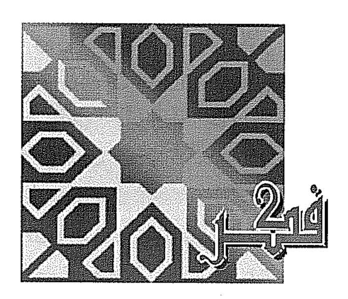
فيا أيها القائمون على إذاعاتنا الموجهة... أكثروا من البرامج الدينية... اجعلوا الدين في مقدم أهدافكم التي تسعون إلى نشرها في العالمين... واعلموا أن هذا واجب عليكم، فأنتم تحملون راية الدعوة الإسلامية في عالم تسوده صراعات فكرية واجتماعية خطيرة... اربطوا دينكم بأمور دنياكم في برامجكم كافة... طوروا باستمرار من أدائكم، إلى ما هو أفضل.... لنصرة دين الله.. فهذه رسالتنا جميعاً في سفينة الحياة.. ■

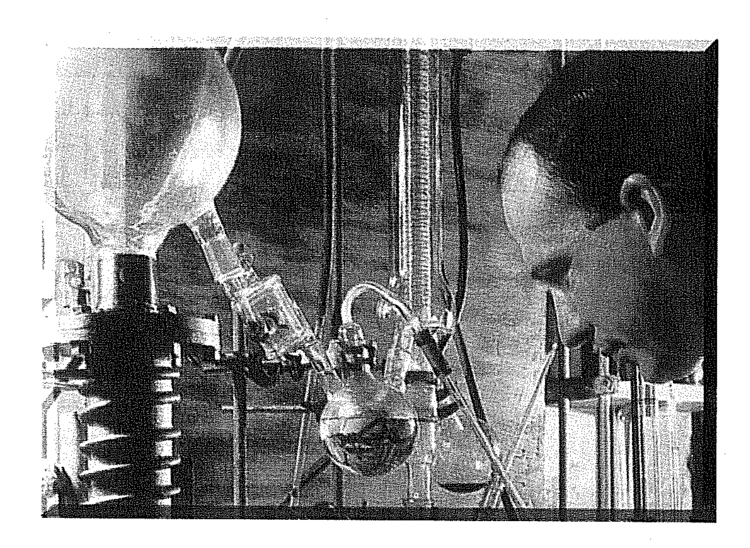
الهوامش :

١- مرزوق، يوسف: الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية - دراسات إعلامية - القاهرة ١٩٨٠م ص ٢٧.
٢- الحديدي، عبدالحميد: الإذاعات الموجهة - معهد الإذاعة والتلفاز - القاهرة ١٩٧٧م - ص٣.
٣- الحديدي: سابق - ص٣.
٤- الحديدي: سابق - ص٤.
٥- الحديدي: سابق - ص٤.
٦- فتحي، محمد: عالم بلا حواجز في الإعلام الدولي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٢م - ص ٦٨.
٧- فتحي: سابق - ص ٧٣.
٨- مصالحة، د. محمد: السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي - دار الشروق - بيروت «دون تاريخ» - ص ٥٢.
٩ - مصالحة: سابق - ص٥٢.
١٠- مصالحة: سابق - ص٥٢.
١١- عبدالوهاب، محروس: البرامج الدينية في الإذاعات الموجهة - مجلة الفن الإذاعي - العدد ١٠٤ - فصلية تصدر عن معهد الإذاعة والتلفاز - القاهرة يناير ١٩٨٥م - ص٦٣.
١٢- عبدالوهاب: سابق - س٦٢.
١٣- فتحي: سابق - ص٧٢.
١٤- فتحي: سابق - ص٧٣.
١٥- نصر، د. محمد معوض إبراهيم: الإذاعات الإسلامية وحمل لواء الدعوة الإسلامية - مجلة الفن الإذاعي - العدد ١٠٤ - ص٣٧.

المراجع المعتمدة للدراسة :

١- متابعات مستفيضة للإذاعات العربية الموجهة قام بها الكاتب.
٢- فتحي، محمد: عالم بلا حواجز في الإعلام الدولي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٢م.
٣- مصالحة، د. محمد: السياسة الإعلامية الاتصالية في الوطن العربي - دار الشروق - بيروت - بدون تاريخ.
٤- مرزوق، يوسف : الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية - دراسات إعلامية - القاهرة ١٩٨٠م.
٥- الحديدي، عبدالحميد: الإذاعات الموجهة - معهد الإذاعة والتلفاز - القاهرة ١٩٧٧م.
٦- مجلة «الفن الإذاعي» - فصلية متخصصة تصدر عن معهد الإذاعة والتلفاز - الأعداء :
(أ) العدد الثالث - إبريل ١٩٥٧م.
(ب) العدد ١٠٤ - يناير ١٩٨٥م.





بقلم : د. عبداللطيف الخياط

إلى أيّ حدّ نكون علميين ؟

هناك في العالم الإسلامي عدد من الأسئلة العالقة التي لو أحسنا الجواب عليها فإن هذا سيزيح من طريقنا عقبات كبرى نحو أخذ مكاننا في العالم، قد لاتكون تلك الأسئلة كثيرة من حيث عددها، ولكنها على قلتها كافية لتمنعنا من التحرك المناسب لهذا العصر،

إن الشيء الطبيعي أن نتقدم، فلدينا كل ما نحتاجه للتقدم، وكون تقدمنا متعثراً أمر غير طبيعي، تقوم أسبابه داخل عقولنا، فإذا أزحنا بعض هذه العقبات الفكرية من طريقنا تحسّن سيرنا وصار سوياً، إن الفرق بين التقدم النشيط والتقدم المتعثر ليس إلا فرق في الدرجة، فإذا أضفت إلى التقدم المتعثر بضع عوامل من عوامل النجاح صار تقدماً ناجحاً، أقول هذا ليبعث الأمل في قلوب اليائسين، وأنا أختار هنا عقبة فكرية واحدة، تاركاً الأسئلة الأخرى لمناسبات أخرى، أطرحها أنا أو غيري.

السؤال المطروح اليوم هو ما تجده في العنوان، إلى أي حد نكون علميين؟ وهو كما يرى القارئ سؤال ملحّ، له أثر حاسم على تقدمنا، فهناك أمم أعطت العلم قيمة كبرى، ولها اليوم السيطرة والعزة، بينما مكاننا في العالم ضعيف، وهذا يتوازى مع موقفنا المتردد مع العلم، فلا العلم له مفهوم واضح في المنطقة الإسلامية، ولا موقفنا منه حاسم: نقول إنه لابد منه وإنه مفيد، ولكننا نتحدث في الوقت نفسه عن أننا إذا وثقنا بالعلم أصبح صنماً، ونخاف أن يحل العلم محل الوحي، ونتحدث عن أن العلم جيد ولكنه ليس كل شيء، ونتحدث عن أن العلم يعامل الإنسان على أنه آلة، ونتحدث عن طغيان العلم وهكذا، ويمكن أن نلاحظ ضعفاً في همتنا العلمية بقدر ما في تصورنا من تردد حول الثقة بالعلم، ونرى مقدار ضعف اسهاماتنا في بناء صرح العلم، وكيف أننا بالتالي عالة على غيرنا نعيش على فتات موائدهم في العلم.

الفرق بين التقدم النشيط والتقدم المتعثر ليس إلا فرق في الدرجة

وإذا تساءل القارئ عما نعنيه حينما نبحث في العلم هنا فيمكن أن نعتبره بذل الجهد في كشف قوانين الكون، ثم نقل ما يكتشف من قوانين إلى خدمة الإنسان «وهذا تعريف يصف الجهد العلمي»، أو يمكن أن نتبنى تعريف قدماء علماء المسلمين، حيث كانوا يقولون إن العلم هو معرفة الشيء على ما هو عليه مع الدليل، وأنا يعجبني تعريف مفكّر مسلم حديث للعلم على أنه تطابق الصورة الذهنية مع الحقيقة الخارجية، وبرهانه هو التنبؤ أو التسخير أو كلاهما معاً.

موقفنا من العلم ؟

سؤالنا إلى أي حد نكون علميين عجيب، فإذا كان ما يفعله العلم هو أن يكتشف قوانين الله في الوجود حتى يسخّرها لمصلحة الإنسان، وإذا كان العلم يبصرنا بحقائق الكون، فإن سؤالنا إلى أي حد نكون علميين هو مثل سؤالنا إلى أي حد نكون مبصرين، ومثل سؤالنا إلى أي حد نكون أخلاقيين، أو مثل سؤالنا إلى أي حد نكون موضوعيين أو صادقين، فهل علينا

أن نسير في العلم خطوات ثم نتوقف وبعدها نعتمد على شيء آخر غير العلم؟ إن العلم والأخلاق والتقوى والصدق لايتوقف المرء فيها عند حد معين في التقدم، فشأن العلم هو مثل شأن الأخلاق، ونحن لن نصل إلى نقطة نكون قد أنهينا فيها الالتزام بالأخلاق، بل سنشعر أننا مهما تقدمنا في اتجاه الأخلاق، فسيبقى هناك المزيد، فمن المستحيل أن نصل إلى قمة الأخلاق، ولكن من الضروري أن تبقى الأخلاق مثلاً أعلى مطلوباً نسعى إليه ولا نسقطه من حسابنا بحجة أننا لانستطيع أن نوفيه حقه، لأن من يسقط المطلب الأخلاقي، فإنه يهبط إلى مستويات سحيقة، لابد أن يبقى مطلب الأخلاق مثل نجم القطب في الليل يسعى المسافر بهديه وإن لم يصل إليه.

وهكذا العلم، وهكذا التقوى، وهكذا الموضوعية وهكذا الصدق، وهكذا العدل، هذه أمور لا يطلبها الإنسان طلباً موقتاً، ثم يتوقف عنها، ليس طلبها مثلما يحاول إنسان أن يبني بيتاً، ثم بعد أن يصبح البيت حقيقة واقعة فإنه يستطيع أن ينسى التفكير فيه لأن بناءه قد تم وانتهى، إن التقوى والعلم والصبر والصدق والعدل أمور لا ينتهي طلبها، بل نحن بحاجة إلى أن نبذل جهداً كافياً ومن دون توقف حتى نتغلب على الجاذبية التي تبعدنا عن الأخلاق والتقوى والعلم، ونحن في حاجة من ناحية أخرى إلى العلم كل يوم، لأن كل يوم يأتي بتحديات جديدة ويحتاج لعلم جديد.

إننا في الأصل نعيش في شبه ظلام دامس، ثم يأتي العلم وينير شيئاً من هذا الظلام، وكل جهودنا تؤدي إلى توسيع دائرة النور قليلاً، فمساحة الجهل واسعة جهداً، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) الإسراء: ٨٥، ولكن إذا كنا لا نملك من العلم إلا قليلاً، فلا بأس طالما أننا لم نفقد قدرة السعي الحثيث للتغلب على بعض جهلنا، ولكن المصيبة أن نشك في حاجتنا إلى العلم، وأن نكون وجلين في كل خطوة، ونتردد في قبول العلم لأنه سيلتهم الدين، فما هو هذا الدين الذي سيلتهمه العلم إذا زاد عن الحد المتواضع الذي توصلنا إليه؟ «ونحن وإن كنا لا نصرّح كثيراً بأن العلم خطر على الدين، فإننا نتصرف على هذا الأساس في غالب مواقفنا»، فحين ينادي بعض المسلمين بأن زيادة الثقة بالعلم خطأ، لأنه سيضر بالدين، فإنه مثل من ينادي أن زيادة الفهم والعقل خطأ، وأن علينا أن نفهم إلى حد ما ونعقل إلى حد ما ونصدق إلى حد ما ونعدل إلى حد ما، وهكذا، لا يوجد طلب جزئي للعلم، ولا يفيد نصف الإقبال على العلم، لأن هذا سيبقينا في تخلفنا، فقد سمعت قولاً لعله عن أبي حنيفة: «العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك»، فطلب العلم على وجل وتردد مثل أن تصنع نصف سيارة أو نصف طائرة ثم تظن أن هذا يكفي عن صنع النصف الآخر، إن من طلب قليلاً من أحد العلوم كعلم النفس أو التاريخ، فإنه إذا حضر في محافل العلماء فسيجلس صامتاً لا حق له أن يدلي بدلوه، ولو تكلم لفضح نفسه، ومن لم يبلغ مستوى عصره في العلم لا يستطيع كذلك أن يعالج مشكلاتنا بكفاءة.

من لم يبلغ مستوى عصره في العلم لا يستطيع أن يعالج مشكلاتنا بكفاءة

وقد يوضح موضوع الموقف من العلم في العالم الإسلامي أن ننظر في طريقة استعمال كلمات مثل «العلمانية» و«العقلانية»، إن استخدامها يعكس خوفاً من العلم وخمول الهمة العلمية في العالم الإسلامي، إن الناس يستخدمون كلمة «علماني» ليصفوا شخصاً بالغ في الثقة في العلم ومضى أكثر مما ينبغي في الاعتماد عليه، غير أن الحقيقة أنه لا يوجد مبالغة في العلم، ومن مضى في العلم أكثر خفف من جهله واقترب من القرآن: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) سبأ: ٦.

إنني أريد أن أقول هنا، إنه لا يجوز أن تبقى ولو معلومة صغيرة صارت متاحة عن الإنسان والمجتمع إلا وتكون تحت تصرف الدعاة، وكل تقصير عن تحصيل هذا هو تقصير في حق الدين والأمة، وحين يقصّر المتخصصون والكتاب في تيسير العلم الذي يلزمنا فإن كل مثقف يحتاج لبذل جهد مضاعف في سدّ ثغراته الثقافية، صحيح أن هناك مجالات من العلم هي أكثر إلحاحاً من غيرها في مرحلة معينة، ففي مرحلتنا أرى أن كل علم يتصل بالإنسان والمجتمع واللغة والعقل والبيئة والمفاهيم والتربية وأمثال ذلك لها الأولية، ويجب أن تسير خطوة خطوة مع فهم الإسلام بقوة وعمق وعقل منفتح.

إن ما ندعو إليه هنا هو انتقال يشابه الانتقال من الطب الشعبي إلى الطب الحديث، إنه مثل الانتقال من العمل في غرفة مظلمة إلى العمل في غرفة مضيئة، إن استيعاب العلم نعمة تشابه النعمة التي حصل عليها مرضى السكري بعد اكتشاف الأنسولين، إن البشر سيمكن نقلهم إلى إيمان ناضج يرون بركته في حياتهم، وسيعيشون حياة طيبة كريمة وستتدنى العصبيات والعداوات إلى أدنى حد، صحيح أن الشر لن يزول، ولكنه سيكون على حافة الحياة تماماً كما أن أي مدينة كبيرة ينتج عنها نفايات. صحيح أن ما تحصل عليه حينما تدرس علماً ليس الحق الصافي، ولكن أين الحق الصافي في معرفة الإنسان؟ وإنما حينما توسع دائرة العلم فأنت تقلل من الظلام، فهل يشك أحد في أن هذا خير لديننا وأمتنا؟ فهذا علم الطب علم غير كامل، فهل يعني هذا أن نترك الإفادة مما توافر من هذا العلم؟ وعلم التربية لم يكتمل فهل يعني هذا ألا يتعلم

ليس هناك من مصدر لمعرفة البشر إلا أن نرى البشر

المدرسون منه شيئاً حتى يكتمل؟ إنه في الحقيقة لن يكتمل، وهكذا بقية العلوم المتصلة بالإنسان والمجتمع لن تكتمل، ولكن هل يجوز أن نترك معلومة صغيرة تفيدنا في تحسين فرص نجاحنا؟ هل يجوز أن نترك معلومة تقصّر الطريق ولو خطوة، أو تقلل المعاناة ولو خطوة؟

إن ما نحتاجه ليس علوم الاجتماع والنفس والتاريخ فحسب، بل عشرات العلوم الأخرى مما يتصل بفهم واسع لما حصل لنا وما حصل لغيرنا، فلا توجد مشكلة تعاني منها المنطقة الإسلامية إلا وقد مرّت الأمم الأخرى في شبيهاتها، ومن العجز العجيب أن نقبل دفع الثمن مرات ومرات بدل بذل الجهد في فهم أوضاعنا وأوضاع الأمم الأخرى في الماضي والحاضر.

لماذا العلم ؟

إن هناك أمماً كثيرة سبقتنا في العلم، وإن كانوا هم أيضاً لم يحصلوا إلا قليلاً، ولكنهم أمامنا، وتقدمهم يجعل ما ليس جميلاً يبدو جميلاً إذا كان من عندهم، ويجعل ما هو جميل يبدو غير جميل إذا كان من عندنا، ونحن لا نتابع الأمور إلا على وجل وتردد، فكيف سنبدو في عيون شبابنا، هل سنبدو أهلاً للاحترام، وهل سيبدو الدين الذي ندعو إليه أهلاً للاحترام؟ هل نجد في القرآن الكريم أو في السنة أمراً أن نسير في العلم خطوات ثم نتوقف؟ هل نجد أن زيادة العلم شيء خطير على الدين؟ إن ما أجده في القرآن هو بالعكس إنه يحذر من التوقف عند مرحلة من العلم، مثل قوله تعالى: (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) الروم: ٧، أو قوله تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) غافر: ٨٣، أو قوله: (وقل ربِّ زدني علماً) طه: ١١٤، إن ما تدعو إليه أمثال هذه الآيات مزيد من العلم لا نقص من العلم.

إنه لا يوجد شيء عميق في تركيبنا يمنعنا من طلب العلم بهمة وقوة ومن دون حدود، لأن الشيء الطبيعي أن يصبح العلم أجمل وألذّ ما يطلبه الشباب، كل ما يحتاجه الشاب أن نلغي من قاموسنا أي كلمة تدين العلم أو تجعل الاندفاع نحو العلم خطراً على الدين.

وتعود بعض مسؤولية الخوف من العلم إلى أن أكثر الباحثين في أمور الإنسان والمجتمع لايزالون يعرضون الأمور بقصور وتشويه كبيرين، فقد يجعلون جانباً من الشخصية الإنسانية هي كل الإنسان، يركزون على الجانب الغريزي أو اللاواعي أو العقلاني فحسب، وقد ينفون الحاجة إلى الدين عند الإنسان، وهذا ليس من العلم، بل من نقص العلم.

لا يجوز أن تبقى معلومة صارت متاحة إلا وتكون تحت تصرف الدعاة

ومن الخطأ الشائع كذلك ما يظنه كثير من الناس أن المجتمعات التي تكون في حال حضارة، مثل المجتمع الإسلامي في عصره الذهبي والمجتمعات المتقدمة المعاصرة يكون الناس عقلانيين وعلمانيين فيها، بينما الحقيقة أن الإنسان في الغرب كثيراً ما يحب الفن الجامح المنطلق، ويحب العناية بالمتعة بلا قيود، فليست المشكلة هي العلم، بل قلة العلم، هل التعصب الأمريكي ضد الأمم هو علم؟ إنه في الحقيقة من نقص العلم، وهكذا كل جانب سلبي في الشخصية لا يمكن أن يكون نتيجة العلم، فالإنسان حينما تسوء حاله يكون كما وصفه القرآن الكريم: (ظلوماً جهولاً). وقد يكون مما ييسر سبيل الثقة بالعلم أن كثيراً من جوانب النفس الإنسانية التي كانت مهملة كالخيال والعواطف والحاجة الروحية عادت فاحتلت مكانها وصار العلم يهتم بها وبدأ يعطيها قدرها، فبعد أن وصل العلم إلى درجة من النضوج عاد إلى تلك الجوانب من شخصية الإنسان التي كانت مغفلة فبدأ يعترف بها ويعطيها مكانها، وفرق كبير بين من يعترف بجوانب الإنسان المختلفة ويعطيها دورها عن علم ومن يتمسك بجوانب الخيال والوجدان حتى لا يدخل مرحلة العلم، وكأن الجوانب غير العلمية تغنيه عن العلم.

المصيبة أن نشك في حاجتنا إلى العلم ونتردد في قبوله لأنه سيلتهم الدين

إن أمامنا أسئلة صعبة، بل إن أمامنا ولادة فكرية، ولا بد أن يكون لنا مئات وألوف الرجال والنساء ممن يسامون أقوى العلماء في مختلف العلوم، وبخاصة فيما يتعلق بمشكلات الإنسان والمجتمع، هل عندنا عدد من المؤرخين نفخر بهم، ويكفي عددهم ليوازي ضخامة المشكلات التي تواجهنا؟ كيف نخدم الدين من دون علم؟ هل عندنا أجوبة لا نخسر بها ديننا وندخل بها العصر؟ نحن نشكو من أن الناس لا يفهمون هذا الدين العظيم ولا يعملون بموجبه ثم نتردد هل من الأفضل أن نستزيد في دراسة الناس أم لا؟ كيف نفهم الناس إلا من خلال دراسة ماضي البشر وحاضر البشر: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) العنكبوت: ٢٠، (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الحج: ٤٦.

ليس هناك من مصدر لمعرفة البشر إلا أن نرى البشر وندرس ملاحظات من درسوا البشر، هل هناك من طريق أخرى؟ يقولون إن هذه العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع فيها سمّ في الدّسم، فما الحلّ؟ أن نترك هذه العلوم! إذا كان هذا هو الجواب فليس عجباً ما يصيبنا، وليس عجباً مكاننا على هامش العالم، بل العجب ألا يصيبنا أكثر، نعم إن هذه العلوم تحتوي على أخطاء كثيرة، وأي علم لا يحتوي على أخطاء كثيرة؟ فما الحلّ، كيف يحلُّ الناس مشكلة الأخطاء إلا بالدراسة الجادة أكثر وأكثر؟ ■

بين العلمانية والماسونية

بقلم : سامي الجيتاوي

إن علاقة الدين بالدولة من القضايا التي شغلت الإنسانية منذ نشأتها، فكانت دائماً موضع اهتمام السياسيين وعلماء الاجتماع والفلاسفة... وقد رافقها فيض من الخلافات والمجادلات.

وقد نشأت الدعوة للعلمانية في أوروبا من خلال الصراع الدائر منذ القرن السادس عشر بين الكاثوليك والبروتستنت من جهة وبين ملوك أوروبا والكرسي البابوي من جهة أخرى... وبين اليهود والمسيحيين من جهة ثالثة... والذي استمر إلى قيام الثورة الفرنسية العام ١٧٨٩ فكانت الثورة الفرنسية الماسونية شبه خاتمة التوتر الذي ساد في الأوساط الشعبية ضد طبقة الأكليروس... إذ إن أول التدابير التي اتخذها الثوار الفرنسيون... هو وضعهم للدستور المدني للأكليروس ومن بنوده:

«وجوب اختيار الأساقفة من قبل الشعب... بدل تعيينهم من قبل البابا ومصادرة أملاك الكنيسة...» ثم جاء إعلان حقوق الإنسان الذي نصَّت مادته الأولى والثانية على ما يلي:-

المادة الأولى: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ... فقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة الثانية: لكل إنسان حق التمتع بالحقوق والحريات كافة الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي شيء آخر... فكرّس هذا الإعلان القطيعة بين الدولة الفرنسية والأكليروس... إذ لم يأت على ذكر الدين ... بل أعلن الحرية والإخاء والمساواة بين الناس بما في ذلك حرية المعتقد الديني ... فكان من جراء ذلك أن أعلنت الكنيسة في أواخر القرن التاسع عشر في عهد البابا «لاون الثالث عشر» مبدأ التفريق بين السلطتين الدينية والمدنية ... واستقلال كل منهما في حقل نشاطه وصلاحياته... فميزت بين المجتمع الديني والمجتمع المدني ... باعتبار أن الأول مكلف بالنظام الروحي، والثاني بالنظام الزمني ... وكل منهما سيد في مجال اختصاصه ... كما أعلنت أنه لا يجوز إلزام أحد من الناس اعتناق الدين الكاثوليكي بالقوة ... وتواصل تطور القضية في فرنسا ... حتى استقرت على صفة قانونية أقرَّها المجلس النيابي الفرنسي في قانون سنة ١٩٠٥م الذي نصَّ على حرية المعتقد وعلمانية الدولة.

فالعلمانية بإيجاز : هي عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد وعن شؤون الإدارة والتعليم والحكم.

لقد عرف اليهود ما للدين من أثر على الأفراد والجماعات... فقد تشتتوا تحت كل سماء وفوق كل أرض ... واندثرت لغتهم أو كادت ... ولكن رابطة الدين اليهودي هي التي مكّنتهم من تحقيق حلمهم في استيطان فلسطين... وإليك نبذة من أقوال حكمائهم تبين معرفتهم بما للدين من أثر على الأفراد والجماعات ... وتكشف سر حربهم للدين ... الذي يعلمون أنه وحده القادر على تكتيل الجهود للوقوف كالطود الشامخ في سبيل أطماعهم الخبيثة ...

العلمانية عزل الدين عن الإدارة والتعليم والحكم

١ - قال يوسف الحاج - والذي كان ماسونياً ثم خرج منها ... وفضح الماسونية في كتابه الشهير «هيكل سليمان» إذ قال (ص٧٣) ما نصه: «ويشهد الله ... أننا ما قصرنا في شيء من العطف على أبناء إسرائيل طيلة السنين التي خالطناهم فيها في محافل - الحرية ... والإخاء ... والمساواة.

وكم من مرة مشينا وإياهم في نشر المبادئ الإنسانية العامة ... غافلين عما كانوا يدبرونه في الخفاء وبمعزل عنا ... للمِّ شعثهم وجمع أشتاتهم من أقاصي الأرض للحصول على السيادة العالمية باسم الدين والقومية!! الذين كانوا يظهرون لنا تذمرهم من التمسك بها وأضرارهما بالمجتمع الإنساني ...» ا.هـ.

٢ - وقال يوسف الحاج في ص ١٠٢ - ١٠٣ في كتابه «هيكل سليمان» تحت عنوان: - زبدة المحاضرات والقرارات الصهيونية - ما نصه: - «إن من شأن الإيمان أن تحمل الشعب على الامتثال لنصائح رعاة الرعية المخلصين ... وبهذا الامتثال ينمو الشعب ويترقى بهدوء وسكينة، وتحت إدارة رؤسائه الأتقياء ... ولذلك وجب علينا أن نُقوِّض أركان كل إيمان، وننزع من عقول الخوارج... أي غير اليهود ... الاعتقاد بالله... شاغلينهم بقوانين رياضية وقوانين مادية ... ومتى

أصبحنا أسياداً لاندع في الوجود سوى ديانتنا... التي تنادي بالإله الواحد... الذي يتعلق به مصيرنا... لأننا نحن شعبه المختار!!

ولأن مصيرنا يقرر مصير العالم... ولذلك علينا أن نلاشي سائر الأديان، فإن أدى عملنا إلى قيام كفرة محدثين فإنهم لا يكونون إلا عنصراً زائلاً... فلا يؤثرون على خطتنا... إلى أن يقول: وحينئذ يكون وكلاء جميع البلدان يهوداً ومن صنائع اليهود... ويبدأ العهد اليهودي... ويبقى كل تنظيم وكل تدبير في أيادي اليهود دون غيرهم... ويكون الخوارج - أي غير اليهود - حراساً ومأموري تنفيذ ليس إلا ...» ا.هـ.

٣ - ألقى الحاخام - ريجهورن - في اجتماع سري عقده اليهود في «براغ» سنة ١٨٦٩م خطاباً جاء فيه: «شعبنا محافظ مؤمن متدين ولكن علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية ...!! فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد... وسنجعل رجال الأديان الأخرى باستهزاءاتنا وتهجمنا عليهم «كما هو حاصل في التمثيليات والأفلام والمسرحيات العربية!!» أضحوكة أولاً... ثم نجعلهم مكروهين... وسنجعل أديانهم مهزلة ...» ا.هـ.

٤ - ألقى الحاخام - عمانوئيل رابينويج - في مجلس الحاخامات الملتئم في بودابست

المفكر اليهودي عمانويل: بقاء الأديان سيكون خطراً دائماً لكيان حاكميتنا

بتاريخ ١٩٥٢/١/١٢م خطاباً جاء فيه ما نصه: «لانريد بقاء دين فوق الأرض غير ديننا... إذ إن بقاء الأديان سيكون خطراً دائماً لكيان حاكميتنا ... لأن الإيمان بالبعث بعد الموت يقوي معنويات الأشخاص ويعطي الإمكانية لمثل هؤلاء الناس لمقاومتنا ومعارضتنا... فلذا سنفني الأديان ... أما نحن فستبقى متمسكين بشعار قومنا وهو الشريعة العبرانية الموروثة لنا ...

٥ - جاء في مجلة أكاسيا الماسونية العام ١٩٠٤م... ما نصه: «إن طريقتنا السياسية هي الحرب ضد الأديان وإيجاد حكومات علمانية ...».

٦ - وجاء في المجلة نفسها السالف ذكرها... الصادرة العام ١٩٠٣م ما نصه: «إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة...»

٧ - ولو رجعنا إلى العام ١٩٢٤م ... إلى مؤتمر لوزان ... لرأينا ماذا كان مطلب اليهوديين - حاييم ناعوم(١) واللورد كردون(٢) - من الأتراك نيابة عن الحلفاء... كي يمنحوا تركيا استقلالها ... إذ كانت مطالبهم:

أ - أن يلغي الأتراك الخلافة الإسلامية.

ب - أن تكون تركيا دولة علمانية ...».

٨ - جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني المنعقد العام ١٩١١م ما يلي: «ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ... وعلينا ألا نألوا جهدنا في القضاء على مظاهرها ...»

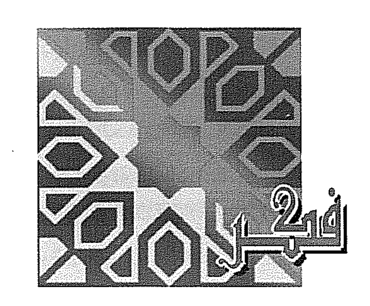
هذه بعض الأقوال التي تميط اللثام عن حقيقة الماسونية ... والتي هي الوجه العصري لحقد تلك الحركات الهدامة القيمة على الإسلام ... رفعت الماسونية لواءها في كل مجتمع ابتلي بها ... وغرضها من ذلك هو القضاء على أي دين ما عدا الدين اليهودي ... وعلى المجتمعات والأفراد كجزء من خطة جهنمية ترمي إلى تفكيك عرى المجتمع ... وإثارة البلبلة بين صفوفه ليخر صريعاً تحت أقدام اليهود ... وإن يقيننا الذي لا يتزعزع أن العاقبة للإسلام والمسلمين ... فكل المؤامرات الدنيئة والهجمات الشرسة التي تعرض لها الإسلام قد انتهت واندثرت ... وبقي الإسلام يتحدى ببقائه كل العملاء والمأجورين ... وكما تخطى المسلمون الحركات الماضية وتغلبوا عليها... فهم قادرون على تخطي الحركات الهدامة الحديثة - بعون الله -

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف: ٢١. ■

الهوامش :

(١) كان عضواً في المجلس الماسوني السامي المصري والمحفل الأكبر الوطني المصري، وحائزاً على الدرجة ٣٣ ... ولد في مدينة مغنيسيا التركية العام ١٨٨٤م وهو من سلاسلة اليهود الذين هاجروا من أسبانيا العام ١٤٩٢م... وكان من مؤسسي «حزب الاتحاد والترقي» واشترك مع اليهودي الدونمي «أحمد مدحت باشا في اغتيال السلطان عبدالعزيز وكان مع الذاهبين إلى قصر السلطان عبدالحميد ليبلغه أمر التنازل عن العرش... لأنه رفض أثناء مقابلته لهرتزل بيع فلسطين لليهود... وكان دولاب المؤتمرات في استنبول، وفي العام ١٩٢٤م اشترك في مؤتمر لوزان مع صديقه «عصمت اينونو» حيث طالبا بأن تكون تركيا دولة علمانية ... ثم عين سفيراً لتركيا العام ١٩٢٦م - ١٩٢٧م في الولايات المتحدة... ومن هناك انتدبته المنظمات اليهودية ليذهب إلى الحبشة للبحث عن سلالة سيدنا سليمان «يهود الفلاشا» وعاد بعد ذلك كله إلى القاهرة ... لتنفيذ المؤتمرات الدولية اليهودية... وكان أحد أعضاء المجمع اللغوي في القاهرة...!! «انظر كتاب جهاد ناطق ص ٦١ - ٦٢ لعمر مفتي زادة، وكتاب الخطر المحيط بالإسلام ... ص ٢٤٩ - لجواد رفعت أتلخان».

(٢) اللورد كردون: يهودي بريطاني ... متزوج من يهودية إيطالية ... تعلم العربية في معهد شملان في لبنان ... وعمل في الإدارة البريطانية في حيفا أيام الانتداب البريطاني على فلسطين، ثم انتقل إلى «جاميكا» واسمه الحقيقي: السير هيونوت ... وقد مُنح لقب لورد بعد استقلال الجزيرة ... وهو يتقن العربية ويعرف معظم قرى فلسطين المحتلة ولبنان ... وهو واضع قرار مجلس الأمن الصادر العام ١٩٦٧م وهذا هو سر الغموض فيه. انظر مجلة الصياد اللبنانية العدد (١٤٨٥) الصادر بتاريخ ١ - ٨ آذار ١٩٧٣م.



علم النفس من منظور إسلامي

لايكاد يختلف اثنان على أن الدراسات الإنسانية في الجامعات والمعاهد الإسلامية بوجه عام تقتفي في مناهجها وقضاياها الفكر الأجنبي وبخاصة الغربي منه، ومن يطلع على المؤلفات العربية في موضوعات هذه الدراسات تطالعه تلك الحقيقة المريرة، وهي حقيقة تمثل خطورة كبيرة، لأن كثيراً من هذه المؤلفات يفرض على طلاب الجامعات فرضاً، ومن ثمَّ يتسرب ما يستوعبونه من الأفكار والآراء الأجنبية إلى عقولهم، ليكون جزءاً أساسياً من ثقافتهم، التي تحدد إطار أسلوبهم الفكري وهم في الوقت نفسه يتخرجون في الجامعة ومعرفتهم بثقافتهم الأصيلة، وواقع أمتهم، وما يجري في أقطارها من مشكلات محدود أو شبه معدوم.(١)

بقلم : أ.د. محمد الدسوقي (*)

ويعد علم النفس من أهم العلوم التي تهتم بالدراسات الإنسانية لأنه يتعلق بالإنسان ومشكلاته المختلفة، وهو علم حديث النشأة نسبياً فقد أنشئ أول معمل تجريبي لهذا العلم في ألمانيا العام ١٨٧٩م.

وقد تضاعف الاهتمام بعلم النفس في الغرب في القرن العشرين، وبخاصة في النصف الثاني منه، وتعددت مدارس هذا العلم، كما تعددت آفاقه وفروعه التي كادت تشمل كثيراً من نواحي الحياة الإنسانية.

ولم تتفق كلمة علماء النفس الغربيين على تحديد فلسفة لعلم النفس، فمنهم من يرى أن هذه الفلسفة تتمثل في اكتشاف قوانين كلية مهمة عن العالم والسلوك، ومنهم من يذهب إلى أن الغاية منها هو محاولة حل المشكلات.(٢)

ومادام علم النفس من أهم الدراسات الإنسانية المعاصرة، ومادامت هذه الدراسات، قد وضع أسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين طوعاً لنتائج بحوث ودراسات أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة لها أساليبها الخاصة في الحياة والتفكير ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة وغايته منها، ولها معاييرها الخاصة في دور الدين في حياة الإنسان(٣)، فإن علم النفس في العالم الإسلامي لا يعبر عن تراث وحضارة هذا العالم، وأن علماء النفس المسلمين في العصر الحديث، قد وقعوا في شرك التبعية العلمية عن وعي أو عن غير وعي، وهيأوا بذلك كل الفرص للطعن في العلم الذي ينتسبون إليه.(٤)

نقد علم النفس

كان وضع علم النفس كما يدرس في الجامعات الإسلامية مثار انتقادات ومآخذ كثيرة من الباحثين المسلمين لهذا العلم، ومع تفاوت بعض آراء هؤلاء الباحثين ومآخذهم تكاد انتقاداتهم لا تخرج عما يلي:

أولاً : إن علم النفس يسوده الاتجاه المادي في تفسير الظواهر النفسية.

ثانياً : سيطرة الفكر «الدارويني» على كثير من بحوث علم النفس وهذا الفكر يعتبر الإنسان سلالة متطورة عن الحيوان.

ثالثاً: إغفال الجانب الروحي من الطبيعة الإنسانية.

رابعاً: استبعاد الدين في دراسة الدوافع لدى الإنسان.

وفضلاً عن هذه القضايا يلاحظ على الدراسات النفسية في الغرب أنها ليست على وعي بالإنسان المتكامل الذي يعيش بحقيقته المتكاملة في دنيا الواقع فانحرف معظمها إلى دراسة أجزاء متفرقة من الإنسان على أنها الإنسان.

وهذه الدراسات مع هذا لا تميز كثيراً بين الحالات السوية والحالات المنحرفة، لأنها فقدت المقياس الذي ترجع إليه لمعرفة الاستواء والانحراف، وعاملت كل شيء على أنه هو الواقع النفسي الذي تستخلص فيه النظريات والتطبيقات، ومن ثم صار الواقع المنحرف الذي يعيشه الناس في الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين هو المقياس الذي تُقاس به النفس الإنسانية، وتصاغ النظريات على أساسه، وهو الصورة الطبيعية السوية التي يتعامل معها العلماء.(٥)

ومن الانتقادات التي توجه إلى علم النفس أنه يستخدم المنهج التجريبي، والنفس الإنسانية لا يمكن إخضاعها للتجارب كما تخضع المادة، فالإنسان ليس جسماً فقط حتى يخضع للعلم كما تخضع الآلة، ولكنه جسم وروح وعقل وقلب وإرادة، ومن قصر النظر أن تنظم الحياة المادية وحدها من غير أن يكون للروح دخل في هذا التنظيم، ومن خطل الرأي أن يشترك في التنظيم العقل وحده دون الاستعانة بالقلب ومن المضحك أن تجرى على الإنسان التجارب التي تجرى على المادة بطريقتها الجافة الحسابية ويكون فيها الإنسان جماداً لا يملك إرادة حرة.(٦)

ويبدو أن عدم تحديد مفهوم التجريب في الدراسات النفسية كان من وراء هذا النقد، وذلك لأن المنهج التجريبي منهج إسلامي وهو في مجال دراسة النفس يحلل خصائص السلوك والأفعال ولا يحلل الأشخاص أو النفس كجوهر لا يمكن إخضاعه كالمادة للتجربة.(٧)

على أن علم النفس مع ما أسلفت من نقد له من قبل كثير من الباحثين المسلمين لا يصدق عليه مفهوم العلم بمعناه الدقيق، أي بمعنى العلم ا لذي تحكمه الموضوعية، والحقائق المجردة من الميول والأهواء، ويبدو ذلك في تعدد الاتجاهات والمدارس الخاصة بهذا العلم، ومدى تأثرها بالثقافة البيئية، والعقائد الدينية، والموجهات السياسية، فمثلاً يعزو بعض الباحثين اهتمام فرويد بالغريزة الجنسية في دراساته النفسية إلى ثقافة العصر الذي عاش فيه، والتي كانت تنظر إلى الجنس نظرة استقرار، وترى أنه يجدر بالإنسان الفاضل أن يقاوم رغباته الجنسية وأن يكبتها، وكان لذلك أثره في توجيه اهتمام فرويد بالجنس بطريقة مبالغ فيها إلى درجة كبيرة بحيث فسر المرض النفسي على أنه ناشيء عن كبت الواقع الجنسي.(٨)

ولعلم النفس السوفييتي خصائص تمثل الفلسفة الماركسية اللينينية، والتي تعرضت لتغيرات عدة منذ قيام الثورة البلشفية وحتى الآن.(٩)

وفي فلسطين المحتلة كما في غيرها من بعض دول العالم مراكز أبحاث للدراسات النفسية خاصة بالدعوة الصهيونية، وبناء الإنسان الصهيوني، مع الاهتمام بالهوية الفلسطينية والتي عجز البطش الصهيوني في فلسطين عن اقتلاع جذورها الإسلامية.

ومع أن علماء النفس المحدثين في المجتمعات الغربية تماشياً مع الاتجاه المادي الذي يغلب على فلسفتهم في الحياة يهملون أثر الدين والنواحي الروحية في الصحة النفسية توجد مراكز بحث علمية مسيحية متخصصة تنظمها فرق من علماء السلوك المسيحيين أو الرهبان المسيحيين، وتهتم هذه المراكز بوضع الخطط الرئيسية المشتركة بين أصحاب جميع العقائد المسيحية.، وكذلك التخطيط لإشراك أكبر عدد من جمهور المسيحيين في النشاط الديني المسيحي والدعوة المسيحية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.(١٠)

إن هذه المراكز تتغيا توظيف علم النفس حماية للعقيدة المسيحية، وتأميناً لمستقبلها.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن علم النفس الغربي يختص بالإنسان الأبيض أكثر من غيره من الشعوب، ليس فقط لأن مجال دراسته كان مقتصراً على دراسة الإنسان الراشد ذي البشرة البيضاء، بل لأن أهداف دراسته خدمة الرجل الأبيض، وهذا يشير إلى الطابع القومي أو الاهتمامات القومية في أبحاث ودراسات علم النفس، وأن هذه الاهتمامات لا تخلو منها هذه الدراسات في مختلف الشعوب والأقطار.(١١)

إن الذي لا مراء فيه أن ثقافة المجتمع وقيمه وفلسفته في الحياة، وتصوره للإنسان والكون ولرسالة الإنسان في الحياة وغايته منها تؤثر في توجيه الدراسات النفسية، وفي تفسير نتائج هذه الدراسات.

وجملة القول: إن علم النفس وجهت إليه انتقادات كثيرة من بعض الباحثين المسلمين، وحتى من بعض الغربيين، وهي انتقادات لا تلغي أو تقلل من جهد العلماء الذين درسوا النفس الإنسانية، وحللوا مشكلاتها، أو عدم الانتفاع ببعض الآراء والنتائج التي انتهى إليها هؤلاء العلماء في أبحاثهم، وإنما مرد تلك الانتقادات من قبل الباحثين المسلمين إلى أن علم النفس وغيره من العلوم الإنسانية التي تدرّس في الجامعات الإسلامية لم تخضع للتحليل النقدي لمعرفة مدى اتفاق مفاهيمها ونظرياتها مع المبادئ الإسلامية، فقد نقلت مقررات هذه العلوم من الجامعات الغربية دون أدنى تفكير في مدى اتفاقها مع مبادئنا وقيمنا الإسلامية، ويرجع ذلك إلى أن الذين تخصصوا في هذه العلوم من المسلمين درسوا في الجامعات الغربية على الأغلب، وتتلمذوا على علماء غربيين، وهم على الأغلب يجهلون تراثهم الإسلامي، أو على الأقل على غير إلمام دقيق به، بسبب ثنائية التعليم التي خرّجت أجيالاً من الدارسين معظمهم لا علاقة له وثيقة بالدراسات الدقيقة للإسلام وقيمه، وهؤلاء هم الذين درسوا في الخارج، وعادوا ليدرّسوا في الجامعات الإسلامية، ومن ثم كانوا عاجزين عن التحليل النقدي لفلسفة العلوم الإنسانية، ومنها علم النفس لمعرفة مدى اتفاقها أو عدم اتفاقها مع مبادئ الإسلام.(١٢)

علم النفس من منظور إسلامي

كان من مظاهر الصحوة الإسلامية التي عرفها العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري الدعوة إلى أسلمة العلوم، وقد عُقدت

ندوات ومؤتمرات وألّفت كتب، وأعدت أبحاث في موضوع هذه الأسلمة، بل إن هناك بعض الدوريات التي تحمل اسم «إسلامية المعرفة» تحاول أن تقدم دراسات في مختلف العلوم من منظور إسلامي من أجل تصحيح المفاهيم، وتوجيه الدراسات والأبحاث وجهة إسلامية حتى يمكن أن يتحقق الحل الإسلامي بمفهومه الشامل.

دعائم العلم في الإسلام

قبل الحديث عن أسلمة علم النفس تجدر الإشارة إلى منزلة العلم في الإسلام، والدعائم التي يقوم عليها العلم في هذا الدين.

إن الإسلام دين العلم بمعناه الشامل، العلم الذي يكفل للإنسان حياة كريمة تخلق بمكانته في الكون ورسالته في الحياة، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر بطلب العلم والتي تبين منزلة الذين يعلمون، وأن الله يرفع درجات الذين أتوا العلم كثيراً، ومن ثم لم يكن الإسلام الذي بعث به محمد - صلى الله عليه وسلم - إنقاذاً للبشرية من ظلمات الوثنية والضلالة فحسب، وإنما كان إنقاذاً لها من ظلمات التخلف والأمية والجهالة كذلك.

وللعلم في الإسلام دعائم أساسية يقوم عليها أهمها

أولاً: إن العلم في الإسلام غايته تكريم الإنسان وتأكيد معنى عبوديته لخالقه، ولهذا كان الأمر للملائكة بالسجود له، لأن الله منحه القدرة على المعرفة والعلم، وهي قدرة تتيح له أن يعرف بعض آيات الله في كونه فيزداد بالوقوف عليها خشية لله، وصدق الله العظيم إذ يقول: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر: ٢٨، وكلمة العلماء في الآية عامة تنسحب على كل عالم يفقه علماً نافعاً ويعمل به.

ثانياً: إن العلم في الإسلام مطلوب مادام الإنسان قادراً عليه، فليس له مرحلة تعليمية يقف عندها، فهو علم يقوم على الاستمرار في الطلب من المهد إلى اللحد، لأن الأمة التي خاطبها الوحي الإلهي أول ما خاطبها بالقراءة والتعليم (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان مالم يعلم) العلق: ١ - ٥، هذه الأمة التي خاطبها الوحي الإلهي بهذه الآيات لن تفارق العلم، لأنها تلازمه ملازمة الظل أو ملازمة الغريم.

ثالثاً: وكما ينهض العلم في الإسلام على دعامة الاستمرار والطلب الموصول ينهض كذلك على الانفتاح على كل الثقافات والعلوم، فهو لا يعرف الانغلاق، ولا يهاب ما لدى الآخرين من فكر وعلم، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها وعند من رآها طلبها.

وإذا كان العلم لا يعرف الانغلاق ويتلمس المعرفة حيث تكون فإنه يكون علماً حياً نامياً متطوراً يلاحق كل جديد ويسهم في تقدم الحياة الإنسانية، ولا ينفصل عن مشكلات الزمان والمكان، وهكذا كان العلم في تاريخنا الحضاري.

رابعاً: يجمع العلم في الإسلام بين الروح والمادة، فليس في هذا الدين مفاضلة بين العلوم، ولا صراع بينها، فكل علم يحقق للإنسان خيراً يدعو إليه الإسلام، ويحض على التعمق فيه.

ولأن العلم في الإسلام ينطلق من عقيدة التوحيد والإيمان بالوحي الإلهي مصدراً للمعرفة الإنسانية كان الصراع منفياً بين العلم والدين، وكان البناء الفكري للعالم المسلم مزاجاً من الجمع بين الروح والمادة، وكان العلم لهذا في خدمة العقيدة والحياة الإنسانية الكريمة.

خامساً: إن العلم بكشفه عن بعض سنن الله في كونه، وبكشفه عن أحكام الله فيما يقع من أحداث ويمارس الإنسان من تصرفات ينبغي إسلامياً أن يكون هادياً لليقين، ومرسخاً للإيمان، وسبيلاً للتطبيق، فالعلم في الإسلام ليس ترفاً عقلياً ولا متعة ذهنية، ولا غاية في ذاته، ولكنه وسيلة للعمل الصالح، وحسن الاستخلاف في الأرض، وتحصيل القوة التي أمر الله بإعدادها إرهاباً لأعداء الله وأعداء الحياة.(١٣)

وتلك أهم دعائم العلم في الإسلام، ومنها يتضح منزلة هذا العلم ورسالته في دنيا الناس، إنها رسالة الطاعة والعبادة والخشية وإعلاء كلمة الله، واستعمار الأرض بالخير والبر واحترام آدمية الإنسان.

تكريم الإنسان

الإنسان أكرم مخلوقات الله، فقد خلقه في أحسن تقويم، وسخّر له كل ما في الكون، وهداه النجدين، وأرسل إليه الأنبياء لتذكيره بما يجب عليه نحو خالقه، حتى لا يضل ولا ينسى، فتكون عاقبة أمره خسراً، إنها رحمة الله بالإنسان، رحمة سابقة تتجاوز عن الهفوات والسيئات، وتفتح باب الأمل في فضل الله، لأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعاً، قال الله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء: ٧٠.

وبنو آدم في الآية يشمل الرجال والنساء، فالتكريم للإنسان ذكراً أو أنثى، وقد أومأت الآية إلى طرف مما أنعم الله به على هذا الإنسان المكرم، فقد يسرالله له وسائل الانتقال في البر والبحر، لينتفع بما أودع الله في الأرض والبحار من خيرات، وليعتبر بما كان من الأمم التي بغت وأفسدت، وما آل إليه مصيرها، ولينظر في سنن الله في كونه، حتى لا تهجم عليه وساوس الشيطان، أو يقع فريسة لكل من يزين له الانحراف والفساد.

كذلك أغدق الله على الإنسان الطيبات من كل شيء، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فلا غرو أن كان هذا الإنسان مفضلاً على كثير ممن خلق المولى سبحانه تفضيلاً.

إن الإنسان بنيان الله، خلقه من صلصال كالفخار، ونفخ فيه من روحه، ومنحه عقلاً يميز به بين الخير والشر، والحق والباطل، والنافع والضار، وأعطاه إرادة ليختار ما يطمئن إليه فؤاده، وبهذا كله كان مكلفاً ومسؤولاً ومحاسباً على ما قدمت يداه.

وحديث القرآن والسنة النبوية عن الإنسان حديث طويل، لذا يمكن القول من دون إسراف إن النص الشرعي كله موجه إلى الإنسان وهذا النص يكشف بجلاء عن خصائص الإنسان النفسية والعقلية والمادية، وأسباب سعادته وشقوته، ووسائل شفائه مما يلم به من أمراض عضوية أو غير عضوية، وسوى ذلك مما يكفل للإنسان حياة سوية تلائم فطرته، وتؤكد كرامته، وتدفع عنه كل ما يهبط بمنزلته، أو ينال من رسالته في الحياة.

علم النفس من منظور إسلامي

يتضح من النقد الذي وجه إلى علم النفس كما يدرس في الجامعات الإسلامية الآن، وما أشرت إليه عن منزلة العلم وأهم دعائمه في الإسلام، وتكريم الله للإنسان أن هذا العلم بقيمه وفلسفته الأجنبية لا يلتقي مع قيمنا الدينية، وهويتنا الثقافية، وميراثنا الحضاري وأنه في سبيل هذا أقيمت بعض الندوات، وصدرت بعض الدراسات حول إسلامية علم النفس، وحاصل الآراء في موضوع هذه الأسلمة يتناول ما يلي:

أولاً : تحديد أهداف علم النفس من منظور إسلامي.

ثانياً : النظرة الإسلامية للإنسان.

ثالثاً : وجوب التعاون بين فقها ء الشريعة وعلماء النفس في التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

أما تحديد أهداف علم النفس من منظور إسلامي فإن هذه الأهداف لا تخرج عن مهمة العلم في الإسلام، وهي مهمة جليلة تسعى للكشف عن سنن الله وآياته في خلقه، ليزداد المؤمنون بذلك إيماناً، وليستطيعوا مقاومة الضلال والانحراف عن طريق الله بالحجة الدامغة والكلمة الفاصلة والموعظة الحسنة، كما أن من مهمة العلم في الإسلام الانتفاع الأمثل بما أودع الله في الكون من نعم، وكذلك حل كل المشكلات التي تعترض طريق الإنسان، حتى يظل أهلاً لرسالة الاستخلاف في الأرض.

ويمكن القول إن الأهداف المباشرة لعلم النفس من منظور إسلامي تدور في نطاق الكشف عن المبادئ والقوانين التي تنظم سلوك الإنسان في الحياة وفق مشيئة الله تعالى، ومعرفة المنهج الصحيح لحياته وفق هذه القوانين الإلهية ما يحقق له السعادة في الدارين، ثم معرفة أسباب انحراف الإنسان عن الحياة المثلى السوية، ما يسبب له القلق والشقاء والمرض النفسي.(١٤)

إن تحديد الهدف لكل عمل أو نشاط ذهني أو بدني يضبط هذا العمل، ويحول دون بذله في غير غاية واضحة، ويسدد خطاه نحو الهدف المنشود، وعلم النفس إذا حدد هدفه بما أومأت إليه آنفاً يصبح علماً إسلامياً يحمي الحياة الإنسانية من غوائل المادية والمفاهيم التي تنأى بهذه الحياة عن شرع الله.

ويطول الحديث عن النظرة الإسلامية للإنسان، لأن النص الشرعي جاء كله خطاباً له، وبياناً لما يجب عليه ويسأل عنه، ويكفي هنا أن الإسلام وهو دين الفطرة لا يرى الإنسان جسماً فقط ولا عقلاً فقط ولا روحاً فقط، ولكنه كل متكامل من هذه العناصر جميعاً.

إن طبيعة الإنسان ذات أبعاد ثلاثة: الجسم والعقل والروح، وبقدر ما بين هذه الأبعاد الأساسية لشخصية الإنسان من توافق وانسجام يكون تكامل شخصية الإنسان ويكون تقدمه وسعادته.

يقول الله تعالى: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ص: ٧١ ـ ٧٢.

تدل هذه الآية على أن الإنسان كائن متفرد في كل ما نعلم من مخلوقات هذا الكون التي تمثل طبيعة واحدة ذات وجهة واحدة، على حين أن الكيان البشري كيان مزدوج الطبيعة، فالإنسان قبضة من طين ونفخة من روح الله، أما الحيوان حتى في أعلى درجاته التي تشابه الإنسان في تركيبه الجسماني فهو مخلوق ذو طبيعة واحدة تتحدد بحدود الجسد والغرائز والتصرفات الغريزية.

أما الملك ـ كما حدثنا القرآن عنه ـ فهو مخلوق ذو طبيعة واحدة وذو اتجاه واحد، مخلوق يعيش في نطاق روحه ويطيع توجيهاته بلا إرادة ذاتية ولا تصرف ذاتي.

ولأن الإنسان وحده ـ فيما نعلم من الكائنات ـ هو الكائن المزدوج الطبيعة القادر على أكثر من اتجاه كانت حياته مزاجاً من المادة والروح، وكان بنعمة العقل يقيم التوازن بين قبضة الطين ونفخة الروح، فلا تطغى هذه على تلك أو العكس.(١٥)

وبنعمة العقل التي يتحقق بها التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في الكيان الإنساني يتحقق بها أيضاً اختيار أحد الطريقين، طريق الخير وطريق الشر، قال الله تعالى: (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها) الشمس: ٧ ـ ١٠.

وإذا كان الإنسان لديه الاستعداد الفطري لتمييز الخير من الشر فإنه يميل فطرياً إلى فعل الخير، ويشعر بالارتياح لفعله، كما يميل فطرياً إلى تجنب الشر، ويشعر بعدم الارتياح وعدم الرضا لفعله، وقد روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يشير إلى هذا بقوله: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»(١٦).

ولا مراء في أن التصور الإسلامي للإنسان، وأنه خيِّر بالفطرة يرفض رأي فرويد وغيره من علماء النفس الذين يذهبون إلى أن في الإنسان ميلاً فطرياً إلى العدوان والشر، كما لا يقبل رأي بعض علماء الاجتماع وعلماء الجريمة الذين يذهبون إلى أن بعض الأفراد يولدون مجرمين بالوراثة.

صحيح أن فطرة الخير لدى الإنسان قد تقع تحت تأثير بعض العوامل التربوية والاجتماعية غير الملائمة مما يطمس فيه استعداده الفطري للخير ويغرس فيه بذور الشر والعدوان، ويدفعه إلى فعل الشر وارتكاب الجريمة، وهذا شيء، وما يقول به بعض علماء الاجتماع حول ميراث الجريمة شيء آخر.

إن الإنسان في الإسلام روح ومادة وعقل وإرادة، وفطرته تجنح إلى الخير وتهش له، وتؤثر في سلوكه ظروف التربية والبيئة، وكل علاج لمشكلات هذا الإنسان لن تحقق الصحة النفسية أو الشخصية السوية إلا إذا راعت كل خصائص الإنسان المادية والروحية والعقلية.

ولأننا في عصر لا يقيم للنظريات والآراء المجردة وزناً، وإنما يحترم النظريات والآراء إذا عرفت طريقها للتطبيق، وكانت في صورة منهجية علمية في تناول القضايا وتحليلها ووضع الحلول العملية لها.

وعلم النفس من منظور إسلامي لا يكفي فيه أن نؤكد أن الإسلام قد جاء بالقيم والمفاهيم التي تحفظ على الإنسان فطرته وآدميته

وكرامته، وأن نصوص هذا الدين وضحت المبادئ القويمة التي تحمي الفطرة الإنسانية، وترسم لها طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، وإنما يجب أن تصبح مفاهيم الدين وقيمه في مختلف مجالات الحياة في صورة دراسات منهجية مؤصلة ترتبط بالواقع وتأخذ بكل جديد نافع من المعرفة دون نظر إلى مصدره أو قائله.إن المنظور الإسلامي لعلم النفس لا يعني سرداً للنصوص وشرحها، والأخذ بالأسلوب الخطابي الذي يحرك المشاعر والوجدان، ولا يثير الفكر والعقل، وإنما يعني توظيف النصوص وما اشتمل عليه تراثنا العلمي من آراء في النفس الإنسانية من أجل تأصيل القواعد والمبادئ لهذا العلم حتى يمكن أن نقدمه لأهل الذكر، وعلماء النفس في كل الجامعات والمعاهد العلمية، ونستطيع أن نرفع الصوت عالياً بأن لدينا علماً للنفس يفوق ما لدى الآخرين، فكراً وتأليفاً.

إن من يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس يجب أن يكون متمكناً من هذا العلم تمكناً تاماً، وعلى معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم وتطوره التاريخي ومناهجه في البحث وإسهاماته ونتائجه ونظرياته والمشكلات التي تجري حولها البحوث في الوقت الحاضر.

ولما كان علم النفس الحديث قد تشعب إلى فروع وتخصصات كثيرة يصعب على عالم واحد أن يتمكن منها جميعاً تمكناً دقيقاً، فقد أصبح من الضروري أن يشترك في التأصيل الإسلامي لعلم النفس فريق من علماء النفس المتخصصين في مجالات التخصص المختلفة في الجامعات الإسلامية.

ومن الضروري أيضاً أن من يتصدى للتأصيل الإسلامي لعلم النفس أن يكون على معرفة دقيقة بالأصول والمبادئ الإسلامية، حتى يستطيع أن يبحث عما يوجد في هذه الأصول من موضوعات تتعلق بموضوعات علم النفس.

ولما كان علماء النفس في الأغلب غير ملمين إلماماً كافياً بالأصول والمبادئ الإسلامية، فإنه يصبح من الضروري أن يستعينوا بالعلماء المتخصصين في الشريعة. وأصول الفقه ليقوموا بمهمة الكشف عما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتصل بموضوعات علم النفس.(١٧). إن التعاون بين علماء النفس وعلماء الشريعة ضرورة حتى يمكن الوصول إلى تقديم تصور علمي مبوب لقضايا علم النفس من منظور إسلامي، ودراسة هذه القضايا وفق منهج مقارن يوازن بين الاتجاهات والمدارس المعاصرة لعلم النفس وبين القيم الإسلامية والإسهامات العلمية لكثير من المفكرين المسلمين من علماء الكلام والمتصوفة والفلاسفة والفقهاء في الدراسات النفسية وذلك لتوضيح الخصائص العامة لعلم النفس من منظور إسلامي، وتقديم الدراسات النقدية التحليلية لعلم النفس المعاصر على ضوء مبادئ الإسلام.

إن تلك المبادئ الثلاثة: تحدد أهداف علم النفس من منظور إسلامي، والنظرة الإسلامية للإنسان، والتعاون بين فقهاء الشريعة وعلماء النفس، ومراعاة الأخذ بالدعائم الأساسية للعلم في الإسلام يمكن أن ينتهي بالجهد العلمي في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس إلى دراسات تكشف بجلاء عن المنظور الإسلامي لهذا العلم، وهو منظور يدرس الإنسان روحاً وجسماً وعقلاً، ويلتزم بالقيم الإسلامية التي تكرّم الإنسان، وترسم له طريق فلاحه وسعادته في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

إن هذا المنظور الإسلامي يكفل للإنسان الاطمئنان والأمن في النفس، كما يكفل له الصحة النفسية الحقيقية التي تقود حياته نحو العطاء الطيب والعمل الصالح. ■

(*) أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول ـ كلية الشريعة ـ جامعة قطر

الهوامش :

١ ـ انظر : بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين العرب حول الأسس الاجتماعية في الوطن العربي (١٥١/١) ـ الجمعية العراقية للعلوم الاجتماعية ـ بغداد.

٢ ـ انظر : نحو دستور عمل لعلماء النفس المسلمين للأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود، ندوة علم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٣ ـ انظر : منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس للأستاذ الدكتور محمد عثمان نجاتي ـ أبحاث ندوة علم النفس ـ ص ٣٢١ ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٤ ـ انظر : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس للأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب ـ ص ١٦١ ـ المصدر السابق.

٥ ـ انظر : دراسات في النفس الإنسانية للأستاذ محمد قطب ـ ص ١٤.

٦ ـ انظر : الإسلام نظام إنساني للدكتور مصطفى الرافعي ـ ص ٤٩.

٧ ـ انظر : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ـ ص ١٥٧.

٨ ـ انظر : منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ـ ص ٣٢١.

٩ ـ انظر : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ص ١٦٧.

١٠ ـ انظر : نحو دستور عمل لعلماء النفس المسلمين للأستاذ عبدالحليم محمود ـ ص ٧٩ ـ وما بعدها ـ كتاب ندوة علم النفس.

١١ ـ انظر : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ـ ص ١٥٧.

١٢ ـ انظر : منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ـ ص ٣٢٢.

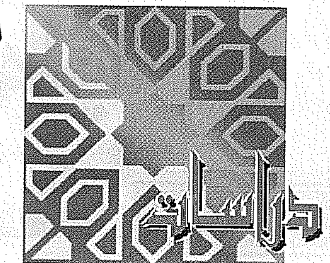
١٣ ـ انظر : دعائم العقيدة في الإسلام: للكاتب، ص ٧٧ ط. كلية الدعوة الإسلامية ـ ليبيا.

١٤ ـ انظر : منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ص ٣٢٦، مرجع سابق.

١٥ ـ انظر : دراسات في النفس الإنسانية ص ٤١ ـ ٤٢.

١٦ ـ رواه الإمام أحمد.

١٧ ـ انظر منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ص ٣٣٧.



الإدارة الإسلامية

بقلم : مطلق القراوي

مدير إدارة التطوير والتدريب في وزارة الأوقاف

خلق الله تعالى البشر منذ خلق آدم عليه السلام على نمط تنظيمي معين يكفل لهم استمرار الحياة ورغد العيش... ويتخذ هذا النمط أشكالاً عدة تبدأ بالفرد ثم بالأسرة فالمجتمع والأمة وتنتهي بالدولة التي تمثل نظاماً إدارياً متكاملاً يعيش تحته مجموعة من البشر... كما توجد من خلال هذه المراحل علاقات عدة ومستويات معيشية مختلفة تقوم على أساسها عملية التعايش والتكافل بأسلوب تعاوني يدار بشكل متوازن خلال هذه المتسويات بما يحقق الهدف المنشود والغاية المطلوبة.... وقد بين لنا القرآن الكريم هذه الصورة في قول الله عز وجل (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) الزخرف: ٣٢. لذا فإننا نجد - في ذلك - أن الإدارة ليست علماً مستحدثاً بل هي سلوك إنساني وجد مع وجود البشر على هذه الأرض، حيث فطر عليه الإنسان وتداوله لا إرادياً إلى أن تم تنظيره وتقنينه وإخراجه كعلم إنساني يخدم البشر.

ما الإدارة ... ؟

عرف المتخصصون الإدارة بتعريفات شتى... فقد عرفها الدكتور محمود عساف في كتابه (أصول الإدارة) مسترشداً بالآية الكريمة السابقة بقوله: «إن الإدارة هي الهيمنة على الآخرين لجعلهم يعملون بكفاءة لتحقيق هدف منشود»... وعرفها الدكتور مدني علاقي في كتابه «الإدارة» (بأنها العملية الخاصة بتنسيق وتوحيد جهود العناصر المادية والبشرية عن طريق تخطيط وتنظيم وتوجيه ومراقبة هذه الجهود من أجل تحقيق الأهداف النهائية)... ومهما تعددت هذه التعريفات فإن الإدارة لا تعدو عن سلوك معين يوجه كل الجهود المادية والبشرية للوصول إلى الهدف... فهي علم وفن، علم بما يحتاجه الإداري من معرفة إدارية واطلاع على أدوات التحليل والقياس... وفن يؤديه الإداري من خلال مهارات وقدرات فنية متميزة تساعده في تحقيق الهدف.

الإدارة الإسلامية

يقول الإمام حسن البنا في رسائله (الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً: فهو دولة ووطن... أو حكومة وأمة... وهو خلق وقوة... أو رحمة وعدالة... وهو ثقافة وقانون... أو علم وقضاء... وهو مادة وثروة... أو كسب وغنى... وهو جهاد ودعوة... أو جيش وفكرة.... كما أنه عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء).

فالإسلام احتوى جميع أمور الحياة منذ أن بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعوته في مكة، بدأ بالإدارة المتميزة التي تحكمها تعاليم الدين وأخلاقه وينتهجها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بصورة جعلت من هذه الزمرة البسيطة في بداية الدعوة دولة تحكم الأرض من مشرقها إلى مغربها... حتى إن العالم بأسره أقر تميز الإدارة الإسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه، وأشاد بها من خلال الدراسات والأبحاث المتخصصة.

خصائص الإدارة الإسلامية

تتميز الإدارة الإسلامية بخصائص عدة منشؤها الدين الإسلامي وتحكمها قواعده وسلوكياته... نذكر منها ما يلي:

١ - الدافعية الدينية:

وهي منطلقة من مبدأ الثواب والعقاب في الإسلام حيث يقول الله عز وجل: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة: ٧ و٨. فالمسلم سواء كان رئيساً أو مرؤوساً يدير عمله في ظلال هذه الآية الكريمة يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه... يقوده إلى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم... في إخلاصه لله تعالى (إنما الأعمال بالنية....) متفق عليه.

وفي همته القوية (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...) رواه مسلم، وفي أدائه المتميز (إن الله - تعالى - يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) رواه البيهقي

٢ - حسن الخلق :

وهو خير ما تتميز به الإدارة الإسلامية بعد الإخلاص، حيث التعامل مع البشر يحتاج إلى معرفة النفوس والتعامل معها بالتي هي أحسن... حتى وإن تطلب العمل الشدة فإن ذلك يكون في حدود الخلق الحسن، فحسن التعامل... وإحسان الظن... والابتعاد عن الاخلاق الذميمة والألفاظ البذيئة أسلوب يساعد بشكل كبير على حسن الأداء ونجاحه... حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيّ) رواه أحمد والبخاري في الأدب.

٣ - الثقة :

وهو مصدر القوة في العمل... فإن تزعزت أنهار العمل وتشتت الجهود... فتظهر الصراعات التي تدفعها النوايا السيئة... وتطغى المشاحنات على جميع وسائل الحوار... حتى تغلق جميع المخارج في وجه جهود الإصلاح والوصول إلى الغاية، فالثقة المتبادلة بين القائد والمرؤوس هي السند الفعلي لسريان العمل وتحقيق النتائج المطلوبة.

٤ - التواضع:

يقال... من تواضع لله رفعه فالتواضع واجتناب الكبر ميزة في التعامل الإسلامي بكل أشكاله بما فيه التعامل الإداري... والتواضع هنا ليس الخضوع والمسكنة... بل هو من متطلبات المحبة الإسلامية التي قام عليها الرباط الروحي الإسلامي وجمع بها الرسول صلى الله عليه وسلم شمل المسلمين وجعلهم على قلب رجل واحد... فيقول عز من قائل (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح: ٢٩...

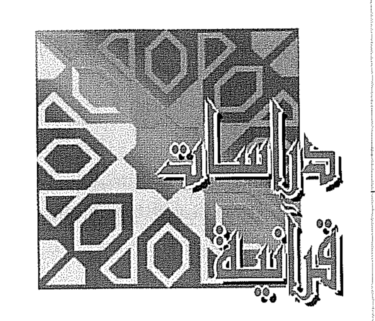
فقوة الشخصية مطلوبة والجد في العمل واجب لكن التواضع المصحوب بالرحمة والرأفة يؤدي إلى زيادة التفاعل وحب العمل وتحقيق الأهداف.

٥ - العدالة :

وبها تحفظ الحقوق وتؤدى الواجبات... فالإدارة الإسلامية تأصل هذه الخاصية التي يدعو إليها الإسلام ويحفظ بها حقوق العاملين، كما أنها تقر المساواة في الحقوق والواجبات على كل مسلم، وترفض التفرقة والمحاباة حتى في أعلى مستوى... فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حق من أراد أن يشفع لإحدى النساء عندما سرقت «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد!! وايم الله، لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت، لقطعت يدها» متفق عليه.

٦ - الشورى:

يقول الله عز وجل واصفاً عباده المؤمنين (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) الشورى: ٣٨... فقد ربط الله عز وجل الشورى بالايمان وحسن العبادة... وأعطاها منزلة عظيمة بأن جعلها كذلك صفة خاصة للمؤمنين... وهذا ما تميزت به الإدارة الإسلامية فأقرت مبدأ المشاورة واتساع قاعدة اتخاذ القرار حتى يكون القرار أكثر سلامة وصحة، يقول أبو هريرة رضي الله عنه «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه الترمذي. ■



التربية الأسرية العملية من خلال سورة يوسف عليه السلام ٢/٢

استعرضنا في الحلقة السابقة دور تفاعل الأب مع ابنه يوسف، وحسد الأخوة الذي كاد أن يودي بحياة أخيهم في الجب، ثم استمرارهم في كتم الحقيقة أمام أبيهم ظناً منهم أن الحقيقة ماتت، كما استعرضنا معاناة الأب لفقده ابنه الصغير، ثم انتقال يوسف من الجب العميق إلى بيت العزيز، ثم ما حدث معه من فتنة الجنس بعد أن تخطى محنة الصبر الأولى، فإذا به ينتقل من الجب إلى السجن، وهناك يمارس الدعوة في دور تعبير الرؤيا للملك في طريق الخلاص ليوسف من المحنة الأخيرة :

١٥ ـ ثم يأتي المشهد الذي ينتظره كل سجين بإذن الخروج منه، إلا أننا نشاهد يوسف يفاجئ الناس في السابق واللاحق، فلا يخرج حتى تصدر شهادة البراءة من أعلى سلطة في الحكم، ألا وهو الملك الذي فُسّرت رؤياه، وأصبح في شوق للتعرف على مفسر رؤياه، بعد أن أدبه الله تعالى في السجن بضع سنين، وهنا لم تجد امرأة العزيز مهرباً من الاعتراف بالحق والحقيقة التي غابت سبع سنين، نتج عنها قطع الحرية عن أحد أفراد الشعب ظلماً وعدواناً، وإيمان رجلين في السجن: (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليهم(٥٠) قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (٥١) ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٢) وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم (٥٣) قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (٥٥).

ولكن الرسول ﷺ يضيف أمراً آخر: (ففي المسند والصحيحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) وفي لفظ لأحمد: (لو كنت لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر) وروى وهكذا يفتي رسول الله ﷺ لأمته بالمسارعة للخروج من السجن من دون إذن التبرئة، كما يسمح باتباع يوسف في تقواه في طلب التبرئة حتى يتم الخروج، وهكذا تصبح التربية القرآنية والنبوية تدور مع الضعيف بالفتوى، وتفتح المجال أمام الهمم العالية في تحقيق التقوى، وبذلك تصبح تربية واقيعة في الفتوى ومثالية في التقوى، وهذا لا يتحقق في أي مبدأ تربوي أو عقدي في الوجود إلا في التربية القرآنية والنبوية. ومن هنا يتعلم الأبوان أن تربية أولادهم تدور بتحقيق الحد الأدنى وهو الفتوى وذلك بتعويد أولادهم إقامة الفرائض ثم الواجبات، ثم ترقية من يترقى إلى التقوى وذلك بتعويدهم إقامة السنن والمستحبات:

بقلم : محمد نور سويد

١٦ ـ ثم يصبح سيدنا يوسف مستشاراً خاصاً للملك، بعد أن نصره الله على إخوته وامرأة العزيز، وهكذا يمتحن الله عباده المؤمنين بالبلاء، ليظهر معدن صدقهم ولينكشفوا أمام الملأ الأعلى والملأ الأدنى على حقيقتهم، فيحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وتلك حكمة الله تعالى في جميع خلقه: (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤) قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم (٥٥) وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧).

ونستفيد من قوله: (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) صفات التربية القيادية، فنحتاج أن نربي قادة المستقبل بتوفير صفتي العلم والحفظ والأمانة، وبخاصة في القيادة الاقتصادية التي تحتاج إلى أمانة شديدة، وفي قصة طالوت زيادة أمر آخر يجب توافره في القائد العسكري والسياسي ألا وهو قوة الجسم (وزاده الله بسطة في العلم والجسم) فأصبح لدينا ثلاث مقومات تربوية لتكوين القادة:

١ ـ قوة الجسم فضعيف الجسم لا يقوى على تحمل المسؤلية، لأن القيادة فيها نوع من الإرهاق الجسمي.

٢ ـ العلم والتخصص في الميدان القيادي المنوط به. إذ الجاهل سيصبح ألعوبة لمن هو دونه، أو دمية في الخصوم.

٣ ـ الحفظ والأمانة: إذ الناسي سيضيع أشياء كثيرة، وغير الأمين سيسيل لعابه في الخيانة ضد الأمة، وسينفذ إليه الخصم في شراء ذمته.

١٧ ـ وشاءت قدرة الله أن يحتاج إخوة يوسف للطعام فيسافرون إليه، للحصول على تموين الغذاء من مستشار الملك، وهنا تخبرنا الآيات كيف استدرج يوسف إخوته لإحضار والده، بوساطة خطة محكمة مع جنوده، وذلك بتزويدهم بالغذاء وبرد بضاعتهم إليهم، حتى

يحضروا له أخاهم من أبيهم، وهنا نعلم أن إخوة يوسف الذين كادوا له لم يكونوا إخوة أشقاء، وإنما إخوة لأب، وهنا نحصل على معلومة جديدة أن الغيرة تكون أكثر من إخوة لأب منها لإخوة أشقاء، وهذا يعني أن يتنبه كل معدد في الزواج لمكر الزوجات بعضهن مع بعض، وكذلك مكر أولادهن بعضهن لبعض، وكان ذلك واضحاً للأب يعقوب منذ البداية عندما أمر ابنه الصغير أن لا يحدث إخوته برؤياه: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (٥٩) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون (٦٠) قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون (٦١). فذهبوا بالبضاعة والغذاء وهم فرحون مستبشرون، وهم لا يدرون خطة يوسف بأنه لم يأخذ منهم ثمناً، فأرجع لهم بضاعتهم مع الغذاء. (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون (٦٢). وقد تحققت خطة يوسف باستدراجه لإخوته بتكريمه لهم، وعدم أخذه بضاعتهم ثمناً لما قدمه لهم، فيرونه كريماً محسناً، ترغيباً لهم في العودة إليه معهم أخيهم لكرمه: (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون (٦٣). وهنا يجدر الوقوف عند أمر يوسف: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) لماذا لم يبادر يوسف لتعريف إخوته به، ولم يوصل خبره لوالده بسرعة؟! صحيح إن يوسف يتصرف هنا كرسول ونبي، فإذاً الأمر لم يكن عبثاً في تأخير يوسف لكشف هويته لإخوته، فما الحكمة التربوية المستفادة من ذلك؟ فيما يبدوا لي أنه أراد تربية إخوته تربية عملية واقعية يذوقون فيها الألم، لما جنته أيديهم معه، ولو أنه بادرهم بمعرفته لبقوا مستعلين عليه، ولبقيت نفوسهم مريضة بالحسد والغيرة، بل لربما زادت. فالأمر التربوي مقدم على العاطفة والحب والأخوة والبنوة، أرأيت كيف تسقي الأم الحنون ولدها الرضيع الدواء المر، والطفل يبكي بين يديها، وهكذا الأمر التربوي، فهو مقدم على المشاعر، لأنه سيبني الولد ويضعه في الطريق الصحيح. كثير من الآباء يظن أن إيقاظ طفلهم لصلاة الفجر بعيد عن الحب، وأنه قسوة على الطفل، لست أدري أهم أرحم من رسول الله ﷺ الذي وصفه الله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقوله تعالى: (بالمؤمنين رؤوف رحيم). ولما يوقظن أطفالهن للذهاب إلى المدرسة ليتعلموا علوم الدنيا، ولا يوقظونهم لعلم الدنيا والآخرة؟! إنه تناقض في التفكير، وتسيب في التطبيق، وعدم إدراك أهمية التربية الصحيحة.

أما بقاء كتمانه أمره عن والده، فهو أن يوسف يعرف أن والده نبي يتحمل ألم الفراق شيئاً قليلاً، بالإضافة إلى إرساله بعض الإشارات التي وصلت إلى والده مما زادت في تفاؤله إلى لقائه.

١٨ ـ وهنا يعرض القرآن الحوار مجدداً بين الأب وأبنائه المشكوك في نواياهم، إذ جرح فقدان يعقوب لابنه الصغير ما زال يؤثر في نفسه، لذلك قدموا لوالدهم الحجة التي مهد لها يوسف، بكرمه وتكريمه لهم، وسخائه عليهم: (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين (٦٤) ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير (٦٥).

وأمام ضغط الواقع يطلب الأب من أبنائه موثقاً من الله تعالى بأن يحافظوا على أخيهم من أبيهم: (قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (٦٦).

١٩ ـ ثم يبين القرآن حقيقة أن: (العين حق) (٣)؟ وأن تأثير الحسد أو عدمه هو بإذن الله، وهذه المشكلة تنتاب الأسر جميعها، وعلى الأخص الأسر ذوات الأولاد الكثر، وقد نزلت المعوذتان لحل المشكلة، فكان رسول الله ﷺ يقرأ بهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً وينفث على يديه ويمسح بهما ما وصلت يداه إلى جسده الشريف وذلك كل ليلة قبل النوم، وذلك تعليماً لنا: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (٦٧) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦٨). وهنا نلاحظ أن تدبير الأب كان سبباً في إظهار مطلب ولده يوسف؛ بحيث أعانه على الخلوة بأخيه؛ وإخباره بحقيقة الأمر: (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون (٦٩). وهنا نستفيد بضرورة كشف الحقيقة أمام الأخ البريء وذلك حتى لا ينتابه الخوف والذعر، وأما الأخ المتآمر فلابد له من التأديب وهذا ما فعله يوسف.

٢٠ ـ ثم تستعرض الآيات التخطيط الهادف البريء، بإحكام خطة عملية واقعية، ليأخذ يوسف أخاه، وأن الحاكم والقاضي يحتاجان لوسائل غير اعتيادية لإظهار الحق، وذلك حتى يفاجئ الباطل فيقر بذنبه، فيتوب عن فعلته، وأن الأسلوب المادي في القضاء خير دليل على إقامة البينة، ثم نستفيد أمراً تربوياً من يوسف حيث لم يتسرع في تسمية العقوبة، وإنما أخذها منهم، ليكون أدعى لإقامة الحق والعدل، وحتى لا يعودوا عليه بالتبرير: (فلما جهّزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون (٧٠) قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون (٧١) قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم (٧٢) قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين (٩٧٣ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين (٧٤) قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين (٧٥). وهنا نلحظ التخطيط المحكم ببدئه بتفتيش أوعيتهم حتى يفرحوا ببراءتهم ومن ثمَّ يسهل عليهم تطبيق نتيجة الحكم: (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه). ثم تختم الآية بأن ذلك كله بتدبير من الله تعالى، وليس من عبقرية يوسف، كما قال لنبيه محمد ﷺ عن رميه للتراب في وجوه المشركين ببدر: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فجاء البيان عن خطة يوسف: (كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم (٧٦). ثم يعود الحوار بين يوسف الحاكم وبين إخوته، فنلحظ ضبط يوسف لأعصابه، وأنه لم يكشف أمره رغم التهمة الكبيرة التي وجهها إخوته لأخ لهم رموه في غيابت الجب، ونجد يوسف ينبه إخوته إلى ضرورة تذكر الخوف من الله، وأمام ظاهرة عدم انصياعه للظلم مرة ثانية، بأن يأخذ أحد الإخوة مكان الذي وجد متاعه عنده، فيكرر يوسف: (معاذ

الله) كما قال لامرأة العزيز ذلك لما دعته، إنه درس إيماني عملي في كيفية مواجهة الدعوة إلى المعصية، بالاستعاذة بالله تعالى: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون (٧٧) قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين (٧٨) قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون (٧٩). ونريد أن نقف محللين لحال الإخوة: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) فقد تنصل الإخوة من أخيهم لأب، وبكل جرأة اتهموا أخاهم من قبل بالسرقة وهو بريء، فهذا يدل على غطرستهم في الباطل، فهم يحتاجون لمزيد من التأديب، لذلك (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون). ثم نرى مشهداً شورياً بين الإخوة، وفي هذه المرة يكون العرض صحيحاً وسليماً، لأن الأمور بدأت تتعقد أمامهم، ولم يعد إلا الصدق للتخلص من المأزق، ونلاحظ استيقاظ ضمير الأخ الأكبر، وهنا ندرك أهمية الأخ الكبير في توجيه إخوته الأصغر منه، والعناية به ستعين الوالد في تربية الإخوة الباقين. (فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين (٨٠) ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (٨١) واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون (٨٢).

وتظهر الآيات كيفية استبانة كذب الابن من صدقه، فعندما كذبوا على أبيهم قالوا: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين)، وذلك بأسلوب الاستفهام الاستنكاري المدلس، وعندما صدقوا أباهم قالوا: (وإنا لصادقون) وفي المرة الأولى (جاؤوا على قميصه بدم كذب ليراه، وفي المرة الثانية قالوا: (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها)، ولما كانوا كاذبين أكدوا صدقهم بالدم الكاذب على القميص، وعندما كانوا صادقين لم يؤكدوا. وتلك من علامات الصدق والكذب في الأبناء مع والديهم، أو يمكن القول إنها حال عامة في الصدق والكذب.

٢١ ـ وأمام فقد الأب لابنه الثاني يظهر إيمان سيدنا يعقوب ويتكرر مشهد الصبر الجميل من قبل الوالد المؤمن الواثق بالله تعالى، فيعطي أبناءه درساً إيمانياً في التوكل على الله تعالى، وعدم اليأس من رحمة الله في أشد المصائب الأسرية وذلك بفقدان أصغري أبنائه، وأن الابن يستمد الصمود على مواجهة الأحداث من موقف أبيه، فيستفيد منه رجولة الصبر على مواجهة الأحداث: (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم (٨٣) وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (٨٤) قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين (٨٥). وأمام فقد الأب لبصره وولديه يتكرر المشهد الإيماني أمام أولاده معلماً ومربياً لأولاده، بخمس قواعد إيمانية تربوية، تعلمهم كيفية مواجهة الأحداث :

١ ـ قال إنما اشكو بثي وحزني إلى الله
٢ ـ وأعلم من الله ما لا تعلمون (٨٦)
٣ ـ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه
٤ ـ ولا تيئسوا من روح الله
٥ ـ إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون (٨٧).

٢٢ ـ ثم تعرض الآيات ثمرة طاعة الأبناء لوالدهم، فإذا بالمشكلة تبدأ بالحل، وإذا بهم يحصلون على أضعاف ما كانوا يتوقعون، فيحصلون على الغذاء والإخوة ومنصب أخيهم مستشاراً عند الملك، وشفاء أبيهم من العمى، ويعلم يوسف إخوته وهو في مركز الحكم كيفية التقوى عن طريق الصبر والصفح عن الذنب بعد اعتراف المذنب بذنبه: (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين (٨٨) قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون (٨٤٩) قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد مَنّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (٩٠) قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين (٩١) قال لا تثريب عليكم اليوم ويغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٩٢) اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين (٩٣).

٢٣ ـ ثم يأتي مشهد الأب المؤمن الواثق بلطف الله تعالى وكرمه: (ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (٩٤) قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (٩٥) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم أني أعلم من الله ما لا تعلمون (٩٦).

ثم يأتي مشهد المواجهة بين الأب الصادق المنتصر على محنة البلاء على يد أولاده فيطلبون منه العفو والمغفرة فيعد الأب أبناءه، وهذا هو المطلوب من كل أب العفو والصفح عن أخطاء أولاده بعد إقرارهم بخطئهم وطلبهم السماح مهما كان خطؤهم فادحاً إلا الكفر: (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين (٩٧) قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (٩٨).

٢٤ ـ ثم يأتي مشهد تفسير رؤيا الطفل الصغير يوسف بعد سنين من الصبر والمحن، فيعلن أمام إخوته رؤياه المكنونة، بلا خوف من إخوته، إذ الجميع أصبحوا كباراً متساوين في القوة والعضلات، وزاد يوسف عليهم بالملك والسلطان، فلابد للكبير أن يعامل أخاه الصغير معاملة حسنة، حتى يترك في نفسه الأثر الطيب، وأن الصغير سوف يصبح كبيراً يوماً ما، وسلطان الكبير على الصغير لن يستمر إلا بالحب والوفاء والإخلاص لإخوته الأصغر منه، ويظهر هنا ولأول مرة دور الأم وحضورها: (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين (٩٩) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم (١٠٠).

وهكذا يتكرر نزغ الشيطان بين الأخوة داخل الأسرة، فتحتاج كل أسرة معرفة حل ذلك (٤).

٢٥ ـ ويستمر يوسف في إظهار الخضوع والذل لله تعالى، ودعائه له، وطلب الوفاة على الإيمان، وهو مطلب الأنبياء فكيف ببقية العباد (ربِّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين (١٠١).

٢٦ ـ ثم تختتم السورة بالتوجه لخطاب سيدنا محمد ﷺ، فيتصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها، ويظهر ابتلاء الرسل، وامتحانهم وظهور ثباتهم وقوة أيمانهم، وتفويض أمرهم إلى الله والتجاؤهم إليه في كل مواقف الحياة العصيبة، ومحنها الشديدة، وتتصل بداية السورة بنهايتها في إقامة الحجة على اليهود من كون النبي ﷺ رسول من عند الله تعالى، وإلا لما استطاع أن يأتي بمثل دقائق قصة يوسف، وأن طريق الدعوة إلى الله تعالى أجره ومكافأته من الله تعالى لا من البشر، وأن الله يهدي من يشاء، وليس على الداعية الهداية وإنما البلاغ، وأن ما يوجد في الكون تنبيه للإنسان للإيمان بالله تعالى، فهذا طريق واضح بيّن مستقيم، ويتبين أن هدف تربية المسلم لأسرته، من أجل أن تكون أسرته مع ركب الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ لا مع ركب فرعون وقارون وأبي جهل، فكل آية تمثل قاعدة كلية من حياة الفرد المسلم والأسرة المسلمة والدعوة الإسلامية، إنها التربية القرآنية التي ترفد المؤمن في كل آن لمن يريد أن يكون عبداً لله تعالى، وذلك نلحظه في الآيات التالية: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢). وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (١٠٣). وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين (١٠٤) وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦). أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (١٠٧) قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون (١٠٩) حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذبوا جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١) صدق الله العظيم.

من خلال ما تقدم نستخلص الحقائق التربوية التالية:

١ ـ التربية باللغة العربية الفصحى (قرآنا عربياً لعلكم تعلقون). واللغة مفتاح العلوم، ومفتاح بناء الشخصية، وطريقة الوصول إلى التفاهم، وتنمية القدرات الفكرية.
٢ ـ التربية بتعبير الرؤيا.
٣ ـ التربية بالحوار.
٤ ـ التربية بالقصة الواقعية الحقيقية.
٥ ـ التربية بالتنبيه من خطورة عاقبة الفعل والمخالفة.
٦ ـ التربية بزرع التوبة بعد حصول الخطأ.
٧ ـ التربية بتعرف نعمة الله على العبد بدلاً من حسد الآخرين.
٨ ـ التربية بالصدق إذ هو المنجاة من المآزق.
٩ ـ التربية على بر الوالدين.
١٠ ـ التربية على الصفح عن الخطأ.
١١ ـ التربية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ورفعهما كشعارات تربوية عملية. كما هو شعار جامعة الكويت الآية: (وقل ربِّ زدني علماً).
١٢ ـ التربية بالنموذج الحي من حياة الأنبياء والمرسلين.
١٣ ـ التربية بزرع الأمل والتفاؤل وعدم اليأس والقنوط.
١٤ ـ التربية بالعدل إذ هو سيد الأحكام.
١٥ ـ التربية على التواضع حتى لو كان في سدة الحكم.
١٦ ـ التربية بالدعوة إلى الله تعالى مهما كانت الظروف قاسية.
١٧ ـ التربية على الالتجاء إلى الله ودعائه لمواجهة الكرب والبلاء والباطل.
١٨ ـ دور الأب في الولاية حيث لاحظنا أن دور الأب يعقوب ـ عليه السلام ـ قد شغل القصة كلها، ولم تذكر الأم إلا في النهاية (ورفع أبويه على العرش) بينما نجد في قصة سيدنا موسى دور أمه في رضاعته، ولم يذكر دور والده، وهذا يؤكد دور الأم في الحضانة ودور الأب في الولاية. فإذا أخل أحدهما أو كلاهما بدوره، ذاقا ويلات ذلك عند كبر الابن في الانحراف والعقوق.
١٩ ـ وإن في خروج يوسف من السجن ورجوعه إلى والديه وإخوته لأمل في خروج أسرى الكويت وأسرى المسلمين من سجونهم وعودتهم إلى أهلهم وذويهم إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

الهوامش

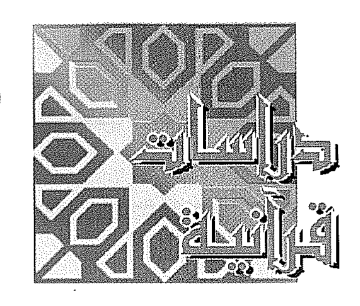
(٣) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد وعبد الرزاق في مصنفه وابن حبان في صحيحه.

(٤) ولدى استعراض الآيات القرآنية، وجد أن علاج ذلك يكون:

١ ـ بذكر الله تعالى وطاعة الرحمن: قال الله تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (٩١) المائدة. قال الله تعالى: (إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (٢٠١) الأعراف. وقال تعالى: (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩) المجادلة.

٢ ـ واختيار الكلمة الحسنة الطيبة: قال الله تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً (٥٣) الإسراء.

٣ ـ الاستعاذة بالله تعالى دائماً: (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم (٢٠٠) الأعراف.



مادة «الزراعة» في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية

بقلم : أ.د. مصطفى رجب

وردت مادة زرع في القرآن الكريم مرات عدة منها:

أولاً: ماجاء في تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك وتدبيره القوت لقومه وهو في السجن حتى نجّاهم الله بحسن رأيه وعظيم حكمته من خطر المجاعة، وذلك قوله تعالى لتعبير يوسف للرؤيا:

(قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحُصنون .ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يَعْصِرون) يوسف/٤٧-٤٩.

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: وهذه مشورة أشار بها نبي الله على القوم ورأى لهم رأيا صالحا يأمرهم فيه باستبقاء طعامهم. أي بقوله: ماحصدتم في كل سنة من السنين المخصبة فذروا ذلك المحصود في سنبله ولاتفصلوه عنها لئلا يسوس وليكون أبقى (إلا قليلا مما تأكلون) ثم قال عليه السلام (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) أي من بعد السنين المخصبة ستأتي سبع سنوات مجدبة يصعب أمدها على الناس(يأكلن ماقدمتم لهن) من تلك الحبوب المتروكة في سنابلها، وإسناد الأكل إلى السنين مجاز، والمعنى: يأكل الناس فيهن أو يأكل أهلهن ماقدمتم لهن (إلا قليلا مما تحصنون) أي:ماتحبسون من الحب لتزرعوا به، لأن في استبقاء البذر تحصيناً للأقوات.

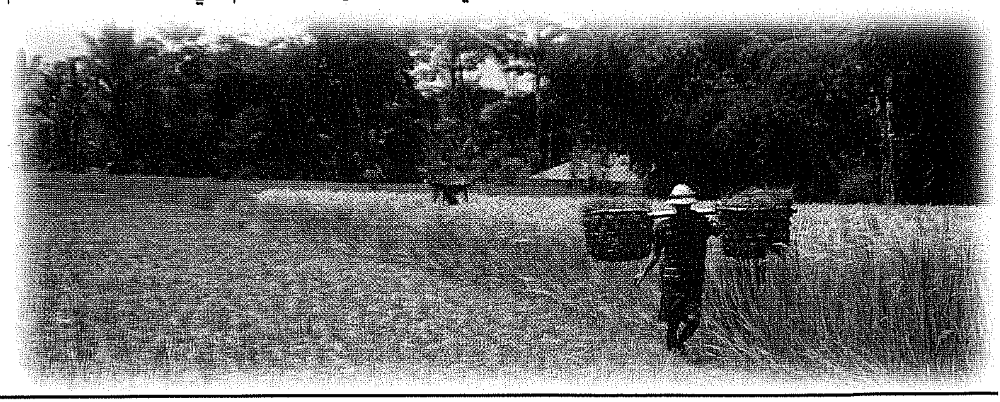
ثم قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام(ثم يأتي من بعد ذلك عام) وهذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله(فيه يغاث الناس) أي يمطرون(وفيه يَعْصِرون) قال ابن عباس: يعصرون الأعناب والدهن ذكره البخاري. وقيل يعصرون العنب خمرا والسمسم دهنا، والزيتون زيتا.

ثانيا: جاء الزرع بمعنى تذكير الله لخلقه بنعمه في إنبات الزرع وتعهده حتى يخرج أطيب الثمرات وذلك قوله تعالى:(أفرأيتم ماتحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) الواقعة/٦٣-٦٥. يقول أبو سعيد الشيرازي «البيضاوي/٦٧٩» أي: أفرأيتم ماتبذرون حبه أأنتم أم نحن المنبتون.

ويقول الإمام النسفي «٢١٢/٤» في الحديث:«لايقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت» وقوله تعالى:(لو نشاء لجعلناه حطاما) الواقعة/٦٥. أي هشيما متكسرا قبل إدراكه. وقال عطاء: تبناً لا قمح فيه، وقيل هشيما لاينتفع به في مطعم وغذاء «فظلتم» وأصله «فظللتم»، حذفت إحدى اللامين تخفيفا. «تفكهون» تتعجبون بما نزل في زرعكم وهو قول عطاء والكلبي وقيل تندمون على نفقاتكم وهو قول بيان. وقال البغوي «٢٨٧/٤ ، ٢٨٨» قال الحسن: تندمون على ماسلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة.

ثالثا: تمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نصرتهم للإسلام وجهادهم في الدعوة إليه بزرع أخرج فراخه فقواه وعاونه فصار من الرقة إلى الغلظ فاستقام على سوقه وصار يعجب الزراع بكثافته وغلظه وحسن منظره، وذلك قوله تعالى:(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) الفتح/٢٩.

فقوله تعالى:«مثلهم» أي صفتهم «في التوراة» ههنا تم الكلام أي أن وصفهم في التوراة أن وجوههم مضيئة بالإيمان تظهر فيها علامات



تذكير الله لخلقه بنعمه في إنبات الزرع وتعهده حتى يخرج أطيب الثمرات

السجود، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: «ومثلهم» أي صفتهم «في الإنجيل كزرع أخرج شطأه» أي فراخه، يقال أشطأ الزرع فهو مشطيء إذا أفرخ،و قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا أخرج مابعده فهو شطؤه وقال السدي: هو ما يخرج معه الطاقة الأخرى، وقوله «فآزره» أي قواه وأعانه وشد أزره «فاستغلظ» ذلك الزرع، «فاستوى» أي تم وتلاحق نباته وقام «على سوقه» أصوله، «يعجب الزراع» أعجب ذلك زراعه.

وقال الإمام النسفي «١٦٤/٤» :هذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قوّاه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع مايحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع «ليغيظ بهم الكفار» تعليل لما ورد عليه تشبيههم بالزرع في نوباتهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعبر به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع مايعدهم به في الدنيا غاظهم ذلك....

رابعاً: ورد ذكر الزرع مع ذكر النخيل والأعناب للدلالة على قدرة الله تعالى التي تدعو الناس إلى الإيمان به أولا، وقدرته على البعث ثانيا، وذلك بأن الأرض تكون مساحتها واحدة وتقسم إلى قطع متجاورات يغرس في بعضها النخيل وفي بعضها العنب، وفي بعضها القمح، وفي بعضها الليمون وغير ذلك من أنواع الفواكة حلوها وحامضها، ومع أن كل الأرض تسقى بماء واحد إلا أنها تختلف في الألوان والطعوم والروائح والمنافع، أليس في ذلك مايدعو أصحاب العقول الى التفكير والتدبر حتى يصلوا الى تدبر وفهم قدرة الإله الواحد وبديع حكمته وذلك قوله تعالى:(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الرعد/٤.

قال الطبري «٦٤/١٣»أي: في الأرض قطع متقاربات متدانيات بقرب بعضها بالجوار وتختلف بالتفاصيل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قطعة سبخة لاتنبت شيئاً في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.

وقال الخازن «٥/٣»: (وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد) والجنات البساتين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك، سمي جنة لأنه يستر بأشجاره الأرض وإليه الإشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) والصنوان جمع صنو وهي نخلات مجتمعة من اصل واحد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس: عم الرجل صنو أبيه يعني أنهما من اصل واحد «وغير صنوان» هي النخلة المنفردة بأصلها.

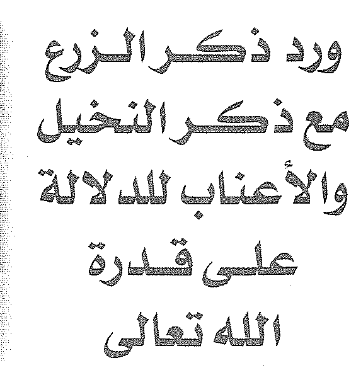
وروى عن الإمام الثوري: «الصنوان: النخل المجتمع وغير الصنوان: النخل المتفرق» وقوله تعالى:(يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) أي أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لاملح فيه ويخالف الله بين طعوم ذلك فيفضل بعضها على بعض في الطعم فهذا حلو وهذا حامض. وقوله تعالى:(إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

قال الإمام الطبري «٦٨/١٣ ، ٦٩»:إن في مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها دليلاً واضحا وعبرة لقوم يعقلون، اختلاف ذلك أن الذي خالف بينه على هذا النحو هو المخالف بين خلقه فيما قسم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان فوفق هذا وخذل هذا وهدى ذا وأضل ولو شاء لسوى بين جميعهم كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربا واحدا وتسقى سقيا وهي متفاضلة في الأكل.

وقال العلامة أبو السعود «١٨٧/٦»: «إن من عقل هذه الأحوال العجيبة لايتلعثم في الجزم بأن من قدر على إبداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على إعادة ما أبدأه بل هي أهون في القياس.. وحيث كانت دلالة هذه الأحوال على مدلولاتها أظهر مماسبق (من ذكر الأرض ورفع السماء من غير عمد) علق كونها آيات بمحض التعقل، ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الأكل ظاهر لكل عاقل فلا يحتاج إلى كثير تفكير وتأمل».

خامسا: ورد ذكر الزرع في مقام امتنان الله سبحانه بنعمه الكثيرة على عباده وأمرهم بشكره عليها وذلك بالإنفاق على المحتاجين قال تعالى:(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين)الأنعام/١٤١.

فالمقصود الأصلي من هذه الآية هو إقامة الدلائل على اثبات ذاته سبحانه وتعالى ووجوب توحيده فقال تعالى:(هو الذي أنشأ) أي أظهر وأنشأه الله ينشئه إنشاء أظهره ورفعه (جنات معروشات وغير معروشات) يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فإن بعض الأعناب تعرض وبعضها يبقى على وجه الأرض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات فما يحتاج إلى أن يتخذ له عروش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وماتجرى مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة





ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وحشيا في البراري والجبال فيبقى غير معروش (والنخل والزرع) فسر ابن عباس الزرع هنا على أنه جميع الحبوب التي تقتات، (مختلفا أكله) والأكل كل مايؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى بإعادة الذكر على احدهما والمراد أن لكل شيء منهما طعما غير طعم الآخر أي أنشأه مقدرا اختلاف أكله (متشابها وغير متشابه) في القدر واللون والطعم ثم قال (كلوا من ثمره إذا أثمر) وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه. وقوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال النيسابوري «٣٦/٦»:اختلف العلماء بالمراد بالحصد فقال البعض هو الزكاة المفروضة، وعلى هذا تكون الآية مدنية، أما البعض الآخر فقال أن هذا حصد في المال سوى الزكاة، وعلى هذا تكون الآية مكية.

وأولى الأقوال عند الإمام الطبري من قال ذلك كان فرضاً فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لاخلاف بينهم على أن صدقة الحرث لاتؤخذ إلا بعد الدراس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف «الطبري/٣٤».

سادسا: ورد ذكر الزرع على لسان إبراهيم عليه السلام حينما أوحى إليه أن يذهب بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى جوار بيت الله الحرام فدعا الله أن يرزقهم من الثمرات ويجعل القلوب تميل إليهم فيعمر هذا المكان ويحصل لهم الأنس والراحة، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)ابراهيم/٣٧.

روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس قال: أول ماتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ،اتخذت منطقا لتعفّي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت ياإبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لايلتفت إليها فقالت له الله الذي أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لايضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الكلمات ورفع يديه فقال رب(إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم) حتى بلغ (يشكرون) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبّط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هي ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ماتغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم علينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لايضيع أهله.

وقوله تعالى: «من ذريتي» ادخل من للتبعيض ومجاز الآية أسكنت من ذريتي ولدا، (بواد غير ذي زرع) وهو مكة لأن مكة واد بين جبلين (عند بيتك المحرّم) سماه محرما لأنه يحرم عنده مالا يحرم عند غيره كما قال الإمام البغوي «٣٧/٣».

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره: لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال «من الناس» فاختُص به المسلمون وقوله (وارزقهم من الثمرات) أي ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما أنه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارا يأكلونها، وقد استجاب الله لذلك كما قال(أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا)القصص/٥٧.

قال ابن كثير«٥٤١/٢»: وهذا من لطفه تعالى ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبى إليها ثمرات ماحولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام.

سابعاً: ذكر الزروع في مقام بيان مآل آل فرعون وحالهم بعد أن تكبروا وتجبروا وعصوا رسول الله موسى عليه السلام ولم يؤمنوا بالله ولا برسوله فأظهر الله قدرته وجبروته وأغرقهم في البحر فلم ينج منهم أحد وتركوا ماكانوا يتمتعون به من نعم وغيره من جنات وعيون وزرع وعيش رغيد وعافية قال تعالى:(كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين) الدخان/٢٥/٢٧.



تؤخذ صدقة الحرث بعد الدراس والتنقية والتذرية وصدقة التمر تؤخذ بعد الجفاف

قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآيات «٣/٨٠٤، ٨٠٥» «كم» هي الخبرية المفيدة للتكثير قرأ الجمهور «مقام» بفتح الميم على انه اسم مكان للقيام، وروي عن نافع بضمها اسم وكان للإقامة والمقام الكريم ماكان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابرو «نعمة» والنعمة بالفتح من التنعيم وبالكسر من الإنعام، وقال الزمخشري«٣/٤٣٢»: وقوله تعالى «فاكهين» قرأ الجمهور «فاكهين» بالألف وقرأ أبو رجاء والحسن وأبو الأشهب والأعرج وشيبة «فكهين» بغير ألف والمعنى على القراءةالأولى متنعمين طيبة أنفسهم وعلى القراءة الثانية: أشرين بطرين.

ثامنا: ورد لفظ «الزرع» ايضا في معرض بيان قدرة الله على إحياء الأرض بعد موتها وذلك بسوق الماء إليها بالمطر فتنبت وتخرج أطيب الثمرات وذلك يدعو إلى التأمل والإيمان بالله : قال تعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) السجدة/٢٧.

قوله تعالى:(أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز) أي الأرض اليابسة الغليظة التي لانبات فيها «فنخرج به» أي بذلك الماء «زرعا تأكل منه أنعامهم» يعني العشب والتبن «وأنفسهم» أي من الحبوب والأقوات«أفلا يبصرون» أي أفلا يعتبرون. والأرض الجُرُز هي الأرض التي لاتمطر إلا مطراً لايغني عنها شيئاً، إلا مايأتيها من السيول.

ومعنى الآية أو لم يروا أنا نجري المطر والأنهار إلى الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعي ولا يقال التي لا تنبت كالسباخ جُرُز فنخرج بالماء زرعا تأكل أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه أفلا يبصرون بأعينهم فيستدلوا به على قدرته سبحانه على إحياء الموتى وفي هذا المقام يقول الحافظ ابن كثير«٣/٢٩٠»:يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إسالة الماء، إما من السماء أو من السبخ وهو ماتحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته، ولذلك قال تعالى:(إلى الأرض الجُرُز) وهي التي لانبات فيها.

وإذا نظرنا في هذه الآية وجدنا أن الأنعام تقدمت على الأنفس في الأكل، وفي هذا المقام يقول الإمام الرازي «٦/٦٠٢»: تقدمت الأنعام على الأنفس في الأكل لوجوه:

أحدها: أن الزرع أول ماينبت يصلح للدواب ولايصلح للإنسان.

الثاني: أن الزرع غذاء الدواب وهو لابد منه، وأما غذاء الإنسان فقد يحصل من الحيوان فكأن الحيوان يأكل الزرع ثم الإنسان يأكل من الحيوان.

الثالث: إشارة إلى أن الأكل من ذوات الدواب «أي من غير عقل» والإنسان يأكل «بحيوانيته» أو بما فيه من القوة العقلية فكما له بالعبادة. وماذكر ه الإمام الرازي كلام جيد وحسن لولا أن الله تعالى ذكر في سورة طه مثل هذه الآية وقدم الإنسان في الأكل على الأنعام، فقال عز وجل (الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) طه/٥٣، ٥٤.

إلا أن يقال- كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم- أنه قدم الإنسان هنا في الأكل لأنه الأصل الذي من أجله خلقت النعم وسخر الله له مافي السماوات وما في الأرض، كما أنه في سورة طه كانت الدعوة إلى الإيمان موجهة إلى فرعون وقومه فناسب ذكر نعم الله على الإنسان أولا، أما في سورة «السجدة» فكانت الآية مسوقة لبيان قدرة الله على البعث وذلك يتحقق سواء ذكر الإنسان أولا او ذكر الأنعام.

نظرة تربوية:

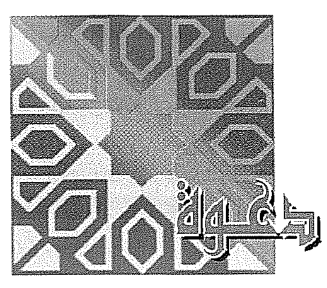
وهكذا نرى أن دوران مادة «زرع» في القرآن الكريم قد تضمن معاني امتنان الله تعالى على خلقه بنعمة من أجل النعم تتعلق بطعامهم وطعام ماسخره الله لهم من دواب وأنعام، كما تضمن معاني القدرة المطلقة التي لاتدانيها قدرة. وتضمن أيضا معاني التدبر في بديع صنع الله وهذا التدبر يقتضي من الإنسان المؤمن أن يزداد تعلقاً برضا ربه وعفوه ومغفرته ويزيده خشوعاً ويقيناً بما وعد الله به عباده المتقين في جنات النعيم.

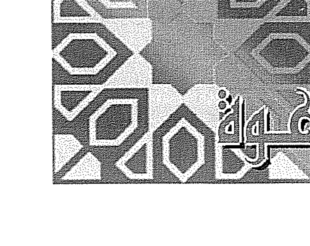
ويقتضي تدبر قدرة الله تعالى من الكافرين أن يثوبوا إلى رشدهم فيعلموا أن صاحب القدرة على الإتيان وتنويع الثمرات جل شأنه قادر على إنفاذ وعيده الذي توعدهم به فعليهم- إذا أدركوا هذا المعنى- أن يتجاوزوا عنادهم وكبرهم ويؤمنوا بخالق الخلق القادر على بعثهم كما خلقهم أول مرة. إنه على مايشاء قدير.

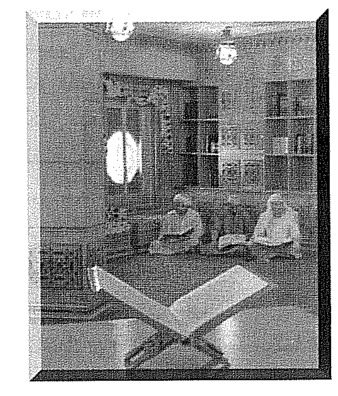
وفي الدلالات العامة لمعاني الزرع والإتيان دروس تربوية عظيمة للقائمين على مؤسساتنا التربوية والإعلامية تتعلق بأساليب تعهد النشء بالرعاية والتوجيه كما يتعهد الزارع زراعته، وتتعلق بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين كما أن النباتات تسقى بماء واحد وتختلف ثمارها حلاوة وحموضة، فكذلك المتعلمون يدروسون منهجاً واحداً على يدي معلم واحد فيتفوق بعضهم ويرسب بعضهم ويظل بعضهم في مرحلة وسطى بين العبقرية والتخلف. فعلى المعلمين ألا يقسوا على ضعاف التحصيل ليصنعوا منهم عباقرة فهذا مخالف للطبيعة البشرية. بل عليهم أن يتخذوا من الرفق مطية لهم حتى يبلغوا بطلابهم بعض مايريدون لاكل مايريدون. ■



صاحب القدرة على الإتيان وتنويع الثمرات جل شأنه قادر على إنفاذ وعيده







المصحف الإمام في الآفاق

بقلم : لقمان محمود

بقلم : لقمان محمود

من الثابت تاريخياً أن جمع القرآن الكريم تمَّ في العام ٦٥٢م في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، الذي استنسخ منه مصاحف عدة، ترك منها واحداً لنفسه حيث سُمي «المصحف الإمام»، كانت تلك بداية التاريخ العجيب لهذه النسخة المحفوظة اليوم في طاشقند عاصمة أوزبكستان السوفييتية في أواسط آسيا، ولكن كيف وصل مصحف عثمان إلى طاشقند؟

من الواضح أن المصحف، وهو يحمل آثار دم الخليفة الراشد الثالث، قد قطع رحلة طويلة وعجيبة من المدينة المنورة إلى أن استقر به المقام أخيراً في أواسط آسيا... وسنستعرض ذلك بشكل موجز.

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

القرآن هو كتاب الله، ومعجزته الكبرى، نزل على رسول الله محمد - ﷺ - منجماً في بضع وعشرين سنة حسب الحوادث والمناسبات، أغلبه نزل في مكة وضواحيها وتسمى سوره في هذا المقام مكية، ونزل الباقي في المدينة المنورة وضواحيها وتسمى سوره في هذا المقام مدنية، وقد اتخذ الرسول - ﷺ - كتَّاباً يكتبون كل ما ينزل من القرآن الكريم أمثال زيد بن ثابت، وأبي ابن كعب، وكانوا يكتبون ما يملى عليهم وينسخون منه صوراً أحياناً يحفظونها، ويعطون واحدة منها للنبي، وكانوا يكتبون كعادة العرب على الجلود والأخشاب والعظام والأحجار والجريد، والنسيج وكل واحدة منها تسمى صحيفة.

وتشير المراجع إلى أن القرآن بقي أثناء حياة النبي محفوظاً على هذه الصورة في تلك الصحف المتفرقة والموزعة بينه وبين الكتَّاب وفي صدور الحُفَّاظ. وقد رتبت السور والآيات في القرآن الكريم بتوقيف من النبي - ﷺ - وبعد موقعة اليمامة، في السنة الثانية عشرة للهجرة بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب التي استشهد فيها سبعون رجلاً من حفظة القرآن، ندب أبو بكر - بناء على اقتراح عمر - زيد بن ثابت لجمع القرآن كتابة، إذ كان أحد كتاب الوحي ومن أوثق الحفَّاظ، ولما جمع المصحف حفظ في بيت أبي بكر وانتقل إلى عمر من بعده، ثم أودع بيت حفصة ابنة عمر بعد وفاة أبيها، وقد أثارت «دائرة المعارف الإسلامية» تساؤلاً: ألم يكن عثمان أجدر أن تودع هذه الصحف عنده؟ ويجيب الدكتور صبحي الصالح: «بل حفصة أولى بذلك وأجدر»، لأن عمر أوصى أن تكون الصحف مودعة لديها، وهي زوجة رسول الله أم المؤمنين، فضلاً عن حفظها القرآن كله في صدرها وتمكنها من القراءة والكتابة، وكان عمر قد جعل أمر الخلافة شورى من بعده، فكيف يُسلَّم إلى عثمان المصحف قبل أن يفكر أحد في اختياره للخلافة؟ وقد ظفر مصحف أبي بكر بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه.

جمع القرآن على عهد عثمان

حين اتسعت الفتوح، وتفرق المسلمون في الأمصار، أخذوا يقرؤون القرآن بقراءات مختلفة، فجمع عثمان الصحابة واستشارهم في تجميع القرآن في مصحف واحد تنسخ منه نسخ ترسل إلى الأمصار، فأقروه على ذلك، وندب له جماعة من الحفاظ على رأسهم زيد بن ثابت، حيث اعتمدوا على الصحف المودعة لدى حفصة، واستنسخوا منها مصاحف عدة وبعثوا إلى كل قطر بمصحف سمي باسم قطره: فقيل المصحف البصري «نسبة إلى البصرة»، والمصحف الكوفي «نسبة إلى الكوفة»، والشامي ... وغيرها، وسمي المصحف الذي احتفظ به عثمان «المصحف الإمام»، وتذكر الرواية أن النسخة هذه كتبها عثمان بنفسه، وعنها نسخت جميع المصاحف في العالم.

وقد اختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فمنهم من قال إن عددها أربع نسخ، بعث إلى كل ناحية واحداً: الكوفة والبصرة والشام، وترك واحداً عنده، والرأي الغالب أن اللجنة استنسخت سبعة مصاحف أرسل ستة منها واحتفظ عثمان بالمصحف السابع لنفسه.

وقد تماثلت تلك المصاحف في اشتمالها على القرآن كله: مئة وأربع عشرة سورة خالية من النقط والشكل، ومن أسماء السور والفواصل اقتداء بأبي بكر، لأن صحفه كانت مجردة من كل ذلك، وفوق هذا جردت المصاحف العثمانية مما ليس بقرآن من الشروح والتفاسير.

مصاحف في الآفاق

إن السؤال الذي يدور في الأذهان: أين أصبحت المصاحف العثمانية الآن؟ ويؤسفنا أن السائل لن يظفر بجواب شاف على هذا السؤال، ويكتفي بهذا الخصوص بما جمعه بعض المستشرقين من الرويات التاريخية التي تؤكد رؤية بعض العلماء القدامى للمصاحف أو السور منها في أمصار إسلامية معينة، وقد ورد في المراجع أن ابن بطوطة رأى بنفسه بعض تلك المصاحف التي يظن أنها عثمانية أو بعض صحائف منها فقط، في غرناطة، ومراكش، والبصرة، وبعض المدن الأخرى خلال رحلاته الكثيرة.

هذا ومن المعروف أن ابن كثير - وهو من علماء القرن الثامن الهجري - قد رأى مصحف الشام، وهو يقول في كتابه «فضائل القرآن»: «أما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق، وقد كان قديماً في مدينة طبرية، ثم نقل منها إلى مدينة دمشق في نحو سنة ٥١٨هـ تقريباً، وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً بخط حسن مبين قوي بحبر محكم، في ورق أظنه من جلود الإبل»، ويبدو كذلك أن الجزري صاحب «النشر في القراءات العشر» وابن فضل الله العمري صاحب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» قد رأيا كلاهما هذا المصحف الشامي نفسه، ويميل بعض الباحثين إلى أن هذا المصحف أمسى زمناً بحوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينغراد، ثم نقل إلى انكلترا، بينما يرى آخرون أن هذا المصحف بقي في مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ١٣١٠هـ، وقد ذكر منير ناصيف في استطلاعه أنه شاهد القرآن الكريم الذي كان يتلوه ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عندما استشهد في منزله، وعلى صفحة منه آثار دمائه الطاهرة. وقد جاء في إشارة أخرى بناء على مشاهدات شخصية أن النسخة الأصلية الوحيدة من القرآن الكريم، التي كتبت بأمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان كانت موجودة في سمرقند حيث احتفظ بها في مسجد «خوجه أحرار فالي» وقد نقلت في العام ١٩٤١م، ووضعت في حافظة بمتحف طاشقند لتاريخ شعوب أوبكستان.

وإذا كانت بعض المشاهدات والرويات يناقض بعضها الآخر، فإن ما نعرفه بكل يقين، ويعلمه كل دارس منصف أن كتاباً غير القرآن لم يحط بالعناية التي أحيط بها، ولم يصل التواتر كما وصل ، فجاء «أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان»، ولا غرو في ذلك فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

إلى أواسط آسيا

نترك المصاحف العثمانية لنركّز اهتمامنا على «المصحف الإمام» والمصحف الذي احتفظ به عثمان لنفسه، ولكن كيف وصلت نسخة القرآن هذه إلى طاشقند؟

هناك روايات عدة تفسر ذلك، وإحدى هذه الروايات تذكر أن تيمور العظيم أحضر هذه النسخة معه إلى عاصمته في سمرقند إبان حملته الشهيرة على سورية، وقد بقيت هذه النسخة محفوظة في جامع خوجة أحرار حتى الاحتلال الروسي لتركستان في القرن الماضي، وهناك رواية أخرى يستدل عليها من الرسالة التي كتبها المستشرق الألماني أدالبرت كوهن بناء على أقوال سمعها من علماء الدين في جامع الملا عبدالجليل والملا محسني «المفتي»، وقد جاء في الرسالة المحفوظة في أرشيف الجامع ما يلي: «قبل نحو ٤٠٠ سنة كان يعيش في مدينة طاشقند رجل تقي ورع اسمه عبيد الله خوجا، وهو يعد من أولياء الله، وفي إحدى السنوات قام بعض مريديه بالحج إلى مكة والأماكن الإسلامية المقدسة، وتشاء الأقدار أن يعود أحد هؤلاء المريدين - بعد إتمامه المناسك - إلى وطنه عن طريق آسيا الصغرى، ووقتها كان الأمير هناك يعاني من مرض عضال عجز جميع أطباء البلاد آنذاك عن معالجته، ولدى وصول المريد إلى المدينة تناقل الناس على الفور الأخبار المتعلقة بالمقدرات الطبية الهائلة لعلماء تركستان، وعندما علم الأمير بالأمر طلب استدعاء هذا المريد الصالح إلى قصره، وبالفعل قام هذا الأخير بمعالجة الأمير باستعمال الأدعية بالإضافة إلى الوسائل الأخرى، وخلال أقل من ثلاثة أيام تحسنت صحة الأمير وتماثل إلى الشفاء بمشيئة الله، وعندما شفي تماماً أعرب لطبيبه الورع عن استعداده لتقديم أي شيء يطلبه كمكافأة على الجهد الذي بذله، فأجاب العالم الكبير أنه يريد الحصول على «المصحف الإمام»، وبهذا الشكل وصل مصحف عثمان إلى تركستان، وفي ٣٠ مايو سنة ١٨٦٩م، أرسل

الجنرال ابراموف، رئيس المنطقة العسكرية ظرف شان، رسالة إلى الحاكم العام كاوفمان يقول فيها إن نسخة من القرآن يعود تاريخها إلى زمن طويل، محفوظة في أحد مساجد سمرقند، وعلى الفور أرسل المقدم سيروف إلى المسجد لتحري إمكان شراء نسخة القرآن تلك، على أن يتم ذلك دون الإساءة إلى مشاعر المسلمين الدينية، فأوزبكستان كانت آنذاك إحدى مستعمرات الإمبراطورية الروسية قبل أن تتحول في العقد الثاني من القرن الحالي إلى إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي، وتقول إفادة سيروف المحفوظة حتى الآن، إنه تحادث مع أئمة المسجد، وفهم منهم أن المصحف بقي قروناً طويلة دون أن تمتد إليه أيدي القراء، لأن أحداً لم يكن قادراً على قراءته وقد عرض الأئمة عليه أن يأخذه لقاء إيداع مبلغ كبير من المال كرهينة.

وهكذا أبلغ سيروف رؤساءه أنه تمكن من إنجاز العملية التي أوفد من أجلها بنجاح دون أن يخدش مشاعر المسلمين في سمرقند، الذين تقبلوا الأمر بسعادة بالغة، وبهذا الشكل وصل مصحف عثمان إلى سانت بطرسبورغ «ليننغراد حالياً» حيث بقي فيها حتى الثورة الاشتراكية في أكتوبر سنة ١٩١٧، بعدها مباشرة، أرسل المصحف، بناء على طلب المسلمين إلى أوفا أولاً، حيث بقي فيها من العام ١٩١٨م إلى العام ١٩٢٣م، ثم أعيد ثانية إلى طاشقند، حيث بقي معروضاً في متحف إيبك لشعوب أوزبكستان حتى يومنا الحاضر.

ترجمة معاني القرآن الكريم

لقد حاول بعض المسلمين ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية والفارسية والجاوية والملاوية والصينية وغيرها من اللغات الشرقية وذلك لتيسير فهمه على هذه الأقوام، ومعظم هذه الترجمات تتضمن الأصل العربي بين أسطر اللغة المترجم إليها، وقد حاول كثير من علماء أوروبا ترجمة معاني القرآن بالرغم من الصعوبات الكثيرة، فظهرت أول ترجمة إلى اللاتينية في أوروبا في منتصف القرن الثاني عشر، وإلى الفرنسية والألمانية والروسية في القرن الثامن عشر، وقد صدرت في السنوات الأخيرة ترجمة إيطالية «ميلانو ١٩٢٩م» وأخرى تشيكية (١٩٣٤م)، وتوجد ترجمة بلغة الإسبيرانتو، اضطلع بها المسلم الإنكليزي خالد شلدريك «لندن ١٩١٤م».

وقد أجريت محاولات عدة لترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأوزبكية الحديثة، ولتبرير ذلك يقول أحد المترجمين «عبدولايف» وهو دكتور في علوم اللغات وأستاذ في معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم الأوزبكية: «على مدى زمن طويل كانت ترجمة القرآن محظورة، كما أن الترجمات التي ظهرت في أقطار عدة أثارت الريبة والشك لدى المسلمين، فمن الصعب أن تكون أميناً على النص الأصلي، وفي بعض الأمكنة قد يكون ذلك مستحيلاً، وبالتالي فليس من قبيل الصدفة أن يطلق على النسخة الإنكليزية الأكاديمية التي ظهرت في العام ١٩٥٩م، اسم «تفسير القرآن»، وكل من يتصدى لهذا العمل الجبار يجب أن يكون ضليعاً ليس باللغة فحسب، بل بأسباب النزول ومناسباته «مصحف عثمان كُتب باللغة العربية الخاصة المعروفة بالكوفية، وهذه اللغة لايستطيع أن يقرأها في العالم بأسره أكثر من مئة شخص»، وإنما يجب أن يعرف كذلك الشروط التاريخية التي ظهر فيها القرآن و«أسباب النزول ومناسباته» بالإضافة إلى عادات سكان الجزيرة العربية وارتباطاتهم، وكذلك جغرافية ذلك الزمان».

وبعد، ففي مطلع العام ١٩٨٥م، كان في الاتحاد السوفييتي ٣٩٢ مسجداً عاملاً فقط، بينما كان قبل ثورة ١٩١٧م، عشرات الآلاف، وخلال هذه الفترة (١٩١٧م - ١٩٨٥م) تقلص عدد المساجد كثيراً إلى حد كبير بسبب الضغوط الإدارية الفظة على المسلمين والتدابير القمعية التي كانت تتبع حيالهم، أما الآن، فقد ازداد عدد المساجد المسجلة فأصبح أربعة أضعاف ما كان عليه وتجاوز ١٥٠٠ مسجد عامر، ويعود المسلمون الآن إلى مباني المساجد القديمة فيرممونها ويحيونها، كما يجري تشييد أخرى جديدة، وهكذا تسلمت الهيئات الإسلامية في أواسط آسيا أبنية المساجد المعروفة في العالم أجمع مثل جامع أقليات في بخارى، والجامي في فرغانه، ومسجد بهاء الدين النقشبندي في منطقة بخارى وغيرها.

لقد كانت عودة مصحف عثمان الذي كان محفوظاً في خزائن الدولة إلى الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى حدثاً كبيراً في حياة المسلمين في الاتحاد السوفييتي خصوصاً بعد السنوات والعقود الطويلة من القمع والكبت، وقد استعاد السكان الآن حريتهم لأداء الشعائر الإسلامية بعد سنوات طويلة من الاضطهاد والتعسف. (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون) الصف: ٨ . ■

المراجــع :

١ - بإشراف أشرف غربال - الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة، العام ١٩٦٥م.

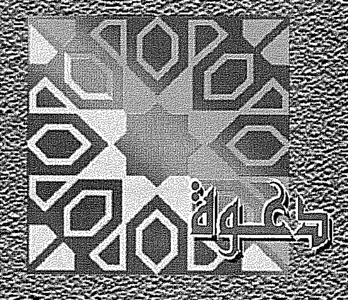
٢ - جان الكسان - كنوز الحضارة الإسلامية وتراثها في الولايات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي - المجلة العربية - سبتمبر العام ١٩٩٠م، ص ٥٥.

٣ - مسابقة مرتلي القرآن - مجلة المدار - العدد ٣٢٧ شهر أغسطس العام ١٩٩٠م.

٤ - د. صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٢م، ص٧.

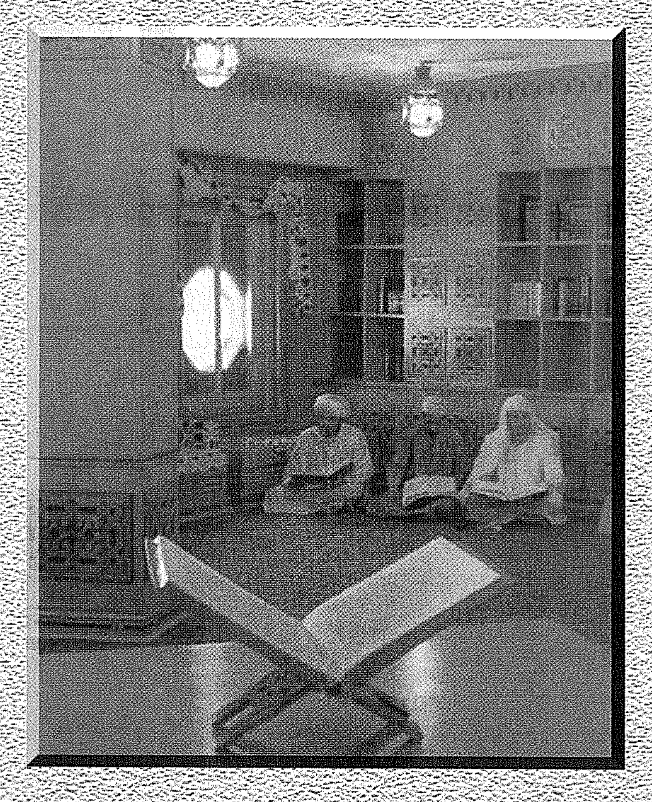
٥ - آثار الرسول في مدينة المساجد والجوامع - استانبول - مجلة العربي - العدد ١١٠ يناير ١٩٦٨م، ص ٤٢.

٦ - البيريسترويكا والإسلام - مجلة المدار - العدد ٣٣٣ فبراير العام ١٩٩١م.









بقلم: عادل السويدي

مما يتميز به الإسلام من أخلاقيات ومثل عليا سامية وقيم وفضائل أقرها للعلاقات الإنسانية العامة التي جاءت مضمنة في تعاليمه التي نص عليها القرآن المجيد وهو دستور الأمة الإسلامية، والذي نزل جملة وتفصيلاً على الرسول الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وقال في حقه جل شأنه: (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم: ٤.

إن بهذا الاصطفاء وهذه المكانة التي تميز بها متخصصة في الرحمة ورسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام قيل في حقه ﷺ: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧.

وبالفعل، فمن رحمة الرسول الكريم بالناس كافة أن جاءهم بالإسلام - الذي هو دار للسلم والمحبة والتكافل، ومصدر للحريات واحترام حقوق الإنسان - لتحرير الناس من ربقة الاستغلال وقيود الرق والاستعباد، وأشاع بين الناس الخير والتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن الإثم والعدوان.

وبقليل من التفكير واستخدام العقل السليم، يتضح أن ما يخالط سلوكيات وأخلاقيات الناس في هذا العصر من موبقات، هو نفسه الذي كان يخالط حياة البشرية سلوكياً وأخلاقياً ومعاملات وعلاقات عامة قبل مجيء الإسلام، وقبل نزول القرآن، أي في غابر الأزمان وسالف العصور، حيث كانت الإنسانية غارقة في أوحال الجاهلية وغياهب العصبية، والرذيلة والمجون والانحلال والظلم، فأي إنسانية تقوى على الظلم والعصبية والجهل والشر أي لم تكن في الحقيقة بالإنسانية، بل كانت حياة بدائية أقرب إلى الحيوانية الشرسة التي لا عقل لها ولا ضمير، بل أنانية وحب الذات، وجور وظلم وظلام دامس مطبق، إلى أن شاع في الربوع نور الإسلام وانبثق فجره الجديد، وصدع صوت الحق، وبدأت دعوة محمد ﷺ تنتشر في الآفاق، وتستقطب من هداهم الله إلى الصراط المستقيم.

ولنا الأسوة الحسنة في السيرة المحمدية المطهرة، وفي الأدب النبوي الشريف إذ فيهما الدروس والعبر، ولو تمسك بهما الناس، وسار الكل على هديهما فلن تجد أثراً لما يتمسرح على خشبة المجتمع الحديث من هزل وزور وبهتان ودس وخداع، وانحراف وسوء أخلاق وخبث، وما إلى ذلك من سلوكيات المجون والانحطاط والفراغ الأخلاقي والروحي، ذلك لأن القرآن الذي هو منهج الحياة، وأساس السلوك والمعاملات والعلاقات والروابط كفيل بتحقيق الحياة الأفضل، والانسجام الأشمل، والتعاون الأكمل بين الناس، وإشاعة المودة والرحمة بين البشر بصفة عامة، والمسلمين بصفة خاصة، وقد جاء ذلك واضحاً في كون القرآن يهدي المسلمين للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة، لكونه يبرمج

كانت الإنسانية غارقة في أوحال الجاهلية وغياهب العصبية والرذيلة والمجون والانحلال والظلم

الحياة على أساس الإصلاح، وينظم هذه الحياة تنظيماً محكماً.

لذلك نجد أن الإسلام - الذي هو دين القرآن عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً - يمتاز بخصائص ومرونة تساير كل الأزمنة والأمكنة، وهو الذي جعل الأمة الإسلامية أمة وسطاً، إذ لا إفراط ولا تفريط، الكل سواسية أمام الحق، وتلك قمة الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، إذ لا مجال للظلم والاعتداء واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ولذلك استحق القرآن المكانة المهمة التي يحتلها منذ نزوله على الرسول ﷺ واستمر العقل البشري في تحليل معانيه، والتمعن والشرح والتفسير لنصوصه وآياته الجامعة الشاملة، ويكفي المسلمين المؤمنين فخراً واعتزازاً - بانتسابهم لأمة القرآن - أن يلمسوا ويدركوا أن هذا القرآن أخذ في هذا العصر يحظى باهتمام واسع، يتجلى في البحوث والدراسات التي تصدر من حين لآخر في أوروبا والعالم الغربي، وهذا الاهتمام ببحث جوانب من القرآن الكريم، دفع الباحثين والدارسين إلى بحث حقائق عن الإسلام، ولم يخف بعض الباحثين في تحليلاتهم وأبحاثهم أن الإسلام يمتاز بعظمة القرآن وشموليته الديناميكية الصالحة لكل زمان ومكان، بحل كل ما يعترض الإنسانية من إشكالات.

قضايا شائكة، نتيجة العصبية والأنانية وحب الذات، والتوتر والقلق، والفراغ الأخلاقي والروحي، والتوسع الجغرافي والتفوق الاستراتيجي.

ومن دوافع الاقتناع، أن العديد من أصحاب الرأي والعقلاء والحكماء، توصلوا في أبحاثهم إلى أن عظمة القرآن، وشموليته المنهجية للحياة، ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية، التي ربطت بين الحياة المادية والروحية برباط موضوعي وأخلاقي، خرج بالإنسانية من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، وتأكد البعض أن غير القرآن مجرد فلسفات تقحم الناس في مجاهل المعرفة، وتجعلهم في تيه دائم يصعب عليهم الوصول إلى رأي سديد، أو حل موضوعي لأي مشكلة من إشكالات العصر، وما أكثرها في العالم المعاصر، وكلما أشكل عليهم الأمر، واستحال عليهم الحل، رجعوا إلى القرآن، فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة، وتوصلوا من خلاله إلى ما هم محتارين فيه، لكن يبقى بعد نتائج الأبحاث ذلك التصادم المعروف بالتحجر الفكري، والإلحاد العقائدي، الذي يروم إلى التغيير فيما لا يحتاج إلى التغيير، إذ هناك ثوابت لا تقبل قيماً غير القيم التي أقرتها، ومناهج غير المناهج التي حددتها، ونجد أن القرآن لم يغفل هذا الجانب حفاظاً على استمرار التوازن، ومراعياً لكون أي اختلال يمس القيم الأساسية والمثل الإنسانية العليا، من شأنه أن يؤدي إلى التصادم الحضاري، ومنه إلى التصادم الفكري والعقائدي، وتلك هي أسباب الصراع الذي نبه القرآن إلى عواقبه الوخيمة على الحياة البشرية، وبالتالي حذّر القرآن من مغبة الخطر الذي من شأنه أن يؤدي إلى التصدع الكوني.

القرآن فتح للناس أبواب الاجتهاد

لقد فتح القرآن للناس أبواب الاجتهاد، وجعل مجالات واسعة مرتبطة بالحياة وتطوراتها رهن اجتهاداتهم، وذلك لتحسين الأوضاع الإنسانية، وضمان أكبر قدر ممكن من النفع العام، وربط الأرزاق بإمكانات الاجتهاد، بل فضل بعض الناس على بعض في الرزق، تحفيزاً لإشاعة روح الاجتهاد ونبذ الخمول والكسل والتقاعس والاتكال، بل حث الإسلام في ضوء القرآن الكريم على العمل، وجعله مفتاح وطريق النجاح، موصياً بضرورة الاعتماد على النفس، وتحريك الأسباب المشروعة، التماساً وسعياً للرزق الحلال الطيب.

مما يؤكده النص القرآني المبين: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى) إلى آخر الآية النجم/٣٩ و٤٠، لذلك ففي مجال السعي، تبرز روح الاجتهاد الحقيقي، وبخاصة إذا كان ذلك ينطبق على ما تشير إليه الاجتهادات الهادفة إلى بلورة الفعاليات الإنسانية، بالأخص فعاليات الطاقات الكادحة التي تبذل العرق من أجل إبقاء الرمق، وما أروع القرآن الكريم، الذي يجزي كلاً حسب اجتهاده ونيته، وهذه الروعة البيانية في القرآن نالت إعجاب كبار المفكرين بمن فيهم أولئك الذين لا يدينون بدين القرآن، وأذكر منهم المفكر الغربي «سدني فيشر»، الذي قال في كتابه بعنوان: «الشرق الأوسط في العصر الإسلامي»: «إن القرآن صوت حي يروع فؤاد العربي، ويزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة، كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه إلى الاعتراف ببلاغة القرآن، اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع، أنه كتاب تربية وتثقيف، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض والشعائر، وأن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق، وتتجلى هداية الكتاب في نواهيه، كما تتجلى في أوامره، فلا يجوز للمسلم أن يشرب الخمر، ولا أن يقامر، ولا أن يتعدى وأن يستسلم للترف والرذيلة...» انتهى.

وهكذا نجد أن الأقلام تجد وتجتهد، انطلاقاً من نصوص القرآن وقصصه، وحسن بيانه وروعة بلاغته، وكم يكون الأمر مهماً للغاية، أن ينتزع القرآن - بما حباه الله من عظمة - اعترافات أصحاب الرأي وحملة الأقلام ورجال الفكر، حتى وإن كانوا أعداء للإسلام، يبقى - جدير بالإشارة - أن هذا القرآن قمين بكل اجتهاد من طرف من يدينون بدينه الحنيف، ويتمسكون بما جاء به من تعاليم تسمو بالإنسان المسلم نحو مدارج الرفعة والارتقاء الفكري والتقدم

عظمة القرآن وشموليته المنهجية للحياة ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية

عظمة القرآن وشموليته المنهجة للحياة ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية

المعرفي، غير أنه ومع شديد الأسف، نجد العكس، فالبعض من الناس ينتهجون في حياتهم نهجاً مخالفاً لما يوصي به القرآن، وتلك هي الطامة الكبرى، إذ يقوم البعض بما يجلب له الهوس والصداع، معه والقرآن منزل من عند الله على نبي الرحمة محمد ﷺ وبهذا التنزيل، تمت تسوية الكثير من الإشكالات، وتحولت الحياة تحولاً حاسماً بأمر الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

هذا القرآن الذي ينادي بالعمل والخير في ضوء اليسر والاعتدال، لذلك فإن الذين لايهتدون بهدي القرآن، ويركبون أهواءهم، أولئك في ضلال بعيد، والذي ينبغي بالأساس هو العمل بتعاليم القرآن، وهضم معانيه ومضمونه الشمولي العام، إنه كتاب متناسق الآيات، قوي الحجة، مما جعل له تأثيراً في أخلاق الأمم والشعوب على مستوى العلاقات الاجتماعية، ويتضح ذلك من خلال التوحيد والاحترام للمرأة وحقوقها، وإقرار مبدأ المساواة، ومن هذه المنطلقات ينبغي أن يتنافس المتنافسون، غير أن الملاحظ عكس هذه التعاليم النيرة الخيرة، التي تكفل مصلحة الإنسانية ونفعها على كل المستويات، والاجتهاد في هذه السبل يعتبر اجتهاداً إيجابياً، ذلك أن كل نوع من أنواع الاجتهاد الهادف إلى الخير، وترسيخ العقيدة السليمة، والتربية القويمة، والأخلاق الحميدة في النفوس، إنما هو اجتهاد مقبول، وما يروم إلى دعم قوى الشر والخذلان والرذيلة وكل الموبقات المهلكة للإنسان، والمضرة بالإنسانية، إنما هو اجتهاد مرفوض، حتى وإن كان الهدف منه علمي أو تكنولوجي يُراد به تدمير الإنسانية، ونشر الفتنة بين الناس، وزرع الأحقاد والصراعات بين بني البشر، وتنشيط النزاعات على أساس عنصري وطبقي، قومياً وإقليمياً، مع أن الخلق عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله.

هذه جوانب من أخلاقيات القرآن وأدبياته، لكن هل تعمل بمقتضاها الإنسانية الحديثة التي تأثرت بأيديولوجيات الفكر المعاصر، إلى درجة أصبحت تسيطر على تفكيرها أوهام لا تحدها حدود، حتى أصبح الناس يقولون ما لا يفعلون، ويقومون بأشياء ويتخذون مواقف لايؤمنون بجدواها، ولا يدركون عواقبها، ولعل ما تعرفه بعض الأمم والشعوب من تمزق وصراع وحروب، دليل على خروج الناس عن الجادة والصواب، والزيغ عن المحجة البيضاء، تلك المحجة التي رسمها القرآن الكريم.

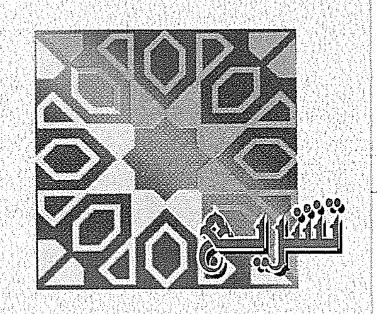
من معالم الاجتهاد: التفاسير القرآنية نموذج

سيلاحظ بعض المختصين في الكتابات الإسلامية من أساتذة الشريعة والفقهاء أن الأسلوب الذي تناولت به موضوعي هذا يميل بعض الشيء إلى البساطة في التعبير، وغايتي من ذلك، تكمن في الابتعاد عن التكلف والعمق، وحتى لا أقع في الخلط الذي قد يؤدي إلى الغموض، أفضل الأسلوب المبسط القريب إلى فهم العامة، ذلك لأن المستهدف بالأساس هم بعض الحائرين الذين كاد الشك - والتشكيك - أن ينال منهم، إن لم يكن قد استحوذ على أدمغتهم بالفعل، فهذا النمط من الناس وبخاصة الشباب أصبح في حاجة ماسة إلى عملية غسل الأدمغة مما علق بها من أفكار زائغة عن الجادة والاستقامة، ومن دون أن أتوغل في تحليل هذا المحور من الحديث، أنصح هذا النمط من العنصر البشري المسلم على وجه الخصوص، إلى استيعاب النصوص القرآنية المفسرة، واعتماد التفاسير المهمة، كظلال القرآن «لسيد قطب»، رحمه الله وابن كثير، وأشباه ذلك من التفاسير القيمة التي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية، ففي هذه التفاسير ما يقنع ويرشد إلى الخير والفلاح، وللإشارة فإن هذه التفاسير قادرة على أن تجعل المسلم يفهم ويحس بقيمة القرآن وشموليته، ذلك لكونه كثيراً ما يقرأ آيات من القرآن، لكنه لا يتدبر معناها وأبعادها التوحيدية، بعيداً عن الفلسفات والتأويلات، إذ فكل آية من القرآن لها دلالات ومعان ليس من السهل إدراكها، لأن الإدراك الحقيقي، والفهم الصحيح لهذه الدلالات والمعاني القرآنية، يحتاج بالأساس إلى عنصر الايمان والاقتناع بأهمية التوحيد، وقد تنافس علماء الإسلام في شروحهم وتفاسيرهم لأوجه الإعجاز القرآني، وقد أثبت التاريخ أن الباحثين والنقاد، وكل الذين يهاجمون القرآن - أو حاولوا الرد عليه بكتب فلسفية جوفاء، وافتراءات مفضوحة، بكونهم أنصار الحرية والعدالة - كاذبون، لكونهم ينادون بأفكار دون أن يطبقوها... غير أن الإشكالات التي تعاني منها الإنسانية منذ القديم تتجسد في السلوكيات والأخلاقيات، وهي ما أوضحتها وأبانت عنها مختلف التفاسير القرآنية، لكن أين العقول التي تستوعبها...؟ وأين الأفكار التي تتشبع بها وتعمل بمقتضاها...؟

وقد حصل تراجع ملحوظ من حيث المناهج السلوكية والأخلاقية، فإذا أخذنا الإنسان العربي المسلم نموذجاً، وحاولنا مقارنة السلوكيات والأخلاقيات السائدة في العصر الحديث مع ما عرف به الإنسان قديماً من خصائص ومواهب، تتمثل في: الفصاحة وقوة البيان وحب الحرية والأنفة والفروسية والشجاعة والحماسة والصراحة في القول وجودة الحفظ وقوة الذاكرة وحب المساواة وقوة الإرادة والوفاء والأمانة.

فهذه الصفات والفضائل، لا ينبغي أن يُقال إنه وقع التراجع عنها كلياً، بل خالطتها بعض السلوكيات والأخلاقيات الدخيلة بوساطة الفلسفات الإلحادية، ونتيجة التصادم الحضاري والصراع العقائدي والأيديولوجي، وهذا جانب آخر نترك الحديث عنه إلى فرصة أخرى بحول الله ■

عظمة القرآن وشموليته المنهجة للحياة ترجع إلى كونه خاتم الكتب السماوية



منزلة النوافل بين العبادات

فرض الله تعالى على عباده فرائض عدة كي يتقربوا بها إليه : (وماتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه)(١) وتشمل هذه الفرائض فعل الواجبات وترك المحرمات، فإن ذلك كله من فرائضه سبحانه التي افترضها عليهم كما أنه تعالى دعا إلى الاجتهاد في النوافل، فإنها مما يتقرب به إلى الله بعد الفرائض.

بقلم : عبدالرحمن العمراني

النافلة لغة واصطلاحا

أ) النافلة لغة هي: مازاد على الأصل وفضل عليه قال ابن منظور: النفل بالتحريك: الغنيمة الهبة(...) والجمع أنفال ونفال (...) وجماع معنى النفل والنافلة، ماكان زيادة على الأصل وسميت الغنائم أنفالا لأن المسلمين فضلوا بها سائر الأمم، الذين لم تحل لهم الغنائم (...) والنَّفْلُ بالسكون، وقد يحرك الزيادة. وفي الحديث أنه بعث بعثا قبل نجد، فبلغت سهمامهم اثني عشر بعيرا، ونفلهم بعيرا بعيرا أي:زادهم على سهامهم(...) وبه سميت النوافل في العبادات لأنها زائدة على الفرائض(٢)

ب) أما في الاصطلاح فيمكن تحديد معناها في كليتين اثنتين هما:

١) كل خير أو معروف أو نفع رغب فيه الشرع من غير إيجاب، فهو نافلة طبقا للأصول العامة للإسلام للداعية إلى رفع الحرج عن الناس.

٢) كل أذى خفيف لم يحرمه الشرع فاجتنابه نافلة، عملا بالأصول العامة الناهية عن الضرر.

وهاتان الكليتان إذا اعتبرناهما معا، علمنا مدى اتساع دائرة النوافل، وشساعة الفرصة أمام طالبيها. والشواهد على ذلك كثيرة منها:

● أولا : ماأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»(٣).

● ثانيا : ماأخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة. قالوا: فإن لم يجد؟ قال فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف.قالوا فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف. قالوا فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر فإنه له صدقة»(٤).

من هنا نجد أن هناك نوافل تقتضي الفعل ونوافل تقتضي الترك مثلما أن هناك فرائض للفعل وفرائض للترك، وكلها أعمال يتقرب بها إلى الله تعالى قال ابن رجب الحنبلي في شرحه للحديث القدسي:«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» «فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات (...) والدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين: وهم الذين تقربوا إلى الله، بعد الفرائض، بالاجتهاد في نوافل السابقين المقربين: وكذلك الذين تقربوا الى الله بعد الفرائض، بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع» (٥)

إذاً فالنوافل أعم وأوسع مما شاع في الناس معناه: حيث جعلوها محصورة في بعض العبادات، من صلاة غير مكتوبة، وصيام بعض الأيام، وذكر الله تعالى ومن يرجع إلى كتاب الحافظ المنذري «الترغيب والترهيب» يدرك هذا، فإنه حصر النوافل في كتاب قارب حجمه المئة صفحة، لكنها كلها أو جلها في نوافل الصلاة والقرآن.

اعتراضات على أهمية النوافل

قد يعترض معترض فيقول: مادامت النوافل غير واجبة، بحيث

النوافل أعم وأوسع مما شاع في الناس معناه

إن الله تعالى لم يفرضها على عباده، وإنما وكلّ أمرها إلى اختيار كل واحد منهم، فإنا في حلٍّ منها، ومن مشقتها، وحسبنا مافرض الله علينا.

وقد يضيف آخر: إن العلماء عرفوا المندوب وهو حكم النوافل- بأنه ماكان في فعله أجر وليس في تركه إثم، وإنهم عرفوا المكروه ـ وتركه نافلة ـ بأنه ماكان في تركه أجر وليس في فعله إثم. وإذا، فلا إثم على من اقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات، للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن جابر الأنصاري أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا، أأدخل الجنة؟ قال: نعم(٦). والرد على هذا الاتجاه وتصحيحه يكون من وجهين :

● الأول : أن العبادة في الإسلام تعني الخضوع لله تعالى ومحبته، وإن إتيان الفرائض إن كان خضوعا لله تعالى، وعملا يتقرب به العبد إليه سبحانه فإن محبته تقتضي ـ بعد أداء الفريضة ـ الاجتهاد في النوافل، لما رواه رسول الله ﷺ عن ربّه عز وجل قال: «ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه».

● والثاني : أن حديث عبد الله بن جابر المستدل به، قد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بمعناه، أو مايقاربه، لكنا نجد أن رسول الله ﷺ يربط دخول الجنة بتحقق الشرط فيختم كل واحد منها بقوله: «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة»(٧) أو بقوله : «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق»(٨) أو بقوله: «لئن صدق ليدخلن الجنة»(٩) فمن يضمن لنا أن نؤدي العبادات كما يجب؟ ومن يضمن لنا أن نقيم الصلاة كما أمر الله تعالى ونصوم كما يجب؟ ومن يضمن لنا أن نحقق الشرط الذي شرطه رسول الله ﷺ في الحديث؟

ثم ألا يمكن أن يكون رسول الله ﷺ أجاب بذلك، وكان جوابه من قبيل التدرج التربوي، الذي كان ينهجه مع بعض الناس؟ أو من قبيل الحالات التي كان صلى الله عليه وسلم يجيب فيها بما يناسب السائلين، حين يعلم منهم صدق سؤالهم وقوة عزيمتهم، خاصة وأنه عليه الصلاة والسلام أخبر الصحابة بأن السائل من أهل الجنة؟ ففي الصحيحين عن أبي هريرة «أن أعرابيا قال : يارسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي بعثك بالحق لا أزيد على هذا شيئا أبدا، ولاأنقص منه فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(١٠). ومما يؤكد هذا الوجه مارواه بشير بن الخصاصية قال: «أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فشرط عليّ شهادة أن لاإله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأوتي الزكاة ،وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت:يارسول الله أما اثنان فوالله ماأطيقهما: الجهاد والصدقة. فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها، وقال :فلاجهاد ولاصدقة؟ فبم تدخل الجنة اذاً؟ قلت يارسول الله أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن» (١١) فقد تضمن هذا الحديث زيادة ذكر فريضة الجهاد، وهي غير مذكورة في حديث عبد الله بن جابر، وقد وردت أحاديث أخرى تشترط للجنة شروطا بالإضافة إلى ماذكر، كما وردت أحاديث أخرى تفيد أن ارتكاب المحرمات مانع منها كقوله ﷺ : «لايدخل الجنة قاطع»(١٢) وقوله ايضا:«لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»(١٣) وقوله كذلك:«من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا: ـ ونصب أصبعيه ـ مالم يعق والديه»(١٤).

دور النوافل وأهميتها

إن من شأن النوافل أن تحقق أربعة مقاصد هي :

● المقصد الأول : تعويض النقص في أداء الواجبات :

والنقص يكون إما بالتهاون في الأداء، أو بعدم الاتقان كما يجب (...) ومن رحمة الله بعبده أن جعله يكمل بعض النقص بالأعمال التطوعية. ويدل على هذا المقصد مارواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته شيئا قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل منها ماانتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على هذا»(١٥).

ولاشك أن المؤمن رغم مايقوم به من امتثال للأوامر، واجتناب للنواهي، فإنه يخاف أن لايقبل منه عمله فيسارع في الخيرات ويكثر من الطاعات. قال تعالى: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لايشركون. والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» المؤمنون/٥٧-٦١.

قالت عائشة : يارسول الله الذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة (...) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟قال:لايابنة الصديق! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل» وفي رواية الترمذي : «ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات»(١٦).

● المقصد الثاني : التكفير عن الذنوب

كما يحتاج فعل الواجبات إلى تكميل، تحتاج المحرمات إلى

النافلة ما زاد على الأصل وفضل عليه

تكفير. والنوافل تكفر هذه كما تكمل تلك. قال تعالى:(إن الحسنات يذهبن السيئات)هود-١٤ وقال ﷺ «واتبع الحسنة السيئة تمحها»(١٧) وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من أمرة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره فأنزل الله تعالى: (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) هود/١١٤ فقال الرجل: ألي هذا؟ قال:«لجميع أمتي كلهم»(١٨) وكل هذه النصوص تبين أن الأعمال التطوعية، من قيام وصيام وغيرهما، هي كفارات كلها، فضلا عما تكفره الفرائض فقد قال ﷺ: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهما، مالم تفش الكبائر»(١٩).

وإن مما ينبغي التحذير منه هو أن يستقل المؤمن ذنوبه، وهي أكثر من أن تحصى والرسول ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه عز وجل: «ياعبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، أنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم»(٢٠)

● المقصد الثالث: تحصين النفس وصيانتها من الوقوع في المحظورات:

لقد صان الشارع الحكيم الحد الأدنى من العبادات، الذي هو أداء الواجبات وترك المحرمات، بسياج من الأعمال التطوعية، ولاشك أن الاستخفاف بالمندوبات بصفة كلية، يؤدي إلى الاستخفاف بالواجبات! كما أن الجرأة على المكروهات مطلقا، تدفع إلى الاقتراب من المحرمات: (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه»(٢١) قال الإمام الشاطبي: «إذا كان الفعل مندوبا بالجزء، كان واجبا بالكل كالأذان في المساجد والجوامع، وصلاة العيد، وصدقة التطوع(...) وإذا كان الفعل مكروها بالجزء كان ممنوعا بالكل، كاللعب بالشطرنج، والنرد بغير مقامرة، وسماع الغناء المكروه(٢٢) ومن هنا نفهم السر في تذكير رسول الله ﷺ من سألة، بالأعمال التطوعية فإنها حاجز عن التهاون في الواجبات أو إتيان المحرمات، فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال:«جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد حاسر الرأس، نسمع دوي صوته، ولانفقه مايقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: « خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل عليّ غيرهن؟ قال: «لا إلا أن تطوع» فقال رسول الله ﷺ: «وصيام شهر رمضان» قال هل عليّ غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال:وذكر ﷺ الزكاة فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» فأدبر الرجل وهو يقول: والله لاأزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»(٢٣).

● المقصد الرابع: حصول القربى من الله ومحبته وتسديدة:

ويدل على هذا المقصد مارواه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل قال:«وماتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يشمي بها»(٢٤) وهذا حظ المؤمن في الدنيا، وفي الآخرة رضوان من الله أكبر.

درجات النوافل

تتوزع النوافل إلى درجات من حيث ماينتج منها، وتتقدمها تلك التي ترتبط مباشرة بإصلاح القلب، من صلاة وقراءة، وذكر، وتفكر في خلق الله. ثم تأتي بعد الأخرى، حسب تأكيد الشرع لها وحضه عليها، وحسب ماتحققه من نفع معتبر وعلى المؤمن أن يبحث عن واجب الوقت، ماذا يتطلب من اعمال تطوعية، فقد علمنا الشرع أن الصدقة على القريب تعتبر صدقة وصلة... وأن أفضل الذكر قراءة القرآن، دون أن يعني هذا ترك بقية الأذكار المسنونة، إذ روى عبدالله بن بسر قال: «أتى النبي ﷺ رجل فقال: يارسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: لايزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل»(٢٥).

وبهذا الهدي يكون التزاور بين المؤمنين مرغوبا فيه، ويكون أكثر نفعا إذا جمع إلى الزيارة هدفاً خيريا ودعويا أو علميا (...) ومثل هذا يراعى في الأعمال التطوعية كلها ذلك أن المسلمين يريدون من الغني أن يكثر من نوافل الإنفاق ومن العالم أن يكثر من نوافل التعليم(...) ومن الحاكم أن يكثر من نوافل العدل والإحسان، زيادة على حدهما المفروض، حتى يقف كل واحد على ثغره!.. وفي الصحيحين عن أبي صالح عن أبي هريرة «أن فقراء المهاجرين أتوا النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال: وماذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولانعتق، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولايكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم؟ قالوا: بلى يارسول الله! قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)المائدة/٥٤.

ومن النوافل ذات الأسبقية: فروض الكفاية، فإنها أحيانا ترقى إلى درجة فرض العين، من أجل ذلك، ذهب بعض العلماء إلى أن الاشتغال بفرض الكفاية يتقدم في بعض الأحيان على بعض الفروض العينية:«لأن فاعله ـ كما قال إمام الحرمين ـ ساع في

الجرأة على المكروهات مطلقا تدفع إلى الاقتراب من المحرمات

صيانة الأمة كلها عن المأثم. ولاشك في رجحان من حلّ محل المسلمين أجمعين، في القيام بهم من مهات الدين»(٢٦) وبهذا يمكن أن نفسر رسالة عبدالله بن المبارك «ت١٨١هـ» إلى الفضيل ابن عياض يدعوه فيها إلى الجهاد لأن الوقت يقتضيه أكثر من غيره حيث قال :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك بالعبادة تلعبُ

من كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيبُ

ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لايكذبُ

لايستوي غبار خيل الله في
أنف امرىء ودخان نار تلهبُ

هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت، لايكذبُ !

وعلى هذا، ومن باب أولى يكون الاشتغال بفروض الكفاية أولى من الاشتغال بالنوافل المحضة والنوافل لايمكن بحال من الأحوال تقديمها على فرض من فروض العين مثلما وقع لرجل في بني إسرائيل يقال له جريج حيث آثر الاستمرار في صلاته «وهي نافلة» على إجابته لنداء أمه «وهي فرض عين عليه» فقد أخرج البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«نادت امرأة ابنها وهو في صومعته، قالت ياجريج ! قال: اللهم أمي وصلاتي! قالت اللهم لا يموت جريج حتى ينظر وجه المياميس وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت. فقيل لها: ممن هذا الوالد؟ قالت من جريج نزل من صومعته! قال جريج: أين هذه التي تزعم أن ولدها لي؟ قال يا يابوس! من أبوك؟ قال راعي الغنم»(٢٧).

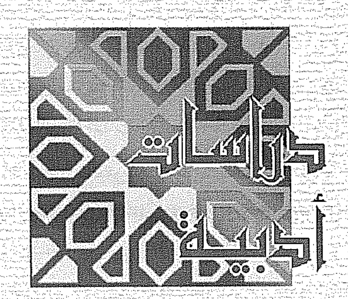
قال ابن حجر معلقا على طرف الحديث في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) مريم/١٦.وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة، وإجابة الأم وبرها واجب (٢٨).

وفي الختام، تجب الإشارة إلى أن النوافل، كما توجب محبة الله للعبيد، فإنها تكشف عن محبة العبد لله، وأن إتيانها دليل العلم بها، ودليل الهمة وسمو المقصد وتجسيد لفعالية المسلم. من أجل ذلك شجع رسول الله ﷺ عليها، حيث روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر:أنا قال: فمن تبع اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا.فقال رسول الله ﷺ : ماجتمعت في امرىء إلا دخل الجنة»(٢٩). ■

النوافل تكشف عن محبة العبد لله

الهوامش :

١- رواه البخاري رقم ٦٥٠٢
٢-لسان العرب مادة نفل ومثله في القاموس المحيط :نفل
٣- رواه البخاري ٢٧٠٧و٢٩٨٩ ومسلم
٤-رواه البخاري ١٤١٥و٦٠٢٢ ومسلم ١٠٠٨
٥-جامع العلوم والحكم شرح الحديث:٣٨.
٦-رواه مسلم:١٥
٧- رواه البخاري:١٣٦و٥٩٨٢.
٨- رواه البخاري: ٤٦
٩-رواه مسلم برقم:١٢
١٠-رواه البخاري ١٣٩٧ ومسلم١٤
١١-مسند أحمد
١٢-مسند أحمد ج١٤ ص ٨٠و٨٤
١٣-رواه مسلم ٩١
١٤-صحيح ابن حبان ٣٤٣٨
١٥-رواه الترمذي
١٦-انظر تفسير ابن كثير
١٧-مسند أحمد ج٥/١٥٣و١٥٨و١٧٧و٢٣٦
١٨-متفق عليه
١٩-رواه مسلم
٢٠-رواه مسلم ٢٥٧٧
٢١- رواه البخاري٦٥٠٢
٢٢-الموافقات: ١٣٢/١-١٣٣ ط دار المعرفة
٢٣-متفق عليه
٢٤- رواه البخاري ٦٥٠٢
٢٥-رواه أحمد ١٨٨/٤و١٩٠
٢٦-التمهيد للأسنوي:٨٥
٢٧-متفق عليه
٢٨-فتح الباري :٤٨٢/٦ ط دار الفكر
٢٩- رواه مسلم



هل يشترط أن يكون المبدع مسلماً؟

هل يبدع غير المسلم أدبا إسلاميا؟

بقلم الدكتور : جابر قميحة - أستاذ في الأدب العربي

رؤيا.. وأمل..

وللدكتور صالح آدم بيلو - في هذا النطاق - رؤية طيبة ترتكز على موروث تاريخي كريم (١) فهو يبدأ متسائلا عن هذا اللون من الأدب: هل نسميه أدبا إسلاميا؟ هل نسميه المقارب أو المشابه للأدب الإسلامي؟... أم نسميه الإسلامي دلالة ومؤدى دون المصدر والمنبعث؟ ويرى أن التسمية - مادام هذا الأدب مقبولا اسلاميا - لا تشكل عائقا كبيرا أو صغيرا في سبيل قبولنا وإقبالنا عليه. ويرى - قبل فعل أي شيء في هذا الصدد - الاستهداء بما رواه الإمام مسلم في صحيحه - كتاب الشعر - عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ فقال

هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟قلت نعم. قال: هيه، فأنشدته بيتا فقال هيه، فأنشدته بيتا، فقال هيه، حتى أنشدته مئة بيت، وفي رواية قال «إن كاد ليسلم» وفي رواية «فلقد كاد يسلم في شعره».

فالواضح البيّن أنه عليه الصلاة والسلام يصف أدب أمية البناء وشعره الموافق لمفهومات الإسلام بأنه قارب أن يصير إسلاميا، وأن الشاعر قد اقترب من الإسلام كثيرا كثيرا بهذا اللون من الأدب وإن كان في قلبه وحقيقته على خلاف ذلك. واستحق هذا الأدب أن يثير الاعجاب، ويلقى الحظوة والتقدير من سيد الناس عليه أزكى الصلوات والتسليم (٢) فإذا كنا مصرّين على إطلاق اسم على هذا اللون، فإنني أحب أن نستفيد ونستعين بهذا الموقف النبوي الكريم(٣).

عروي والكادية..

وماذكره الدكتور صالح بيلو سنة ١٩٨٥ على سبيل الاشارة أو الأمنية فتح الباب- بعد ذلك بسنوات عدة- لناقد جليل هو الاستاذ محمد إقبال عروي (٤) فالتقط الخيط، وحقق هذه الأمنية في منطوق صريح منطلقا من الموروث نفسه النبوي الذي انطلق منه الدكتور بيلو: فهو يرى أن الرسول ﷺ يعاين هنا تجربة نقدية أصيلة، وحريصة على الانطلاق من المفهوم الإسلامي للدخول في دين الله، ومن ثم فالنتيجة الموضوعية هي رفض أمية ابن أبي الصلت وإبعاده عن ساحة الإسلام. ومن ناحية أخرى: فقد لمس الرسول ﷺ في شعره مفاهيم وأفكارا ونفحات اسلامية يمكن إدراجها في حقل الأدب الاسلامي ولكن مادام صاحبها لم يعرف الإسلام عقيدة ومسلكا، فليس من المشروع أن نطلق على شعره مصطلح الإسلام أو «الإسلامية».. ومن فقد كان التعبير النبوي البليغ المشبع بالإيحاءات الدالة «لقد كان يسلم في شعره». إننا - كما يرى الاستاذ العروي- بين يدي بنيتين: بنية الإسلامية، والبنية التي تضم الفعل «كاد» بالنسبة للأولى فلقد أضحى من البدهي أن نصفها بالإسلامية، أما بالنسبة للبنية الثانية فكيف سيصاغ مصطلحها انطلاقا من تعبير الرسول ﷺ؟

وينتهي الاستاذ الناقد إلى أن الفعل «كاد» هو الذي يقدم المعنى الدقيق الذي عناه الحديث الشريف، فإذا ماأضيفت إليه «ياء النسب» وتاء التأنيث، وأصبح مبناه «الكادية» أشير به إلى كل إنتاج لم يلتزم صاحبه بالإسلام غير أننا نلمح فيه نفحات إيمانية، تكون إقرارا طبيعيا للفطرة البشرية السليمة حين تنتابها لحظات الصفاء والشفافية سواء أقلت نسبتها أم كثرت (٥). وقد يتعرض هذا المصطلح الجديد للمآخذ الآتية:

١- أنه منسوب إلى الفعل، والأصل- كما يقر الاستاذ العروى صاحب المصطلح- أن تكون صياغة المصطلح بعد إرجاعه

إلى المصدر كما في الإسلامية والواقعية والبنيوية وغيرها. ولكن مصدر الفعل كاد هو «كود» ومامن شك في أنه مصدر غريب غير متداول، فلاداعي إذاً إلى صياغة المصطلح منه، ونكتفي بفعله نظراً لتداوله ومعرفة الناس به (٦). ويمكن أن يضاف إلى دفاع الكاتب أن العرب ينسبون إلى العلم المصوغ على هيئة الفعل مثل :يشكر، ويزيد، وجاد فيقولون:يشكري، ويزيدي وجادي.

٢- غرابته على السمع مما يقلل ويعطل من شهرته، ويدفع هذا المأخذ بأن الغرابة على السمع تزول بالشهرة والانتشار وكثرة الاستعمال والترداد.

٣-اقترابه في بنيته من «الكيد والكُدْية» (٧) وقد يجد من أعداء الأدب الاسلامي غير قليل من السخرية، فيلوون ألسنتهم بقولهم: أدب الكدية والأدب الكيدي. والسخرية ليست عيبا في المصطلح ذاته، ولكنها مأخذ يسجل على هؤلاء الساخرين الذين مازالوا يسخرون ويعارضون حتى الآن مصطلح الأدب الاسلامي ذاته والسخرية بالأنبياء والدعاة والقيم واصحابها باقية مابقى صراع بين الحق والباطل، وهو قائم الى يوم القيامة. ويبقى الساخرون في ذاكرة التاريخ :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهناك نقاط متعددة تحسب لهذا المصطلح الجديد: مصطلح الكادية تتخلص فيما يأتي:

١- السهولة النسبية في نطقه، وخفته على اللسان، ومن ثم سهولة حفظه ونشره، فهو أسهل من المعروضات الاصطلاحية السابقة مثل: الأدب المساير، أو المقارب، أو الموافق أو الموائم.. الخ..

٢- أحادية المعنى والدلالة، فالفعل «كاد» لايستعمل- على وجه التحديد - إلا بالمقاربة. ولايحتمل التأويل والخروج إلى معنى آخر شأن المشترك اللفظي (٨).

٣- ارتكاز المصطلح - عمليا - على واقع تاريخي تراثي كريم لاينكره أحد فشهادة النبي ﷺ لأمية بن أبي الصلت جاءت في الروايتين بالنص الآتي : «إن كاد ليسلم» (٩). «قد كاد يسلم في شعره».

وكلتا الروايتين تؤكدان «المقاربة من إسلام الشاعر بإبداعه الشعري: فهو أدب كان يمكن أن يكون إسلاميا لو أن صاحبه كان مسلما يؤيد ذلك أغلب مانظمه شعرا، فقد عالج فيه معاني دينية فطرية، وحكما وقيما علوية جاء الإسلام وبشر بها (١٠).

وهناك رواية ثالثة (١١) وهي قول النبي ﷺ : آمن لسانه وكفر قلبه، والعبارة الأولى (آمن لسانه) شهادة (للنص) بأنه ناطق - في ذاته- عن قيم إيمانية جليلة. والعبارة الثانية (وكفر قلبه) توصيف لشخصية (الناس) من الجانب العقدي: فهو كافر غير مسلم، ولكن كفره لم يكن دافعا لرفض شعره، كما أن سمو شعره لم يصلح أن يكون مسوغا لوصفه بأنه «شعر إسلامي» كشعر حسان بن ثابت، وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة وعبدالله بن الزبعرى «بعد اسلامه»

وبذلك علّمنا رسول الله ﷺ ان العبرة ليست بما قيل فحسب. ولكن بما قيل ومن قال (١٢).

وعن المجال العملي التطبيقي لمصطلح «الأدب الكادي» يرى الاستاذ العروي انه يصدق على إبداعات غير المسلمين التي تحمل قيما إيمانية وأخلاقية، وتدعو إلى المثل العليا كتلك النماذج التي عرضها الاستاذ محمد قطب لطاغور وسينج، وماعرضه عماد الدين خليل لكاسونا وكل مادار في فلك هذه الإبداعات، وذلك مانوافق عليه الاستاذ العروي، وندعو إليه مرجحين هذا المصطلح الجديد «الأدب الكادي» على غيره من المصطلحات المعروضة سابقاً كالأدب المقارب أو الأدب الموافق.. الخ.

وذلك للأسباب التي سردناها آنفا.

ولكن الاستاذ العروي يتحمس لمصطلحه ويرى أنه يجب أن يصدق كذلك على مثل هذا النوع من الأدب إذا صدر من مسلمين - بالهوية - اشتهروا بسوء سلوكهم، فنراه يقول (١٣) وحتى تأخذ الأمور صورتها العلمية الواضحة فإني أحرص على تقديم نموذج أدلل به على إمكانية استثمار ذلك المصطلح بجميع خلفياته السابقة، والنموذج هو «نزار قباني» وهو يختار الشاعر الحي ليؤكد أمرين مهمين في نظره، وهما :

أ- أن مصطلح «الكادية» لايلغي إمكانية الانحراف السلوكي لصاحب الإبداع، بل يعترف بذلك، وما المصطلح إلا إقرار بوجوده وبرهنة عليه.

ب- نتيجة لما سبق يصبح إدراج هذا النوع من الأدب «ضمن الإسلامية» خلطا انطلاقا من التعليل السابق، لأن أدبهم إن كان فيه نفحات إسلامية فإن سلوكهم اليومي يخالف الرؤية الإسلامية. وفي تجربة نزار قباني نموذج حي يرى العروي انه يصدق ماذهب إليه إذ إن قصائده الأخيرة مثل «تقرير سري جدا من بلاد قمعستان» و«السمفونية الجنوبية الخامسة»و«ولماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان» تجسد من الناحية الفكرية اعترافا بضرورة الإسلام، وإيمانا قويا بدور الصحابة واعترافا بتفريط الأمة العربية في هويتها، وكل أولئك يدل على «كادية» واضحة.

غير أن سلوك صاحب تلك القصائد لايشجع على إدراجه ضمن «الإسلامية» ومن هنا تأتي قيمة مصطلح «الكادية» ليؤطر الانتاجات تأطيرا سليما، ويبعد بنا عن السلبيات التي يقع فيها بعض النقاد وتتمثل- في نظر العروي - في الحرص على إدراج مثل ذلك الإبداع في دائرة «الإسلامية» دونما سند شرعي مقبول أو مسوغ موضوع معقول (١٤).

نعم ... ولكن ...

ولكننا نجد أن من المبررات العملية الواقعية مايدفعنا إلى مخالفة الكاتب في رؤيته التي مدت نفوذ الكادية إلى شعراء مسلمين :

(١) فمن عجب ان يصرح ان استعمال مصطلح «الكادية» في الحكم على إبداع الأديب (المسلم المنحرف) يمثل- على حد قوله- إقرارا بوجود الانحراف وبرهنة عليه وهو منطق غريب لأن الحكم «بكادية» أدب الأديب يتحول في هذه الحال من تقييم نقدي إلى قرار بالإدانة والتجريم، والمفروض المنطقي هو العكس أي يكون سرد السيئات دليلا وبرهانا على استحقاق الأدب وصف «الكادية».

(٢) ما المعيار الذي نحتكم إليه في الحكم بانحراف الأديب؟ هل هو معيار الدين الذي يصنف الأفعال في كبائر وصغائر، أو جرائم حدود وجرائم تعازير؟ أم هو معيار القانون الذي يقسم الأفعال الخارجة إلى جنايات وجنح ومخالفات؟ ثم علينا ألا ننسى نسبية «التجريم» على مستوى البلاد العربية والإسلامية:فالتدخين - مثلا - أصبح في مصر من قبيل اللمم، بينما هو في بعض مناطق السعودية يعتبر خطيئة تسقط صاحبها من أنظار الناس، وهذا الازدواج المعياري في التجريم سيؤدي بالتبعية إلى ازدواج الحكم في تقييم العمل الأدبي، ويتضح ذلك من المثل الآتي:

شاعر مصري إسلامي «من هواة التدخين» ألقى قصيدة من قصائده الاسلامية في القصيم بالسعودية - وهي قصيدة من الشعر الاسلامي في مصر بلا خلاف ولكنهم - أخذا بالكادية - سيجعلونها في عداد الأدب الكادي بلا خلاف ايضا لأن حكم التدخين هنا يختلف عن حكمه هناك.

ونكون بذلك قد أدخلنا «عرف المكان» عاملا حاسما في الحكم، وتدخل القصيدة التاريخ بوصفين مختلفين : الإسلامية والكادية.

(٣) ثم ما الحكم في شاعر عرف بحسن السلوك، أبدع روائع استحقت وصف «الأدب الإسلامي» ثم ثبت بعد ذلك بأدلة قاطعة ان الشاعر كان منحرفا سيء السلوك في الأيام أو الأشهر التي نظم فيها هذه القصائد.. فهل نلغي قرار «اسلامية» أدبه، ونستبدل به حكما «بكادية» هذا الأدب، ونجعله ساريا بأثر رجعي؟

(٤) ثم هل نقوم برصد عيون تتابع سلوكيات الأدباء للحكم عليهم. ثم ننطلق من هذا الحكم إلى الحكم على أدبهم بالإسلامية أو بالكادية، ونحن المسلمين منهيون عن التجسس وتتبع عورات الآخرين؟

(٥) ثم ما الحد الزمني للانحراف الذي يخلع على الأدب صفة «الكادية» ويحجب عنه صفة «الإسلامية»؟ هل هو الانحراف الدائم؟ أم هو الانحراف قبل إبداع النص؟ أهو الانحراف في آنه؟ أم هو الانحراف بعده؟ ومَنْ مِنَ النقاد الإسلاميين يملك من الوقت والقدرة واليقظة مايمكنه من متابعة ذلك والتحقق منه؟ قد يقال: فليكن الاعتماد على شهادة الشهود من الجيران والأصدقاء وزملاء العمل والصحف...الخ.

هنا ستنشأ مشكلة جديدة وهي ضرورة الوثوق من عدالة «الشاهد» وتنزهه عن المنكرات وخوارم المروءة.

(٦) ثم هل تدخل «الجرائم السياسية» في منظومة الانحراف؟ إننا نعرف كثيرا من الأدباء والمفكرين سجنوا وبعضهم أعدم بتهمة الخيانة الوطنية «ومحاربة الله ورسوله» ثم ظهر «بعد أن قضي الأمر» انهم من كل ذلك براء.

(٧) ومن المشكلات المتوقعة كذلك ماقد يجر الحكم بكادية أدب مسلم «منحرف» إلى مساءلة قانونية إذا أعلن الناقد الانحراف تبريرا لهذا الحكم وذلك إذا لجأ المبدع إلى القضاء حرصا على سمعته، وفي هذه الحال يكون الناقد مطالبا بتقديم الدليل على هذا الانحراف من وقائع ثابتة محددة، حتى لايقع تحت طائلة المسؤولية.

وبهذه التوسعة لمنطقة نفوذ «الكادية» يتحول المصطلح الذي قدمه صاحبه ليقوم بدور النقد الذي يحل مشكلات ويحسم قضايا قائمة بالفعل الى عامل قوي لتوليد مزيد من المشكلات. ومن ثم أرى أن ينحصر إطلاق هذا المصطلح الرائع على الأدب ذي المواصفات الإسلامية الذي ينتجه غير المسلمين.

أما مثل هذا الأدب الذي ينتجه مسلمون بالهوية - حتى لو كانوا مخدوشين سلوكيا من الأموات أو الأحياء - فهو أدب إسلامي يتسع لقصائد نزار قباني التي أشار إليها الأستاذ العروي وتوبيات أبي نواس الحسن بن هانيء، لأن هذه القصائد ومادار في فلكها إنما نظمها الأديب في ساعة من ساعات تفتح الفطرة الإنسانية. والحكم (بإسلامية) هذه القصائد لايتعداها طبعا إلى «الشعر الآخر» لهؤلاء الشعراء، كما لايتعدى إلى (شخصية الشاعر) فيوصف بأنه (شاعر إسلامي) إن كان شاعرا مسلما، وحسابه في سلوكه على الله. ■

المراجع والتعليقات:

١- انظر كتابه من قضايا الأدب الإسلامي ١٢٢-١٢٥.

٢- كان أمية بن أبي الصلت - كما يذكر محمد بن سلام الجمحي - كثير العجائب يذكر في شعره خلق السموات والأرض ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك مالم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب «أي اقترب منهم» طبقات فحول الشعراء١/٢٦٣. وقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل، ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر أن نبيا يبعث قد أظل زمانه، ويؤمل أن يكون ذلك النبي .. وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بألفاظ كثيرة لاتعرفها العرب «الشعر والشعراء لابن قتيبة١/٤٦٦». وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية، وحرم الخمر، وشك في الأوثان، وكان يقول «كل دين يوم القيامة عند الله - إلا دين الحنيفية زور«الاغاني٤/١٣٣٩».

٣- د. بيلو: مرجع سبق ١٢٤/١٢٥.

٤- في دراسة بعنوان «قراءة في نظرية الأدب الإسلامي» لمؤلفه الدكتور عماد الدين خليل١٧/٢٥ في مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس السنة الثانية.

٥- انظر: المرجع السابق٢٢/٢٤.

٦- العروي: مرجع سبق ٢٤

٧- للكدية في الأصل هي الأرض الغليظة أو الصلبة التي لاتعمل فيها الفأس، والكدية حرفة السائل الملح. «المعجم الوجيز٥٢٩».

٨- محمد سعيد اسبر، وبلال جنيدي: الشامل ٦٩٣ وأذكر في هذا المقام أن أهل شمال الدلتا في مصر يستخدمون «كاد» اسما فيقولون :فلان أدرك القطار بالكاد «أي أدركه في آخر لحظة» وفلان نجح بالكاد كأنه كان معرضا للرسوب أو قريبا منه و«ولم يعطه حقه إلا بالكاد» أي بعد لأي ومشقة، وهي استخدامات لم تحلق بعيدا عن جو المقاربة.

٩- (إن) بالسكون مخفف (إن) ويجمع النقاد على إهمال عملها إذا جاءت بعد فعل، والأرجح أن يكون هذا الفعل ناقصا أو ناصبا المفعول(الشامل:السابق١٩٠).

١٠- انظر على سبيل التمثل مطولته الدالية التي مطلعها: لك الحمد والنعماء والملك ربنا .. فلاشيء أعلى منك مجدا وأمجد «ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٤-٣٧».

١١- ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤٦٦/١

١٢- ويؤيد ذلك ماجاء في حديث طويل منه قول الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:(الله لا إله الا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية فإنك لايزال عليك من الله حافظ، ولايقربك شيطان حتى تصبح.. فلما نقل: أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ماحدث قال:« أما إنه صدقك وهو كذوب». انظر الحديث بتمامه رقم ٢٣١١ في صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر.

١٣- العروي : مرجع سابق: ٢٤.

١٤- العروي : السابق الصفحة نفسها.

المراجع:

١- الأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته: د. عدنان النحوي دار النحوي: الرياض -ط٧- ١٤٠٧- ١٩٨٧.

٢- أدب ونقد: محمد المجذوب نادي المدينة الأدبي.ط (١) ١٤٠٨-١٩٨٨.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير دار الشعب. القاهرة(د.ت).

٤- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني. دار الشعب. القاهرة. د.ت

٥- الالتزام في الأدب الإسلامي: د. محمد مصطفى هدارة «بحث نشر ضمن بحوث ندوة الأدب الإسلامي المنعقدة في الرياض بتاريخ ١٦/٧/١٤٠٥»

٦- ثقافة الأسئلة : عبد الله الغذامي : النادي الأدبي بجدة. ط(١)١٩٩٢.

٧- خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب «طبعة الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية ١٩٧٨».

٨- ساعات بين الكتب: عباس العقاد «بيروت ط (٢) ١٩٦٩.

٩- السيرة النبوية لابن هشام: مصطفى البابي الحلبي. القاهرة ط (٢) ١٣٧٥-١٩٥٥.

١٠- الشامل معجم في علوم العربية ومصطلحاتها: محمد سعيد اسبر وبلال جنيدي «دار العودة- بيروت١٩٨٥».

١١- الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د. عز الدين اسماعيل. دار الفكر العربي القاهرة. ط(٣).

١٢- الشعر والشعراء: ابن قتيبة تحقيق الشيخ احمد شاكر «دار التراث العربي. القاهرة ط(٣) ١٩٧٧.

١٣- صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط (١) الدار السلفية - القاهرة.

١٤- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي: شرح محمود شاكر- مطبعة المدني. القاهرة- د.ت

١٥- في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة وتطبيق: محمد حسن بريغش مكتبة المنار- الزرقا- الأردن ط(٢) ١٩٨٥.

١٦- في النقد الإسلامي المعاصر: د. عماد الدين خليل مؤسسة الرسالة - بيروت ط(٣) ١٤٠٤-١٩٨٤.

١٧- قراءة في نظرية الأدب الإسلامي: محمد إقبال عروي «دارسة نشرت في العدد (٦) من مجلة الأدب الإسلامي».

١٨- قضايا معاصرة في الأدب والنقد د. محمد غنيمي هلال «دار نهضة مصر- القاهرة د. ت

١٩- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي دار احياء العلوم - بيروت ط (١) ١٩٧٨.

٢٠- اللزوميات «لزوم مالايلزم» أبو العلاء المعري «مكتبة الخانجي القاهرة - ١٩٤٩.

٢١- المدخل إلى القيم الإسلامية: د. جابر قميحة -دار الكتاب المصري اللبناني- القاهرة ط(١) ١٩٨٤.

٢٢- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي: د.عماد الدين خليل «مؤسسة الرسالة بيروت. ط(١) ١٤٠٧-١٩٨٧.

٢٣- مصطلح الأدب الإسلامي: د. مرزوق بن تنباك «بحث نشر في الدارة السعودة العدد ٣- السنة ١٨- ربيع الآخر ١٨١٣.

٢٤- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني. المكتبة المرتضوية- طهران- د.ت

٢٥- من قضايا الأدب الإسلامي: د. صالح آدم بيلو «دار المنارة- جدة- ط(١):١٤٠٥-١٩٨٥.

٢٦- منهج الفن الإسلامي: محمد قطب (دار الشرق- القاهرة ط.٧) ١٤٠٨- ١٩٨٧.

٢٧- موت المؤلف: رولان بارت. ترجمة منذر العياشي «دار الأرض- الرياض. ط(١) ١٤١٣.

٢٨- نعم لمصطلح الأدب الإسلامي: د. جابر قميحة «دراسة نشرت بمجلة الدارة. العدد الأول- السنة (٢٠) شوال ١٤١٤»

من الدوريات:

١- الحرس الوطني

٢- الدارة

٣- المجتمع

٤- مجلة الأدب الإسلامي

٥- المسلمون.

تاريخ

عقاب ابن رشد ومعركة العقاب

بقلم: د. خالص جلبي

حتى يمكن فهم أين يقف العلم اليوم لا بد من معرفة كيفية بدئه؟ فكل علم له بدايات أولية، وتشكلات جنينية.

كل حدث هو نتيجة لما قبله وهو بالوقت نفسه سبب لما سيأتي بعده، فهناك علاقة جدلية بين الأحداث وهناك ترابط محكم بين الوقائع.

في هذه الحلقة سوف نستخدم المفهوم القرآني لاستجلاء التطور العلمي في ضوء وقائع التاريخ وأحداثه. ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت / ٢٠. فلنحاول تأمل خلق العلم.

بينما كنت أتأمل جدران قصور غرناطة في رحلاتي المتكررة إلى اسبانيا لفت نظري تكرر عبارة (لاغالب إلا الله) منقوشة في الجدران بشكل واضح مكرر لايضل في قراءتها أي قارىء للغة العربية، فسرح بي الخيال في محاولة «استنطاق» لهذا النص وخلفيته المعبّرة.

إنهم يرون أنهم يهزمون ولكن «وللتعويض» في وجه خصومهم الذين قهروهم وبقوا في أرضهم القرون الطوال، يجب أن يقولوا إن الذي يهزمهم ليس خصمهم بل «الله» الذي لاطاقة لأحد به ولاقدرة. إذاً كان حلاً نفسياً مريحاً، ولكن هذا الترنح كان قبل الهزيمة النهائية، والطرد من شبه الجزيرة الإيبرية، وإبادة من بقي فيه رائحة من بقيتهم.

كل هذا بدأت قصته بشكل مبكر أبكر بكثير مما يرويه الحجر الميت الذي كنت أقرأ فيه بقايا هذه الكلمات (لاغالب إلا الله).

وبينما كنت مع صديقي المقيم في اسبانيا نمر بالسيارة بجانب مدينة «رويال ثيوداد» سألته عن المدينة متجاهلاً هل تعرف عن تاريخها شيئاً ،فأجاب بالنفي قلت له ألا تذكر علاقتها بالتاريخ أبداً؟ فكرر بالنفي، فكرت في نفسي: إننا أمة نُكبت مرة أخرى لإنها لاتعرف أفظع شيء مر عليها!!

قلت له إن المؤرخ محمد عبد الله عنان كتب موسوعة كاملة عن تاريخ المسلمين في الجزيرة وجاء بنفسه إلى هذا المكان قريباً من هذه المدينة ونبش في أرضها، بل اكتشف في بعض الحفر بقايا «رؤس رماح وأنصال» من آثار أخطر معركة تمت في هذا المكان في العام ١٢١٢م الموافق ٦٠٩هـ. ولكن مالنا والقصة الآن. دعنا لانستبق الأحداث. ولنكشف اللثام عن صفحة سوداء من النكبة العلمية في تاريخنا، بل في تاريخ الجنس البشري لنستعرض رحلات العلم والتفتح الذهني المترافقة بالمعاناة والعذاب.

في قرار لعن العالم المسلم والطبيب النطاسي أبو الوليد «ابن رشد» ملهم النهضة الإنسانية الحالية، ذكر صاحب كتاب «الذيل والتكملة» ابن عبد الملك نص الإدانة الكامل سننقل منه بعض الفقرات لمقارنتها بنصوص إدانة أخرى، وأحكام مرعبة تاريخية رهيبة تالية في مسيرة نهضة العقل الإنساني على مدار رحلة الجنس البشري في بقاع منوعة وثقافات متباينة، وأديان شتى، في محاولة لإمساك وفهم سنة الله التي تتكرر ولاتخيب في المستوى الإنساني، مستوى قانون الأحداث النفسية الاجتماعية في معركة الخرافة والعلم «وقد كان في سالف الدهر قوم، خاضوا في بحور الأوهام... فخلّدوا في العالم صحفاً، مالها من خلاق، مسودة المعاني والأوراق... يوهمون أن العقل ميزانها، والحق برهانها ..ونشأ منهم شياطين يخادعون الله والذين آمنوا... فكانوا أضر عليها من أهل الكتاب ...وهؤلاء قصارى همهم الغمومة والتخييل، وبث عقاربهم في الآفاق.. فاحذروا- وفقكم الله- هذه الشرذمة حذركم من السموم السارية في الأبدان. ومن عثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يعذب أربابه، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه... والله تعالى يطهر من دنس الملحدين أصقاعكم ويكتب في صحف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم إنه منعم كريم».؟!

هذا كان مصير الفيلسوف المبدع الذي استفادت منه اوروبا اكثر من العالم الاسلامي، ففي الوقت الذي أطلق فيها شرارة العقل المفكر، كان هذا الصك يحكي لنا حرق كتبه أينما وجدت!!. وبذا أعدمت



مؤلفاته من أمثال «شروحات أرسطو» و«تهافت التهافت» و«فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» وهي اليوم كتب نادرة لايستفيد منها أحد، كما لم يستفد منها أحد سابقاً «باستثناء الغرب»!!.

كان مصير ابن رشد أفضل حظاً من غيره لإنه لم يحرق حياً، بل اكتفى بنفيه الى «الليسانة» ليقضي فيها ماتبقى من أيام شيخوخته، لأنه أُلقي هناك معزولا منبوذاً مدحوراً وهو في السبعين من عمره، ولم يعش بعدها إلا سنوات قليلة.

كان ذلك التاريخ المشؤوم العام ٥٩١هـ الموافق ١١٩٤م حيث مات المفكر المبدع بعدها في العام١١٩٨م أي مع خاتمة القرن الثاني عشر الميلادي ونهاية القرب السادس الهجري.

ولكن الأمة التي تفعل بمفكريها هذه الفعلة هل تبقى دون عقاب؟ لنسمع إذاً خبر التاريخ عن معركة «العقاب»؟!

بعد موت الفيلسوف العظيم بأربعة عشر عاماً نكبت «اليتيمة والأيتام» على حد تعبير الخليفة الموحدي «المنصور» الذي وصف الأندلس وأهلها بها، وأوصى بهم على فراش الموت، بنكبة عسكرية لم يقم لهم قائمة بعدها كان ذلك في معركة «العُقاب» في يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة ٦٠٩هـ «ليلة ١٦ يوليو سنة١٢١٢م».

وكما كانت معركة «الزلاقة» هي «الفرملة التاريخية» للسقوط الأندلسي عندما جاء الخليفة المرابطي «يوسف بن تاشفين» في العام ١٠٨٦م -٤٧٩هـ لينقذ الأندلس المنهار بعد فترة حكم الطوائف التي دامت ثمانين عاماً «من العام٣٩٩هـ حتى العام٤٧٩هـ» فإن معركة العقاب هذه كانت بداية النهاية للاندلس.

وحتى يمكن ان نعي الوضع التاريخي المكرب للمسلمين في ذلك الوقت والآثار المأساوية لتلك المعركة، ولإلقاء الضوء على هذه الفترة من الظلام الفكري وضيق الأفق والتعصب الذي انتهى في صورة مأساة ابن رشد فإننا ننقل عن المؤرخ محمد عبد الله عنان مايلي:«وأما في التواريخ الإسلامية فإنها تعرف بموقعة العُقاب، من مفردها عقبة، وذلك فيما يرجّح لوقوعها بين الربى والتلال المانعة، وليس بمعنى المعاقبة على الذنب، وان كان بعض الكتاب والشعراء قد نسبوا إليها مثل هذا المعنى، في معرض التلويح بغضب الله وعقابه للموحدين، لأنهم حادوا على جادته، وبغوا وتجبروا، واعتمدوا على كثرتهم ولم يعتمدوا على عونه. ومن المسلم أن خسائر المسلمين في معركة العقاب كانت فادحة جداً. والروايات

إننا أمة نُكبت مرة أخرى لإنها لا تعرف أفظع شيء مر عليها !!

كان مصير ابن رشد أفضل حظاً من غيره لإنه لم يحرق حياً بل اكتفي بنفيه إلى «الليسانة»

الإسلامية تجمع كلها على أن الجيش الموحدي قد هلك معظمه. ويصف صاحب الحلل الوشية المعركة بالهزيمة العظمى التي أفنى فيها أهل المغرب الأندلس.

وقد أسفرت هزيمة العقاب الساحقة عن أفدح وأروع الآثار التي يمكن تصورها، سواء بالنسبة للأندلس أو المغرب أو الدولة الموحدية. فأما بالنسبة للأندلس فقد قضت هذ الهزيمة نهائياً على سمعة الموحدين العسكرية في شبه الجزيرة، وتحطم ذلك الدرع الذي كانت تسبغه الجيوش الموحدية، القادمة من وراء البحر، على الأندلس وعلى دولة الإسلام بها. وتضعضع سلطان الحكم الموحدي بالأندلس، وأخذت الأندلس منذ ذلك الحين تنحدر إلى براثن الفوضى الطاحنة، وانتثرت غير بعيدة إلى أحزاب وشيع جديدة قامت لتضرب بعضها بعضاً، ولتبدأ عهداً جديداً من المعارك الانتحارية الصغيرة التي لانهاية لها، والتي تذكرنا بعهد الطوائف، وضمن ذلك النصر الباهر الذي أحرزته الجيوش النصرانية المتحالفة في هضاب تولوسا، لاسبانيا النصرانية تفوقها السياسي والعسكري في شبه الجزيرة وفتح الباب واسعاً لغزو الاسترداد النصراني المنظم، الذي سيستمر من ذلك الحين في جني ثماره، بانتزاع القواعد الأندلسية، واقتطاع أشلاء الأندلس الكبرى بصورة متتابعة، وفي فترات قصيرة مذهلة.

وقد تردد هذا الفزع الذي سرى إلى الاندلس يومئذ، وماكان يفوح لها من شبح الفناء، من جراء كارثة العقاب واضحاً في الأدب والشعر فمن ذلك ماقاله أبو إسحق إبراهيم بن الدباغ الاشبيلي:

وقائلة أراك تطل تفكرا
كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها أفكر في عقاب
غدا سببا لمعركة العقاب

فما في أرض أندلس مقام
وقد دخل البلا من كل باب

ويلخص لنا صاحب الروض المعطار أثر الهزيمة في الدولة الموحدية بقوله: «وكانت هذه الوقيعة أول وهن دخل على الموحدين، فلم تقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة».

وإذا كانت هذه عقوبة من عقاب ابن رشد، أو كانت عقوبة ابن رشد لهذه الأوضاع التي تمشي في طريق الاحتضار فإن المحصلة النهائية واحدة، وهي نتيجة بائسة بكل المقاييس لأمة تعامل الفكر المشرق هذه المعاملة، وهي مؤشر خطير لتوقف الحياة العقلية، أو انحدار مخطط الحضارة بصورة عامة لأن الحضارة هي حياة العقل قبل كل شيء.

وقد انتبه المفكر الجزائري «مالك بن نبي» إلى هذه الوقفة التاريخية المفصلية فاعتبر ان الحضارة الإسلامية توقفت لتفرز بعد ذلك الإنسان المتخلف عن ركب الحضارة، العاجز عن حل مشاكله، الذي يتوقف عنده الزمان «دون سرعة النسبية!!» كما توقف عند أصحاب الكهف من دون رسالة أصحاب الكهف. فاعتبره إنسان «مابعد الموحدين» أي إنسان مابعد مصيبة معركة العقاب.

ولم تتوقف معاقبة أهل قرطبة الذين يصفهم «الفيلسوف العالم التقي ابن رشد» بأن من أعظم المواقف الصعبة التي مرت عليه عندما أراد الصلاة في أحد المساجد هو وابنه فقام عليه الغوغاء وأخرجوه وابنه من المسجد ومنعوهما من الصلاة، قال عنها إنها كانت من أصعب اللحظات التي مرت عليه في حياته. ولاغرابة فإذا كان الخوارج قديماً قد أخرجوا الإمام علياً من الإسلام وكفروه واستباحوا دمه. ثم سفكوا دمه من أجل الاختلاف معه في وجهة النظر. فإن هذا المشهد قد يتكرر تاريخياً في صور شتى في إطار التعصب وعدم التسامح.

كان عقاب أهل قرطبة مخيفاً بل عقاب أهل الأندلس جميعا فقد سقطت بعد ذلك «بالنسيا في العام ١٢٣٦م وهي العاصمة الشرقية للأندلس» ثم سقطت قرطبة نفسها في العام ١٢٣٨م بعد عامين من سقوط بالنسيا أي بعد موت ابن رشد بأربعين سنة«ولعل الذين طردوه من المسجد رأوا طردهم جميعاً هذه المرة» لأن عادة الأسبان جرت على تحويل كل مسجد إلى كنيسة فور دخولهم أي بلدة إسلامية. ثم تكلل الانهيار بعد ذلك بسقوط مدينة اشبيلية في العام ١٢٤٨م وبذلك سقط الجناح الغربي للعالم الاسلامي بتمامه، ليتبعه بعد عشر سنوات بالضبط سقوط الجناح الشرقي للعالم الإسلامي أعني بغداد على يد هولاكو العام

١٢٥٨م وهكذا سقط جناحا العالم الإسلامي في ظل الظروف والمناخات العقلية السائدة تلك التي دشنت نفي وتعذيب ابن رشد في شيخوخته. وليسطر العلاّمة ابن خلدون بعدها ملاحظته اللامعة بأن مناخاً جديدا يسيطر على العالم الإسلامي أعني «الانهيار والسقوط أو تفسخ الحضارة الإسلامية» حينما أشار بقوله وكأن لسان الكون نادى بالخمول فاستجاب.

إن الكثيرين من باحثي المعجزات العلمية في الآيات القرآنية أعيوا أنفسهم في محاولة اكتشاف «الاكتشاف العلمي» من الآية القرآنية، في الوقت الذي لم نسمع شيئاً عن ذلك قبل «الاكتشاف العلمي» وهذا ليس توجه القرآن بحال، بل ان القرآن وضع لنفسه توجهاً خاصاً وهو عدم الاستجابة لمطالب المشركين في إنزال المعجزات وورد هذا في عشرات الآيات القرآنية. القرآن أراد بالأحرى إيجاد «المناخ العقلي» الذي يكتشف آفاق العلم والإنجازات العلمية من دون حدود لأن الكون كله آيات. الكهرباء والجاذبية وميكانيكا الكم والنسبية والحرارة والجيولوجيا والانثروبولوجيا كلها فضاءات معرفة وآيات».

هذا المناخ العقلي الذي كان يكتشفه ابن رشد أضاء في مكان آخر وشق طريقه بصعوبة بالغة في ٤ نوفمبر من العام ١٤١٥، جاء المصلح الديني «جان هوس» وهو من تشيكوسلافاكيا سابقاً الى مدينة كنستانس الواقعة على الحدود النمساوية السويسرية ليعرض على المجمع الديني المنعقد هناك وليستجوب بسبب نقده المتواصل للكنيسة، وبخاصة في تصرفات الرهبان المالية وبيع صكوك الغفران. وجمع الثروات الحرام تأمل الآية: (إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) التوبة/٣٤.وقد أغراه الملك الألماني «سيجيسموند» بالحضور مع توفير الحماية له إلا انه اعتقل ثم قُدّم للمحاكمة بتهمة الهرطقة، واتهم في المحاكمة بكتاباته في ثلاثين موضعاً منها ،تدينه بالكفر والزندقة والمروق عن الدين، وأعطي مهلة للتراجع عن آرائه، وعندما اعترض على ذلك وبين أنه مؤمن وأن الأمر لايخرج عن تأويلات سيئة لأقواله حكم عليه بالحرق حياً ونفذ الحكم في اليوم نفسه حيث وضع على منصة خشبية أمام المتفرجين تأكله النيران!!!

وهذا الحرق أو إلغاء الإنسان من الوجود لأفكاره فقط كانت رحلة رهيبة اثناء بدء الحركة العقلية في أوروبا، حيث تعرض جيوردانو برونو بدوره في السابع عشر من فبراير العام ١٦٠٠م للحرق أيضا من اجل أفكاره ولم يتراجع.

والآن إذا كنا رسمنا بانوراما تاريخية لأولئك الذين يشقون الطريق إلى الحرية الفكرية والمناخ العقلي الجديد الذي سيشق الطريق للحضارة يبقى أن نختم البحث بقرار اللعنة الذي صدر أيضاً ضد اسبينوزا المفكر الهولندي الذي كتب في حياته كلها أربعة كتب فقط منها «رسالة في اللاهوت والسياسة» و«رسالة في تحسين العقل» وكما يذكر صاحب كتاب «قصة الفلسفة» ويل ديورانت، أنه لم يتجرأ على نشر كتابه الأخير «الأخلاق مؤيدة بالدليل الهندسي» الذي فرغ من كتابته العام١٦٦٥م فبقي عنده حتى الموت وعندما جاءته المنية وعمره ٤٤عاماً، بعد أن افترس السل صدره، سلّم مفتاح غرفته لصاحب البيت مع نسخة كتابه «الأخلاق» للطباعة الذي حفظ لحسن الحظ.

يقول قرار اللعنة:«بقرار الملائكة وحكم القديسين نحرم ونلعن وننبذ ونصب دعاءنا على باروخ اسبينوزا.. وليكن مغضوباً وملعونا، نهارا وليلاً وفي نومه وصبحه، معلونا في ذهابه وإيابه، وخروجه ودخوله، ونرجوا الله أن لايشمله بعفوه أبدا، وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائما ... وأن لايتحدث معه أحدا بكلمة، أو يتصل به كتابة، وأن لايقدم له أحد مساعدة أو معروفا، وأن لايعيش معه أحد تحت سقف واحد، وأن لايقترب منه أحد على مسافة أربعة أذرع، وأن لايقرأ أحد شيئا جرى به قلمه أو أملاه لسانه».

بالطبع نحن نتذكر قرار مقاطعة قريش للرسول (ص) كما أن القرآن يذكرنا بأن إبراهيم كان أقوى من النار لأنه اعتمد الحجة الدامغة التي تبهت (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) الأنعام/٨٣ لذا فإن حريق العلماء في أوروبا ايضاً لم ينفع لأنهم اعتمدوا سلاح إبراهيم الذي قدح زناد النور في الظلام المخيم. ■

الحضارة الإسلامية توقفت لتفرز بعد ذلك الإنسان المتخلف عن ركب الحضارة



في رثاء الشيخ   شعر: محمد عبدالله القولي



العينُ تدمعُ للعظيمِ الشانِ
والقلبُ يخشعُ مُثقلَ الأحزانِ
والنفسُ تجزعُ بعد فقدِ «محمدٍ».
علمٌ ثوى والعلمُ في ثورانِ
هو أمةٌ كالسيلِ في نفحاته
و«خواطرٌ» فيضٌ من الإحسانِ
«صورٌ» تدفقُ تستقي من سورة
أو آية نبعاً مدى الأزمانِ
هو أمةٌ سعدت به أممُ الهدى
وتزودت من حوضه الريانِ
قد غاب عنا إنما هو حاضرٌ
بعطائه والفضلُ في الميزانِ
علمٌ يظلُ على الدهورِ منارة
تهدي الحيارى شاطئَ الإيمانِ
لسنا نُزكي عابداً بل حَسْبُنا
أنا نظنُ بأنه نُوراني
ونظنُّهُ عبداً تفضلَ ربُّه
رقاهُ من إنعامه لمكان
بل حَسْبُنا الرحمنُ يهدينا لما
يرضى من التسليمِ والسلوانِ
أو حَسْبُنا أن لا نقول سِوى الذي
يرضيه منا - أمة - العدناني
«أمحمدٌ» أولاك ربُك نعمة
فشعرت بالقرآن فيضَ معانِ
وحباكَ من إحسانه فهماً به
باللطف تنفذُ للعظيمِ الشانِ
وجلا لك الأشياءَ بعض نواله
فبصرت ذوقاً حكمة الديانِ
فنهلتَ تهدي للعبادِ وتستقي
من فضله بحراً من الرحمنِ
فإذا بنهرك دافقاً تجري لنا
وإذا العطاءُ على الأثيرِ الهاني
تُعطي وتأخذُ ما يشاءُ إلهُنا
وتجودُ نبعاً دافقَ الإيمانِ
سيظلُ علمُكَ للعبادِ ونفعهم
أولاك ربكَ ختمةَ القرآنِ
فسلامُنا لك طيباً متجدداً
ودعاؤنا الفردوسَ خيرَ مكانِ
أرجوكَ ربي نفعنا بعلومه
ونفوزُ يوم الحشرِ بالرضوانِ
واخلفْ لنا علامةً نزهو به
ويظلُ مجدٌ دائمَ الثورانِ
واحقنْ دماءَ المسلمين إلهنا
واجمعهمو في جنة الديانِ

البيت المسلم

العدد ٣٩٤ - الوعي الإسلامي - جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٨ م

تحريرها من أنصاف الرجال

الأخت المخطوفة

أبناؤنا وآدابنا الاجتماعية

حكم الزواج إن استكتم الشهود

الأسرة وتنشئة الفرد وبناء المجتمع

اهتمام عالمي بالشيخوخة

متى تبدئين بتقديم الوجبات الصلبة لطفلك؟

عبارات خطيرة (٢)

الرجال لا يبكون

اعتذار

في الصفحة ٦٧ و ٧٦ في العدد الماضي (٣٩٣) نُشرت صورة طفل يعزف على آلة موسيقية هي «الكمان» مع موضوع «كيف تستثمر وقت طفلك؟» باختيار قسم التنفيذ في المجلة دون علم رئاسة تحرير المجلة وإدارتها.

و«الوعي الإسلامي» تعتذر إلى قرائها الكرام عن هذا التصرف الخطأ، وتؤكد عدم رضاها عن نشر الصورة، وتوضح أنه تمت محاسبة من قام بالعمل في قسم التنفيذ على ذلك.

ندعو الله أن يقيل العثرات ويعفو عن الزلات ويتجاوز عن الأخطاء.

رئيس التحرير

تحريرها من أنصاف الرجال

محمد رشيد العويد

حوار مع صديقي الزوج

قيد من القيود التي تُفقد المرأة عامة، والمرأة المعاصرة خاصة، جانباً كبيراً من أمنها النفسي وأمنها الاقتصادي.

وهو قيد، لأنه يحمّلها مسؤوليات جديدة، وأعباء إضافية، كانت من مسؤويات الرجل وأعبائه.

و«أنصاف الرجال» هؤلاء هم رجال، لكنهم لا يقومون بما يجب أن يقوموا به من أعمال، ولا يحملون ما ينبغي عليهم أن يحملوه من مسؤوليات، ومن ثم يتركون المرأة تواجه وحدها مصاعب جديدة، تقلل وقت راحتها أو تلغيه، وتقلل ما في يديها من مال، إن لم تزد حاجتها إلى المال من أجل تلبية حاجات أساسية لها ... ولأولادها إن كانت أماً.

وإذا كان أنصاف الرجال هؤلاء قلة في الأزمان الماضية، فإنهم كثيرون في هذا الزمان، وهم يزيدون يوماً بعد آخر، ومع زيادتهم يزيد عدد النساء المبتليات والخاضعات لهذا القيد الجديد.

إنه قيد يكبل المرأة، إذ كيف تكون المرأة حرة وهي محاطة بمشكلات جديدة ألقاها الرجل، أونصف الرجل، ومضى لا يلوي على شيء؟! إن المرأة الغربية اليوم، من المفترض أنها نالت حريتها، وهي أكثر من تعاني من هذا القيد، وتتحمل من تكبيله لها، وتضييقه عليها، الشيء الكثير.

وأرجو أن تقرؤوا معي تقريراً عن نوع واحد من أنصاف الرجال الذين يزيدون في الغرب، وهم الأزواج الهاربون من بيوتهم في بريطانيا، تاركين زوجاتهم وأولادهم دون رعاية ونفقة، ومحملين زوجاتهم أعباء ومسؤوليات جديدة. جاء في التقرير:

«الأسرة الإنكليزية تعيش منذ فترة، أزمة اجتماعية ونفسية خاصة، وأسباب الأزمة تعود إلى أن الكثيرين من الأزواج يهجرون بيوتهم، أو يهربون منها، تاريكن زوجاتهم وأولادهم يعيشون حالاً نفسية، تمتزج فيها مشاعر الأحزان والحيرة واليأس.

وتشير التقارير الخاصة بموضوع هرب الأزواج من بيوتهم متسائلة: تصوروا كيف تكون مشاعر امرأة خرج زوجها لشراء قنينة حليب ولم يعد قط إلى بيته، كيف ستواجه المشكلة وهي لا تعرف إذا كان زوجها على قيد الحياة أو لقي مصرعه؟

ومثل هذه الأزمة تعيشها أو تجسدها الممثلة «روزماري لينغ» وهي تمثل مسرحية عنوانها «مغادرة البيت»، والقصة ليست خيالية، بل هي قصة واقعية تعالج مشكلة الأزواج الذين يهربون من بيوتهم بأعداد كبيرة سنوياً وبريطانيا، وأمام هذا الوضع تعيش الزوجات مع أولادهن وضعاً يتسم بالحيرة والاضطراب النفسي دون أن يعرفن ما إذا كُنَّ سيجدن أزواجهن أم لا... وتقول «جوليا كيرسلي» التي كتبت مسرحية «مغادرة البيت» إن القضية أشبه ما تكون بحياة الموت أمام هرب الأزواج، حيث تعيش الأسرة وضعاً نفسياً سيئاً لشعورها بأنها أصبحت منبوذة، وتقول الكاتبة المسرحية إنه من السهل على الأسرة مواجهة حال الموت من خلال الحزن على فقيدها، ولكن في حال الهرب تترك الأسرة في حال من الإهمال واليأس دون أن تعرف أسباب هرب الزوج وأين هرب، ولقد لجأت الكاتبة إلى كتابة مسرحيتها عندما واجهت بشعور مأساوي، ظاهرة تزايد حالات هرب الأزواج وهم في الغالب رجال في منتصف أعمارهم، يخرجون من بيوتهم ولا يعودون إليها.

وتعلل الكاتبة هذه الظاهرة بقولها: إن أسباب هرب الأزواج مختلفة ومتنوعة، والبعض من الأزواج يهربون لعدم استطاعتهم التكييف مع الضغوط، أو لا يستطيعون تحمل مسؤولية الأسرة، والبعض الآخر يشعرون بالملل بحيث يهربون لقناعتهم بأنهم سيحققون سعادتهم بطريقتهم الخاصة أو من خلال العيش وحدهم، وتقول الكاتبة إن هناك حالات من فقدان الذاكرة، حيث يفقد الرجل فجأة ذاكرته وينتهي به المطاف إلى بناء حياة جديدة لنفسه مقطوعة الجذور عن ماضيه، وبذلك تعيش الأسرة المنكوبة فترة حافلة بأسباب القلق والصراعات النفسية، فربُّ الأسرة كان يشكل دعامة البيت وبعد هربه لابد أن تنهار الأسرة لعدم قدرتها على تلبية حاجاتها الاقتصادية والمعيشية. وأمام مثل هذا الوضع المأساوي ماذ تفعل الزوجة إذا ما وجدت نفسها مهجورة تركت مع أطفال يحتاجون إلى الغذاء. ويقول: «روبن انفلش» وهو باحث اجتماعي يعمل في الخدمة الاجتماعية العائلية إن الناس بحاجة إلى دعم عاطفي إضافة إلى الدعم الاقتصادي، وذلك لأن الزوجة والأبناء يشعرون بأنهم منبوذون،

ويقول الباحث الاجتماعي إن الأبناء لا يستجيبون بسرعة لهذه الأوضاع ولذلك فسيعبّرون عن حالات إحباطهم وغضبهم بطرق مختلفة فيما بعد، وأمام ذلك فهو يقول: إن النصيحة الأولى للعوائل المهجورة هي دفعها لمراجعة المراكز الخاصة بالخدمة الاجتماعية لتتلقى المشورة والإرشادات والمساعدة على دفعها لممارسة حياتها والاعتماد على نفسها وإيجاد العمل المناسب لتوافر حاجاتها الاقتصادية والمعيشية وبذلك تستطيع الأسرة الوقوف على قدميها بدلاً من مواجهة انهيارها وتفككها.(١) وإذا كان الأزواج السابقون يهربون من بيوتهم بأجسادهم ونفوسهم، فإن هناك كثيرين غيرهم يهربون مع ترددهم على بيوتهم، يهربون من الإنفاق على زوجاتهم وأولادهم، بل يأخذون نفقتهم من زوجاتهم إذا كُنَّ عاملات أو مالكات للمال، أو يدفعونهن لبيع مصوغاتهن ومجوهراتهن لينفقوا منها على أنفسهم، وأحياناً على شهواتهم وملذاتهم، دون حمل لمسؤولية الإنفاق.

ومن الأزواج ممن قد يتحمل مسؤولية الإنفاق، لكنه لا يحمل واجبات تربية أولاده، وتأمين حاجاتهم، ومتابعة أمورهم، وشراء الأشياء والسلع للبيت، ويترك مسؤولية هذا كله على زوجته لتقوم به هي، على الرغم من أنه يدخل ضمن واجباته. والإسلام العظيم، حرر المرأة من هذا القيد، القيد المكبّل لجزء من طاقة المرأة ووقتها، حين تُبتلى بنصف رجل، وذلك حين ألزم الرجل زوجاً كان أو أباً أو ابناً بحمل مسؤولياته كاملة تجاه أمه وزوجته وأخته وابنته، مسؤولية الإنفاق، مسؤولية الحماية، مسؤولية الرعاية، مسؤولية التوجيه والهداية، كما هو واضح في كثير من آيات القرآن الكريم:

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) الطلاق:٧. (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦. (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء: ١٩. (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) الطلاق: ٦.

وفي كثير من أحاديث الرسول ﷺ:

«خيركم ... خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» حديث صحيح. «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم» رواه الترمذي وأحمد. «ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم» من خطبة حجة الوداع. ■

الهامش:

١. ملحق جريدة «الرأي العام» الكويتية الصادرة في ٢٨/٨/١٩٨٧م.

الأخت المخطوفة

أيها العربي الكريم، أنا في بابك، فابسط لي رداءك، قال يهودي شيم من الأندلس المخطوفة.

أنت من الأندلس الزهراء، فيا أهلاً، قال العربي المفجوع بواحدة من حبات القلب، بأندلس الأمويين، بـ«غرناطة» يفتضها «فرديناند» و«إيزابيلا»، أحداق «ابن زيدون» و«ولادة» سالت ورداً أحمر في شعر «الرندي»، فلا طير ولا نجم ولا بُستان إلا ارتج وبارح سيرته الأولى، اختل الميزان، أندلس التوحيد وجنات التوشيح تُجرجر في السبي، وتستصفى على مأدبة «الوندال» يا أسفا، يا أسفا، «أبو عبدالله الأحمر» صار إلى أرزق، صار يصيحُ كما الأطفال على أحضان النسوة، أي حليب ترضعه، يا من كنت تقيتُ الشمس بنور العقل وكحل المجد، أتبكي مُلكاً لم تزرعه ولم تمنعه، يا بن سُلالات الأعراب، إذا احتربت في عنقود من عنب أو فرس أصهب، لم تترك شبراً للصلح، ويا بن الثارات تُمزق أحشاء الأرحام الواشجة العرباء، أفاً للقيسية واليمنية إذ تقتتلان، تقتتلان وتقتتلان على قشة فخر، وتجودان بكل كنوز الدهر، فلا دين يجمعنا، ولا خطر يفزعنا! وا أسفا، وا أسفا!

رائحة الأخت المخطوفة كالنارنج التهبت في آفاق الشاميين المغثورين، يا أهلاً، يا أهلاً، قالوا للضيفان، ومدوا أذرعهم والبسط وريحان البستان، ودارت دائرة الأيام، فإذا الضيفان غُزاة في ثوب مساكين، اصطادوا أزهار الرمان، وراحوا يحتقرون الأنفاق، ويقتلعون الأحداق، ويزرعون الأسوار.

أيها العربي، أنا عمك، فامنحني دارك، قال يهودي جاء من القفقاس، وغامت رائحة «الفيتو» والعجل الذهبي المعجون بأبخرة «التلمود»، فلا طير ولا نجم ولا بستان إلا ارتج، وبارح سيرته الأولى، أرض الأسراء ارتاعت، وانداحت أسراب الجُرذان، على الشرفات، على العتبات، على الأحداق، في كل مكان، جُرذان جرذان.

يا «أبا عبدالله الأحمر»، من فينا يبكي مُلكاً، لم يزرعه، ولم يمنعه غائلة الغيلان؟ ثارات العربان انبعثت شمطاء، كما تعهدها «يا بن الأحمر» من «طنجة» حتى «جاكرتا»، تأكلنا الثارات، فلا دين يجمعنا، لا خطرٌ يفزعنا، وا أسفا، وا أسفا للأمويين والعباسيين، وللخلفاء الميمونين!

من «طنجة» حتى «جاكرتا» تحرثنا الغيلان، وتقرضنا الجرذان ونحن نزغرد في أذن الأخت المخطوفة.

من منّا يبلع سكيناً، ويقول: أنا «عنترة العبسي»، من منّا يلحس مبردة، ويقول: أنا «القعقاع» أخو الصهوات، ألا تباً للأوراق المسكوكة من دمع العذراء، وللذهب الأسود مجبولاً بدماء الشهداء ولعن الأجداد!

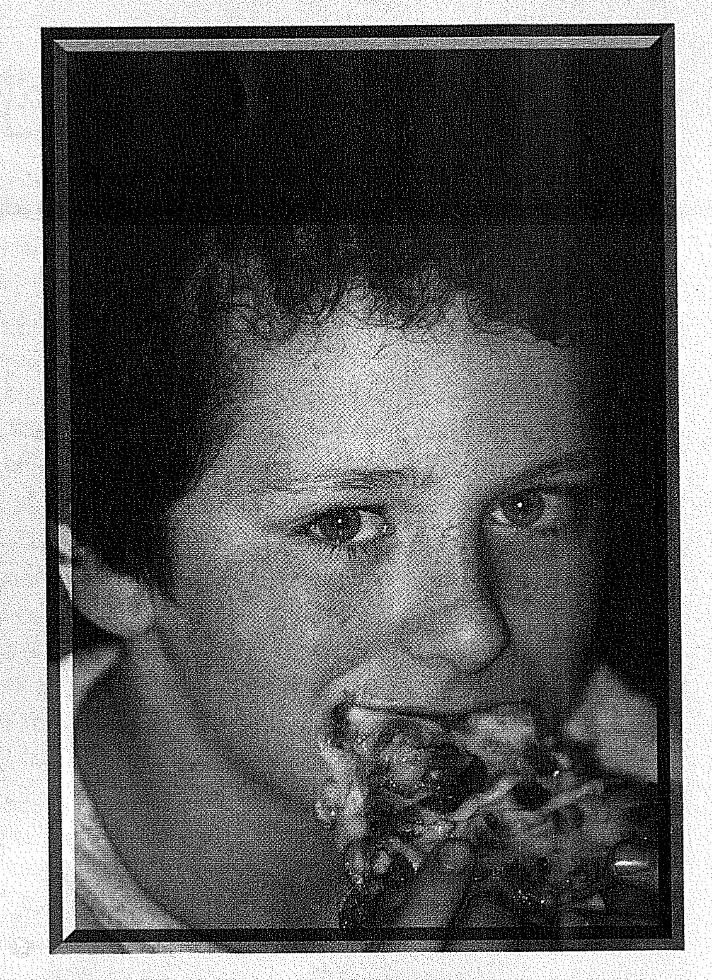
أيها العربي استعصم بعصا الإيمان، سيبطل سحرك كل أباطيل الغيلان وأنفاق الجرذان.

هل تسمع مثلي: وامعتصماه، وا معتصماه، وا معتصماه؟ ■

وامعتصماه



محمد الحسناوي



من الأمور المهمة في حياة الأسرة المسلمة تربية الأولاد منذ نعومة أظفارهم على بعض الآداب الاجتماعية التي يحتاجون إليها في محيطهم، وتخليقهم على التزام هذه الآداب، حتى إذا كبروا ونموا وأصبحوا يدركون معاني الأشياء وحقائقها، كان تعاملهم مع الآخرين ينبعث من سجية ثابتة وعادات أصيلة يحكمها البر والإحسان واللطف واللباقة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة الرقة واللطف في معاملة الناس لما لهما من آثار حسنة في النفوس، قال الله تعالى عن فتية أهل الكهف وما أوصوا به بعضهم بعضاً: (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) الكهف: ١٩.

إن ربط الطفل بهذا النحو من السلوك الاجتماعي الفاضل يجعله متكيفاً بشكل طبيعي مع وسطه الذي يعيش فيه، فيكون فعالاً إيجابياً مع الصغار والكبار، بعيداً كل البعد عن الانطواء والعزلة والخجل، يأخذ ويُعطي، ويخالط ويعاشر، ويتكلم وينصت، ويبيع ويشتري، بكل هدوء واتزان وثقة وطمأنينة.

هل تعتمد الأسرة على أطفالها ؟

هذا، وقد حفلت السيرة النبوية وحياة الصحابة بمعالم هذا المنهج التربوي في تكوين الطفل وتنشئته اجتماعياً، وإعداده سلوكياً للتفاعل مع المواقف المحيطة به، ومن تلك الأساليب والمعالم: اصطحاب الطفل المميز إلى مجالس الكبار لمخالطتهم والأخذ عنهم والسماع منهم، والتعرف على طريقة إدارة الأعمال والتعامل مع المشكلات، من خلال تلقيح عقله وتهذيب نفسه بما يدور حوله في مجتمع الكبار، وهكذا يتهيأ الطفل شيئاً فشيئاً لتحمل المسؤولية، ويتطبع على مكارم الأخلاق وأدب الحديث وإدارة الأعمال وبناء المجتمع.



أبناؤنا... وآدابنا الاجتماعية

د. حسن أبو غدة

روى ابن سعد وابن جرير والطبراني أن عمر - رضي الله عنه - كان يُدخل ابن عباس وهو فتى ناشئ مع أشياخ الصحابة الذين حضروا بدراً، كما يُذكر في هذا المقام اصطحاب النبي - ﷺ - ابن عمه عبدالله بن عباس وإركابه معه ومخاطبته بالحديث المشهور: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...» إلى آخر الحديث المتفق عليه.

ومن معالم تكوين الطفل اجتماعياً اعتماد الأسرة عليه وتدريبه على الذهاب خارج البيت لقضاء حاجات الأسرة، وغرس الثقة في نفسه واستغلال طاقاته وتطلعاته فيما يعود بالفائدة عليه وعلى أسرته ومجتمعه، وهو بهذا التصرف يكتسب خبرة عملية ذاتية، تمكنه من السير في حياته بخطى ثابتة وقدم راسخة بعيدة

عن التردد والتشكك، روى الشيخان أن رسول الله - ﷺ - بعث أنس بن مالك وهوغلام في حاجة له فقضاها له.

آداب السلام

ومما ينبغي على الأسرة تأصيله اجتماعياً في نفس الطفل أن تعوده على آداب السلام والتحية، وطريقة مقابلة الآخرين والوقوف معهم ووداعهم، وأن تعرفه أن السلام والتحية من شعائر الإسلام وسننه، وأن رده من الواجبات الدينية والكمال الاجتماعي، وأن السلام بحد ذاته يدل على اعتدال المزاج وحسن المعشر، وأن الألفاظ المختارة للسلام والتحية هي قول: السلام عليك، إذ فيها تطمين للغير وملاطفته وإكرام إنسانيته، وقد كان رسول الله - ﷺ - حريصاً على تعليم أبناء المسلمين هذه القيم الإنسانية ودمجها بالمعاني الدينية حتى تؤتي ثمارها في الأفراد والمجتمع.

روى الترمذي أن النبي - ﷺ - قال لأنس بن مالك: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك»، وروى الشيخان: أن رسول الله - ﷺ - كان إذا مرّ على الصبيان سلم عليهم، ومن المؤكد أنه بهذا التصرف يُشعرهم بقيمتهم الاجتماعية، ويغرس فيهم مشاعر الرجولة، ويبني معالم شخصياتهم المستقبلية.

هذا، وان للسلام بعض الآداب التي ينبغي على الأسرة ملاحظتها في تعليم أبنائها، ومن ذلك: أن يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، كما يستحسن أن يسارع الصغير إلى التسليم على الكبير إكراماً وبراً، وينبغي أن يعرّف الأبناء أيضاً: أنه ليس من المستحب السلام على من هو منشغل في نحو صلاةً وقراءة قرآن واستماع درس أو خطبة أو هو في قضاء حاجة.

آداب الاستئذان

ومما ينبغي على الأسرة غرسه في عادات الناشئ آداب الاستئذان وقرع الأبواب حين زيارة الآخرين أو الدخول عليهم في بيوتهم ومكاتبهم ومقار أعمالهم وخلواتهم، قال الله تعالى في الآية ٥٨ من سورة النور: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عوراتكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض) ثم قال سبحانه: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) النور: ٥٩

هل يدرب الطفل على الذهاب خارج البيت لقضاء حاجات الأسرة ؟

فقد شرع الله في هذه الآيات أن تعلم الأسرة أبناءها غير البالغين سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً أنهم إذا أرادوا دخول غرف بيوتهم في أوقات الراحة الثلاثة فيجب عليهم أن يطرقوا الأبواب للاستئذان في الدخول خشية أن يروا الأب والأم أو غيرهما من الإخوة والأخوات في حال لا يحسن الاطلاع عليها من انكشاف الجسم ونحوه، فإذا ما صار هؤلاء الصغار كباراً بالغين يشرع لهم الاستئذان وطرقُ الباب على الآخرين في عامة الأوقات، كما قال الله تعالى في الآية ٢٧ من سورة النور: (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون)، وروى مالك أن رجلاً قال للنبي - ﷺ - «أستأذن على أمي؟ قال: نعم، قال: إني معها في البيت؟ فقال رسول الله - ﷺ - «استأذن عليها، قال الرجل: إني خادمها؟ فقال رسول الله - ﷺ: استأذن عليها، أتحب أن تراها عُريانة ؟ قال: لا، قال: فاستأذن عليها.

آداب الجلوس بين الناس

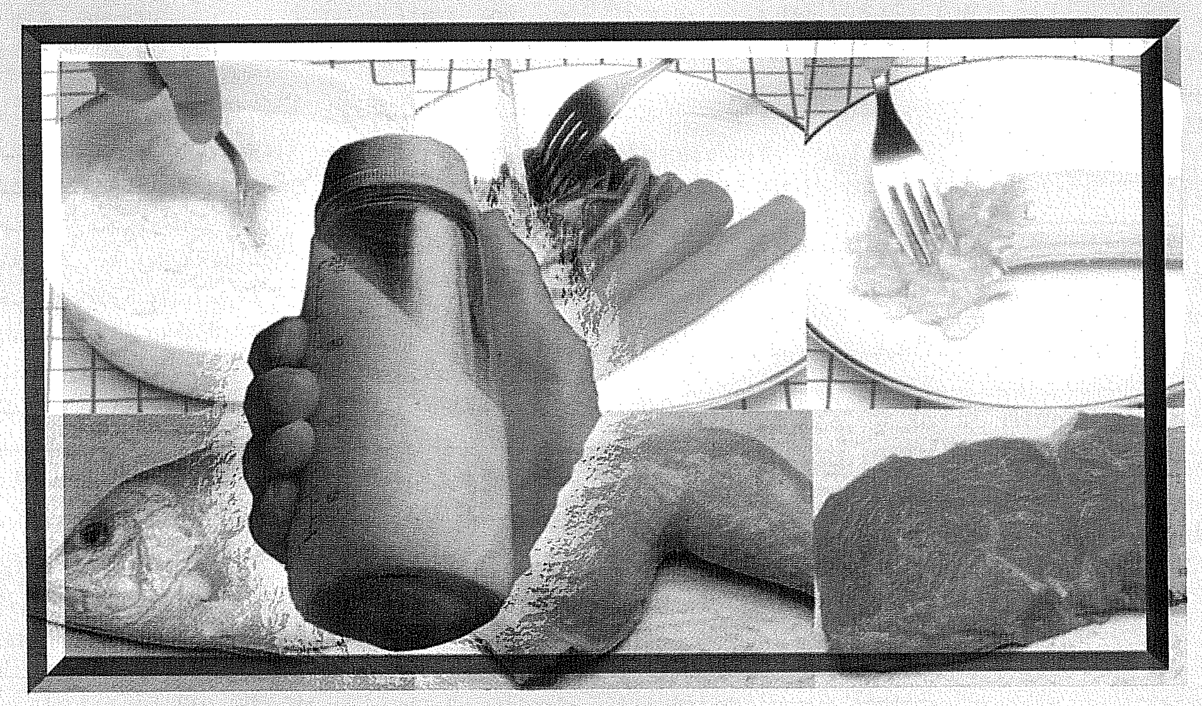
هذا ومن السلوك الاجتماعي الذي يتعين على الأسرة تبيينه لأولادها وتعويدهم عليه آداب الجلوس بين الناس والدخول عليهم، حيث يستحب للداخل أن يصافح من يلتقي بهم ويجلس في المكان الذي أعده له رب المنزل، لأنه أدرى بحاله وما يناسب زائره، ومن المستحسن توجيه الطفل إلى تجنب الجلوس وسط الناس أو استدبارهم بظهره ويعرف بوجوب الإقبال عليهم بوجهه وجسمه، روى الترمذي عن جابر - رضي الله عنه - قال: «كنا إذا أتينا النبي - ﷺ - جلس أحدنا حيث ينتهي به المجلس».

وهذا إن لم يصحبه رب الدار إلى مكان كان قد أعده له خاصة، وروى أبو داود عن النبي - ﷺ - أنه قال: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا».

كما يُرشد الطفل إلى وجوب تجنب الجلوس بين اثنين كانا يتحدثان معاً، لما في ذلك من إساءة وتصرف غير لائق ولا مستساغ في الذوق الاجتماعي العام، روى الترمذي عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «لا يحل لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما».

وهكذا نرى أن هناك مجموعة من الآداب الاجتماعية اليومية التي لا ينبغي للأسرة المسلمة أن تهملها في تعاملها مع أبنائها، بل يجب عليها أن تعرفهم بها وتمارسها معهم وأمامهم ليتقيدوا بها ويكرروها في علاقاتهم مع إخوانهم وأخواتهم وذويهم، فإن هم فعلوا تأسست العلاقات الاجتماعية عامة على قواعد واحدة متجانسة في الفضيلة واللباقة واللطافة، وتحقق وقتئذ قول الله تعالى في المسلمين: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» آل عمران: ١١٠. ■

للسلام آداب يحسن التبكير في تعليمها أبناءنا



متى تبدئين بتقديم الوجبات الصلبة لطفلك؟

د. رضوان أحمد بيطار



استمري بالرضاعة الطبيعية لأطول مدة ممكنة، وابتداء من الشهر السادس سيحتاج طفلك إلى أطعمة أخرى أيضاً لتغطية حاجاته الغذائية المتزايدة، بالإضافة إلى ذلك فإن تقديم الوجبات شبه الصلبة مثل الحبوب تساعد الطفل على تعلم مضغ وابتلاع الغذاء الصلب، وتجعله يألف طعماً وملمساً جديداً، كما أنها خطوة لجعل الطفل مستعداً لمزيد من وجبات الكبار دون الاستغناء عن الحليب.

ومع هذا يبقى حليب الثدي أو تركيبة الحليب مصدراً مهماً لتغذية الطفل في النصف الثاني من السنة الأولى، اعط طفلك ٥٠٠ ملليمتر «أي نصف لتر» من الحليب يومياً عند هذه المرحلة.

ومنذ الشهر الرابع يمكن أن تبدئي بإعطاء طفلك الوجبات شبه الصلبة، وتزود وجبات الحبوب الطفل بالأحماض الدهنية الأساسية والفيتامينات، وبخاصة مجموعة«ب» والمعادن، حيث تتكامل مع المكونات الغذائية الموجودة في الحليب. ابدئي بإطعام طفلك نوعاً واحداً من الطعام في كل مرة وبكميات قليلة فقط، وقدمي له الطعام الجديد قبل رضعة الحليب، بينما هو جائع، وبالتدريج زيدي الكمية حتى تستبدلي رضعة الحليب بوجبة حبوب «أو وجبة شبه صلبة» حيث تتوافر في الأسواق تشكيلة واسعة من الأغذية شبه الصلبة المجهزة خصيصاً للأطفال والمعدّة من الحبوب مع الحليب والتي تحتوي أحياناً على الفواكه أوالخضار.

في البداية قدمي لطفلك تشكيلة الوجبات الخالية من الغرويات «المصنوعة من الأرز أو الذرة» ولا حقاً تستطيعين تقديم الحبوب التي

تحتوي على الغرويات «المصنوعة من القمح والشوفان». قد يحتاج طفلك إلى سوائل إضافية وبخاصة في الجو الحار «عند البدء بإطعامه وجبات شبه صلبة» قدمي له القليل من الماء البارد الذي سبق غليه أو القليل من عصير الفاكهة الطازجة المخففة بالماء.

كوني صبورة عند تقديم الوجبات شبه الصلبة، لأن طفلك معتاد على امتصاص الحليب، فالطعام واستخدام الملعقة في تناوله يعتبران تجربة جديدة بالنسبة له، وإذا رفض طفلك الأكل أو بصق الطعام فلا تجبريه على تناول هذه الوجبة، ولكن حاولي مرة أخرى في اليوم التالي.

وإذا ظهر على طفلك طفح جلدي أو أخرج برازاً ليناً بعد تقديم الطعام الجديد، يجب عليك في هذه الحال التوقف عن إطعامه هذا النوع من الغذاء بالتحديد والمحاولة ثانية في وقت لاحق.

وربما ترغبين في إطعامه وجبة صلبة تحضرينها في المنزل، فاحرصي على أن تكون مهروسة وممزوجة جيداً بحيث لا تحتوي على أجزاء كبيرة قد تجعل الطفل يَشْرَق وتذكري أن الملح والسكر الزائدين أو أي نوع من التوابل قد تضر بطفلك، ويجب أن تكون كل الأواني التي تلزم لتحضير الوجبة نظيفة تماماً واعتباراً من الشهر السادس لا داعي لتعقيم أوعية الطعام، إنما نظفيها جيداً فقط. كما يجب الامتناع عن إطعام الطفل أي نوع من أنواع الطعام المعلب غير المخصص للأطفال لأنه يحتوي على الكثير من الملح والسكر. وعندما تبدأ أسنان طفلك بالظهور، ويتمكن من حمل الأشياء ليضعها في فمه، فمن المناسب أن تعطيه البقسماط أو البسكويت ليقضمه، ويملك البقسماط المصنّع خصيصاً لتسنين الطفل طعماً لذيذاً محبباً يمنح طفلك تنوعاً في الوجبات.

بعد ظهور الأسنان احذري أن تتركي زجاجة الحليب في سرير الطفل يمصها أثناء نومه لأن الحليب يحتوي على سبعة بالمئة من السكر والذي يتحول بفعل البكتيريا الموجودة عادة في الفم إلى حمض يتلف مينا الأسنان، وبذلك تتعرض أسنان الطفل للنخر، ويحدث هذا بسبب قلة انسياب اللعاب أثناء نوم الطفل ليلاً، بينما انسياب اللعاب الوافر وحركة الفم النشطة في النهار تمنع الأسنان من بقائها مغمورة بالحليب لفترة طويلة.

ويوضح الجدول المرفق العمر المناسب لإدخال كل نوع من أنواع الغذاء

استخدام الملعقة في اطعام الطفل

دعي طفلك يستعمل الملعقة بنفسه ويجرب مهاراته التي اكتشفها حديثاً، متى رغب في ذلك، فهذا سيساعده على التعلم بسرعة أكبر، وإن سبب ذلك لك بعض الفوضى والتعب، فهذا هو السبيل الوحيد للتعلم في بادئ الأمر. أما إذا كنت في عجلة من أمرك فيمكنك إطعامه بنفسك بالملعقة مما يوفر عليك الجهد ويجعلك تشعرين بالسعادة وأنت تطعمينه.

مراقبة وزن الطفل

ينمو الأطفال في العام الأول بمعدل أسرع مما هو في أي وقت آخر من حياتهم، ويعتبر نمو الطفل معياراً دقيقاً لكفاية غذائه وصحته العامة.

لذلك فإن وزن الطفل بانتظام يعتبر طريقة سهلة للتأكد من أنه بصحة جيدة وأنك تغذينه جيداً.

ففي الأشهر القليلة الأولى من عمر الطفل يزداد وزنه نحو ١٨٥ غراماً كل أسبوع، بحيث يتضاعف خلال الأشهر الأربعة الأولى من نحو ٣، إلى ٦,٢٥ كليو غرامات، ويصل إلى نحو ١٠ كيلو غرامات في تمام السنة الأولى، ويبلغ نصف وزن الشخص البالغ عندما يبلغ من العمر تسعة إلى أحد عشر عاماً.

ولكن عند النظر فيما إذا كان طفلك ينمو بسرعة كافية أم لا، تذكري أن كل فرد فريد ومتميز عن غيره، لذلك فقد يتبع نمطاً مختلفاً قليلاً عما ذكر، وأن وزن الطفل لايزداد بالمقدار نفسه كل يوم، فقد يبقى ثابتاً لأيام عدة، ليقفز بعد ذلك، ولا يستهويك وزن طفلك مراراً، لأن ذلك قد يسبب لك القلق دون داع، عندما ترين أن وزنه لا يزداد بتعاقب الأيام.

زني طفلك مرة في الأسبوع وذلك في الأسابيع الستة الأولى، ثم كل أسبوعين حتى الشهر الثالث، ثم شهرياً بعد ذلك. ■

العمر	التوصيات العامة
٠ - ٦ أشهر	حليب الأم أو تركيبة حليب الأطفال الابتدائية
٤ - ٦ أشهر	حبوب الأرز أو الذرة، ثم الحبوب الأخرى المصنوعة من القمح أو الشوفان حسب تقبل الطفل لها
٥ - ٧ أشهر	الخضار المطبوخة جيداً والفواكه كالموز والبرتقال والتفاح وعصائرها نوع واحد في كل مرة
٦ - ٨ أشهر	تركيبة الحليب المكملة، الأطعمة البروتينية «الجبنة ولبن الزبادي «الروب»، اللحم المفروم والسمك والدجاج وصفار البيض
٩ أشهر	التوست وبقسماط التسنين
١٢ شهراً	حليب «بقري» كامل الدسم أو الاستمرار بتركيبة الحليب المكملة

حكم الزواج إن استكتم الشهود

محمود النجيري

ينتشر بين كثير من الناس في هذه الأيام استكتام الشهود الذين يشهدون على عقود الزواج، وذلك لأسباب كثيرة، وفي هذا المقال نتناول حكم هذا الاستكتام وإخفاء الزواج قاصدين ظاهرة الزواج السري التي تفشت بين الشباب في بعض المجتمعات الإسلامية، حتى أنهم يتزوجون دون علم أوليائهم، ومن خلف ظهر المجتمع



النكاح بين الإعلان والإشهاد

يمكن أن نجمل حالات عدة للنكاح مع الإعلان والإشهاد كالتالي:(١)

١ - إذا اجتمع الإشهاد والإعلان، فهذا لانزاع بين الفقهاء في صحته.

٢ - إن خلا النكاح عن الإشهاد والإعلان فهو باطل عند جميع العلماء.

٣ - إن كان النكاح مع الإعلان صح بلا ريب في ظاهر مذاهب المسلمين، وإن لم يشهد العقد شاهدان.

٤ - إن كان النكاح بإشهاد شاهدين مع الكتمان، فهذا عند علمائنا المتقدمين مما يُنظر فيه، إذ وقع بينهم الخلاف فيه على قولين:(٢)

القول الأول :

إن الشهادة وحدها هي الإعلان ولو تواصى الشاهدان بالكتمان، وهذا قول أبي حنيفة والشافعي وابن حزم، فبشهادة اثنين يخرج عن أن يكون سراً، وحجتهم ما استفاض من الأخبار في اشتراط الشهود وتعيينهم طريقاً للإعلان، مثل قوله - صلى الله عليه وسلم:(٣) «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»، وبمجموع هؤلاء لا يكون الأمر سراً، وإن كتموه.

القول الثاني :

إن الشهادة ليست شرطاً لإنشاء العقد، بل الشرط لإنشاء العقد مطلق الإعلان، والشهادة شرط لحل الدخول، أي أنها ليست شرطاً للانعقاد، ولكنها شرط لترتب الآثار، والشهادة وحدها لا تكفي للإعلان، وأن الشاهدين إن تواصيا بالكتمان لا ينشأ العقد، فيكفي شهود النكاح والإعلان به، وبذلك خرج عن أن يكون سراً، وهو قول مالك ومن تبعه.

ونُقل عن مالك قوله :(٤) «لو زوج ببينة وأمرهم أن يكتموا ذلك لم يجز النكاح لأنه نكاح سر، وإن تزوج بغير بينة على غير استسرار جاز، وأشهدا فيما يستقبلان».

وروى ابن وهب عن مالك إن الرجل يتزوج المرأة بشهادة رجلين ويستكتمهما، قال :(٥) يفرق بينهما بتطليقة ولا يجوز النكاح، ولها صداقها إن كان أصابها، ولا يعاقب الشاهدان».

اختلاف مفهوم السرية بين العلماء

من الواضح أن الاختلاف بين القولين السابقين ليس في الإعلان وإظهار الزواج، ولكن في مفهوم الإعلان، والقدر الذي يتم به، ولذلك يقول ابن الهمام، وهو من فقهاء الحنفية:()

«فالتحقيق أنه لا خلاف في اشتراط الإعلان، وإنما الخلاف بعد ذلك في أن الإعلان المشترط: هل يحصل بالإشهاد حتى لا يضر بعده توصيته للشهود بالكتمان؟ إذ لا يضر بعد الإعلان التوصية بالكتمان، أو لا يحصل بمجرد الإشهاد حتى يضر؟ فقلنا «أي الحنفية»: نعم وقالوا «أي المالكية»: لا.

ولو أعلن من دون الإشهاد لا يصح «عند الحنفية» لتخلف شرط آخر، وهو الإشهاد، وعنده «أي مالك» يصح، فالحاصل أن شرط الإشهاد يحصل في ضمنه الشرط الآخر، فكل إشهاد إعلان، ولا ينعكس، كما لو أعلنوا بحضرة صبيان أو عبيد».

وبعبارة أخرى فإن الاختلاف هو في مسألة ما تقع فيه الشهادة، هل ينطلق عليه اسم السر أم لا؟ وسبب اختلافهم: هل الشهادة في ذلك حكم شرعي عند العقد أم المقصود منها سد ذريعة الاختلاف أو الإنكار؟ فمن قال هي حكم شرعي، قال هي شرط من شروط الصحة، ومن قال توثق فقط، قال: هي من شروط التمام.(٧)

وعلى القول الأول، فإن نكاح السر هو ما لم يحضره شاهدان، فأما ما حضره شاهدان فهو نكاح علانية، لا نكاح سر، إذ السر إذا جاوز اثنين خرج عن أن يكون سراً كما يقول به ابن الهمام مستشهداً بقول الشاعر:

وسرك ما كان عند امرئ
وسرُّ الثلاثة غير الخفي

وينبغي أن ننبه إلى أن أصحاب هذا القول ذهبوا إلى كراهة كتمان النكاح أو التواصي بذلك على الرغم من قولهم بصحته، كما يجب أن نفهم قولهم هذا في إطار مذهبهم في الولي، وما اشترطوا من حق للأولياء، وهذا يظهر مفارقته للطريقة التي يجرى بها الزواج السري في عصرنا، فعلى مذهب الشافعي وابن حزم: «لا نكاح إلا بولي»، ولذلك يقول ابن حزم:(٨) «ليس سراً ما علمه خمسة: الناكح والمنكح والمنكحة والشاهدان، قال الشاعر: ألا كل سر جاوز اثنين شائع.

وقال غيره:

السر يكتمه الاثنان بينهما
وكل سر عدا الاثنين منتشر

لا يصح النكاح مع الإخفاء عن الولي

وأما على مذاهب الحنفية، فلا يعني صحة النكاح بلا ولي عندهم الإخفاء عن الولي، إذ قد مر بنا أنهم احتاطوا له احتياطاً شديداً: فلا بد من علمه ورضاه قبل العقد، ولابد من تحقق الكفاءة ودفع مهر المثل، فإن وقع الزواج دون تحقق الكفاءة وقع باطلاً ابتداء عند الحنفية، وإن كان دون مهر المثل توقف على إجازة الولي، فإما يكمل الرجل مهر المثل أو يفرق القاضي، وفوق كل ذلك ألا يجلب الزواج لأهل الفتاة عاراً أو تعييراً بين الناس.

وفي عصرنا لا عار أكبر من أن تتزوج الفتاة سراً من أهلها بشاهدين غير عدلين على ورقة سرية، ولم يعن علماؤنا قديماً شيئاً مثل ظاهرة الزواج السري المعاصرة، فقد كان يُجرى زواج سري في عصرهم على وجه آخر، إذ يرغب الرجل في إخفاء زواجه الثاني عن زوجته الأولى، وكان يصحب بكثير من الشروط الباطلة أو المكروهة، ولكنه كان بولي وشاهدين وبيت أسرة وحياة أسرية كاملة(٩)، ومثل هذا الزواج يوجد في حياتنا المعاصرة كثيراً، ويكون أحياناً بمأذون وأحياناً عرفياً، ولكن يعلمه عدد محدود من الناس أولهم أسرة المرأة، وهذا نكاح لا يمكن أن نقول ببطلانه.

وإنما الذي نحكم عليه بالبطلان هو الزواج المستكتم عن الأهل الذي تجلب به الفتاة لأهلها عاراً يغسله الدم، فهي تخطت وليها، وحاولت استكمال الشكل القانوني للزواج احتيالاً منها بشاهدين تستكمهما علاقة عاطفية محرمة تغطت بورقة زواج لا يعترف بها أحد، وكما في الأصول: «المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً»، والمعروف هو إعلان النكاح وإظهاره بالصوت والدف والزفاف والاحتفال من الأسرتين المصهرتين والأقارب من الجانبين، فهو كالمشروط في النكاح، والكتمان عكس النكاح، فكان الإعلان بذلك جزء من مفهوم الزواج عرفاً.

ومادامت حكمة الإشهاد هي إخراج العلاقة الزوجية من السر إلى العلن، فلا يصح استكتام الشهود لأنه يعني نفي الحكمة من الإشهاد(١٠)، والكتمان قام مقام عدم الشهادة، أو ألغى الهدف منها، ووضع علامة استفهام كبيرة على هذه العلاقة غير الطبيعية، وعلى الأسباب التي تدفع إلى استكتامها، وهي أسباب تكون عادة ضد المجتمع وأمنه واستقراره.

وفيما نرى، فإن مذهب المالكية أولى بالأخذ به هنا، لأنه يتلاءم مع خطر عقد الزواج وأثره الكبير، وهو الحل الناجع للمشكلات التي أفرزتها ظاهرة الزواج السري المعاصرة. ■

الهوامش :

١ - انظر مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ص ٣٢ - ١٣٠.

٢- انظر الأحوال الشخصية، قسم الزواج للشيخ محمد أبي زهرة، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، ص ٤٧ - ٤٨.

٣- أخرجه أحمد وأصحاب السنن عن أبي موسى به مرفوعاً، وصححه الترمذي وابن حبان، وفي مسند الإمام أحمد عن عمران بن حصين مرفوعاً: «لا نكاح إلا بولي وشاهدين» انظر تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لابن الربيع الشيباني، مكتبة صبح، القاهرة، د.ت، ص٩٠.

٤- ٥ - تفسير القرطبي ط٣، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧ - ١٩٦٧، ص ٧٩/٣ - ٨٠.

٦- فتح القدير لابن الهمام، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣١٥هـ، ص ٣٥٢/٢، وانظر أيضاً: الفقه على المذاهب الأربعة، لعبدالرحمن الجزيري، دار الإرشاد، القاهرة، د.ت ٨١/٤.

٧- انظر بداية المجتهد لابن رشد الحفيد، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ١٥/٢.

٨- المحلى لابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص ٤٦٦/٨.

٩- انظر المغني لابن قدامة المقدسي، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص ٥٥٠/٦ - ٥٥١.

١٠- انظر ابن تيمية: المرجع السابق، ص ٣٢/ ١٣٠ - ١٣١.



الرجال لا يبكون

عبارات خطيرة (٢)

تردد الأمهات - وربما الآباء - عبارات متوارثة منوعة أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن مبادئ مخالفة للإسلام، ومعلومات خاطئة تؤثر على المفاهيم والقيم الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية - وربما المشاعر الإنسانية - لأولادنا لتسبب لهم آثاراً نفسية سيئة، أو مفعولاً سلبياً أو سلوكاً معادياً... فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

عابده المؤيد العظم

تربيه

«الرجال لا يبكون»: عبارة «تُلقَّن مذ يكونون صغاراً، فيعاب عليهم البكاء عند المرض والألم، ويمنعون من البكاء عند الحزن والأسى.

وفي كل موقف وفي كل مناسبة وفي كل يوم تكرر هذه الكلمات على مسامع الأبناء: «الرجال لايبكون»، وتناقل الناس هذه العبارة «الرجال لايبكون» حتى ظفرنا بجيل تغلب على رجاله الجلافة والغلظة، فهم قساة القلوب لا يعرفون حقيقة الرحمة ولا يقيمون وزناً للمشاعر، فقد يعقون ويقطعون الأرحام لأنهم لايهتمون بالعواطف الأبوية والأخوية، وقد يظلمون ثم لا يشعرون بتأنيب الضمير، وقد يفسقون ثم لا يتأثرون بالمواعظ حق التأثر...

وكانت هذه هي النتيجة الخطيرة التي حصلنا عليها من ترديد هذه العبارة الخطيرة! وإن الذي جعل الناس يستهجنون البكاء ويحرمونه على ذكورهم أنهم اعتبروه - على إطلاقه - ضعفاً فمنعوه مطلقاً، فهل تعلمون أن للبكاء أسباباً متفاوتة وأن من الخطأ أن ندرجها جميعاً في سلة واحدة فنحكم عليها حكما واحداً؟

هذا البكاء نرفضه

فالبكاء قد يكون لضعف أو لعجز واستسلام، ومثل هذا البكاء نرفضه - نحن المسلمين - ولا نقبله حتى لبناتنا فضلاً عن أولادنا الذكور، فالإسلام يفضّل المؤمن القوي على الضعيف، ولكن للبكاء أسباباً أخرى حبذها الإسلام وحث الناس عليها، وكان النبي - ﷺ - يبكي لأجلها! وكان لبكائه المحبذ المشروع هذا أسباب عدة ينبغي أن نعرفها لنتمثلها:

- فتارة هو الشفقة والمحبة والرحمة: «... فأتاهم رسول الله - ﷺ - فيجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاء حزيناً ... فدمعت عينا رسول الله - ﷺ(١)، وأيضاً: «أرسلت بنت النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قبض» «يحتضر» فأتنا ... فرفع إلى رسول الله الصبي ونفسه تتقعقع «تتحرك وتضطرب بصوت»... ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب

عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»(٢)، وأيضاً : «أخذ النبي ﷺ بيد عبدالرحمن بن عوف فانطلق به إلى ابنه إبراهيم، فوجده يجود بنفسه، فأخذه النبي ﷺ في حجره فبكى، فقال له عبدالرحمن : أتبكي ؟ أو لم تكن نهيتنا عن البكاء ؟ فقال : لا، ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند مصيبة - خمش وجوه وشق جيوب - ورنة شيطان»(٣)، وبكى ﷺ لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض.

بكاء الضعف والعجز والاستسلام أمر مرفوض

بكاء الحزن على الفراق

وتارة هو الشوق والحزن على الفراق : «أتى رسول الله ﷺ قبر أمه بالأبواء في ألف مقنّع فبكى، وأبكى من حوله»(٤)، «شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ تُدفن ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان...»(٥)، ولما مات ابنه إبراهيم، دمعت عيناه وبكى رحمة له، وقال : «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»(٦)، وبكى لما مات عثمان بن مظعون: «عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قبّل عثمان بن مظعون، وهو ميت، وهو يبكي، أو قالت : عيناه تذرفان»(٧).

- وتارة من باب الخشوع وخشية الله : «عن عبدالله بن الشخير العامري رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»(٨)، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود القرآن : «قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ عليَّ القرآن، فقلت : يا رسول الله، أأقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري، قال : فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً(٩)، قال : حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»(١٠)، وبكى لما كُسفت الشمس : «انكسفت الشمس على عهد النبي ﷺ فقام إلى الصلاة ... فجعل ينفخ في آخر سجوده من الركعة الثانية ويبكي»(١٠).

بكى النبي - ﷺ - شفقة وبكى خشوعاً وبكى شوقاً

فكيف تمنعون الذكور من البكاء وقد بكى النبي ﷺ ؟. وكيف تستهجنون البكاء والنبي ﷺ قال : «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»؟ وكيف ترفضون البكاء وقد جعله النبي ﷺ واحداً من أسباب النجاة من النار: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله»(١٢).

انتبهوا لهذه العبارة

وبهذا تبدو الخطورة الحقيقية لهذه العبارة ! إذ كيف تلقنون الصبية مخالفة نبيهم جهاراً، وقد أمرهم وإيانا بالبكاء أمراً، وفي مواضع عدة:

١ - خشية لله وخوفاً من عقابه «وابْكِ على خطيئتك»(١٣).

٢ - وعند قراءة القرآن : «فإذا قرأتموه فابكوا»(١٤).

٣ - وعند المرور بديار المعذَّبين : «لا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم يصيبكم ما أصابهم»(١٥)

فيأيها الناس، انتبهوا من هذه العبارة الخطيرة : «الرجال لايبكون»! وكفوا عن ترديدها وتلقينها الصغار، فقد بكى النبي - ﷺ - وهو رجل، بل هو أفضل الرجال !!، وقد بكى وهو النبي، وبكى وهو المشرّع، وبكى وهو القدوة، فكان لا يحبس مشاعره، ولا يكبت عواطفه، بل يبكي مما يُبكى منه، ويتأثر لما ينبغي التأثر له، ولكن لم يكن بكاء النبي ﷺ بشهيق ورفع صوت، بل كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز «كما وصفه ابن القيم في زاد المعاد» إنما كان يبكي ولا يجد في ذلك حرجاً، وكان يبكي ولا يجد بأساً، وكان يبكي ويبكي معه صحابته، وقد بكى صحابته من بعده!؟

فأي شيء - بعد ذلك - تقولون في بكاء الرجال؟ ■

الهوامش :

١ - الطبقات الكبرى ج٨ ص ٧٨.
٢ - البخاري ومسلم.
٣ - الترمذي.
٤ - من زيادة رزين على حديث أبي داود والنسائي.
٥ - البخاري.
٦ - البخاري.
٧ - الترمذي وأبو داود.
٨ - أبو داود والترمذي.
٩ - النساء: ٤١.
١٠ - البخاري ومسلم.
١١ - النسائي.
١٢ - الترمذي.
١٣ - الترمذي.
١٤ - الترمذي.
١٥ - البخاري.



دور الأسرة في تنشئة الفرد وبناء المجتمع

بقلم : محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

يعتمد الإسلام في بناء الفرد المسلم على أسلوب فريد، وهو حرصه على توحيد القوتين الكبيرتين في الإنسان: قوة الروح، وقوة الجسد، ليعملا سوياً لصالح الفرد، ولصالح الجماعة، تفادياً للازدواجية، التي تعمل في كثير من الأحيان على تقوية إحدى هاتين القوتين على حساب القوة الأخرى، الأمر الذي يعود بأسوأ النتائج على الفرد، وعلى المجتمع، وتصيب إحدى هاتين القوتين بالشلل، أو توجهها لغير الوجهة السليمة التي كان يجب أن تتجه إليها، وليس هدف الإسلام سوى تكوين الفرد الذي يتصف بالتكيف السليم.

تربيه الطفل

وتعد التربية الخلقية والدينية من أهم الشروط الأساسية للوصول إلى التكيف السليم، وذلك لأن التعاليم الدينية، والمبادئ الأخلاقية، والقيم الروحية، تجنب الفرد الوقوع في الزلل، وتبعده عن ارتكاب الخطأ، ومن هنا فهي تخفف إلى أبعد الحدود من حدة التوتر لدى الفرد، والذي ينتج الكثير من الأضرار، وما قد يترتب على ذلك من تردي الفرد في الإحساس بالذنب، واتهام الذات بالناتج عن ارتكاب الأخطاء.

ومما لا شك فيه أن الفرد يشعر بالأمان النفسي، والطمأنينة الروحية، عندما يسلك طريقاً معيناً يراه المجتمع قبل أن يراه هو مقبولاً، ولابد من أن يكون هذا الطريق مشتقاً من قانون أخلاقي يستند إلى الدين.

ولهذا فإن من أهم ما يعنى به المهتمون بالتربية، والقائمون عليها، ويبذلون في سبيله أقصى ما في وسعهم واستطاعتهم، هو دراسة أفضل الوسائل التي تستطيع بها الأسرة والمدرسة أن تساعد الأفراد، على أن يجدوا لأنفسهم نظاماً من القيم والمبادئ الخلقية، يستمدون منه موجّهات سلوكهم، واتجاهاتهم الفكرية.

وهذا النظام من المبادئ، والتعاليم، والقيم الأخلاقية، يعد ركيزة أساسية، تقوم عليها عملية التكيف السليم، باعتباره المحدد للسلوك، والموجّه للتفكير.

وليس السلوك سوى النشاط الذي يقوم به الفرد، وهو يتفاعل مع بيئته، ويتكيف معها، والمقصود بالبيئة هو مجموع العوامل الخارجية، والتي يمكن أن تؤثر في نمو الكائن الحي، وفي نشاطه، منذ تكوينه وإلى آخر حياته.

ومن هنا يجب أن يبدأ إعداد الفرد لحياة سليمة مستقيمة، خالية من الاعوجاج، وبريئة من الانحراف منذ الصغر، إذ كلما صلحت البيئة صلح الفرد والمجتمع.

والأسس التي يقوم عليها الإصلاح تبدأ من البيئة الأولى، بيئة المنزل، لأنه هو المدرسة الأولى للفرد، ففيه يولد، وفيه ينمو، وفيه يترعرع، وفيه يشب عن الطوق، حتى يصير رجلاً يستطيع الاعتماد على نفسه، ويصير في مقدوره أن يكون أسرة جديدة، يكون هو أساسها.

النواة الأولى في المجتمع

تعد الأسرة هي النواة الأولى في المجتمع، وبناء الصرح الاجتماعي يقوم على سواعدها، وذلك لكونها البيئة الطبيعية التي ينشأ فيها الأبناء، وينمون ويكبرون، حتى يدركوا أمور الحياة ويتفهموها

وينطلقوا في معركتها بأسلحتهم الكاملة، ويبدؤوا في تكوين خبراتهم وشخصياتهم، وتتوقف صلاحية هذا الصرح ومدى قدرته على مواجهة الحياة على صلاحية الأسرة نفسها، باعتبارها الخلية الأولى فيه.

والأسرة هي الوحدة الاجتماعية التي ينشأ فيها الأبناء، ويتفاعلون مع بعضهم بعضاً، وهي التي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نمو الأبناء ورعايتهم، وتقوم بتلقينهم أصول التطبيع الاجتماعي، الذي يرجع إليه تكوين شخصياتهم وتحدد فهم الطبيعة الطبيعية للإنسان، وهي الحضن الاجتماعي الذي يعود إليه العمل الحاسم في عملية الميلاد الثاني للأبناء، كجماعة أولية، حيث إنها تهيء استعداداتهم البيولوجية والنفسية، ليصيروا لبنة صالحة، متهيئة لعملية التنشئة الاجتماعية، التي تكسبهم ثقافة الجماعة، ونظمها، وحكمتها.

وتسعى الأسرة إلى تحقيق الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار لأفرادها، وذلك عن طريق بذر بذور المحبة والمودة، والتعاطف والتراحم، حتى يسود بين الجميع جوّ من الألفة، والإحساس بالرضا، يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم آياته: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم: ٢١.

إن علماء النفس والتربية، وعلماء الاجتماع، وعلماء الأخلاق، يضعون الأسرة في المقام الأول، عندما يتحدثون عن بناء المجتمع، ويدللون على أهميتها في صنع أخلاق الأبناء، وتهذيب سلوكهم، وتقويم أخلاقهم، إذ إن الحياة الأسرية بما فيها من صلات وارتباطات وما تحويه من سلوك ومعاملات، وما تدين به من مبادئ ومثل، وقيم ومعتقدات، تؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين شخصياتهم، كما تؤثر في تكوين ميول الأبناء ونزعاتهم.

ومن هنا تنشأ الأخلاق الفاضلة أو الأخلاق الرديئة، التي يتصف بها الأبناء، وبالتالي تنعكس على المجتمع.

وعلى هذا الأساس فالأسرة هي المجال الأول، والدعامة التي يتم فيها وضع الخطوط، ورسم الاتجاهات الأساسية للشخصية، وإذا كانت الشخصية قابلة للتأثر والتغيير خلال مراحل العمر المختلفة، وعن طريق مجالات وميادين الحياة الأخرى، فإن الأسرة والعلاقات بداخلها تكون أشد خطراً وأبعد أثراً في تكوين شخصيات الأفراد وتشكيلها، وذلك من خلال مرحلة الطفولة المبكرة، وهذا خاضع لأسباب عدة من أهمها:

١ ـ أن الفرد في هذه المرحلة لا يكون خاضعاً لتأثير أي جماعة غير أسرته.

٢ ـ ان الفرد في هذه المرحلة يكون سهل التأثر... سهل التشكيل... شديد القابلية للإيحاء والتعلم.

٣ ـ ان الفرد في هذه المرحلة، يكون ضئيل الخبرة، عاجزاً عن التفكير البعيد، ضعيف الإرادة، قليل الحيلة، وهو في حاجة دائمة إلى من يعوله، ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة.

دور الأم في الأسرة والمجتمعا

ان مسؤولية المرأة في البناء الأسري كما هي في المجتمع ككل، تعد من أخطر المسؤوليات وأعظمها، فهي التي تقوم بالجهد الأكبر في تربية الأبناء وتنشئتهم، والتأثير فيهم وبخاصة في السنوات الأولى من حياتهم، والأسلوب الذي تستخدمه ـ لا شك ـ له أكبر الأثر في تكوين شخصياتهم.

وهذا الأسلوب يجب أن يستند إلى خلفية ثقافية مناسبة في أساليب التربية، وكذلك في أساليب التعامل مع الأبناء، حسب حاجاتهم المتعددة، ومراحل نموهم، وسمات كل مرحلة من المراحل، حتى يمكن من خلال هذه الخلفية الثقافية تحقيق قدر كافٍ من التوافق النفسي للأبناء، فالأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة في البيت، تعد خير وسيلة لتربية الأبناء التربية القويمة.

والإسلام من ناحيته يولي القدوة عنايته الفائقة، لما لها من الأثر البالغ في بناء الشخصية الفردية وتكاملها، وبخاصة في أولى مراحل العمر، عندما تتفتح عينا الفرد على مظاهر الحياة التي تحيط به، ويرى نماذج وأشكال وصور أنواع السلوك المختلفة، والتي تنطبع في نفسه، وتوجهه الوجهة السليمة، التي قدّر له أن يستأثر بها، ويفاعل معها، يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم آياته: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) البقرة: ٤٤.

وتعتبر الأم أقرب الأفراد إلى أبنائها، لأنها تلعب دوراً كبيراً ومهماً في أساليب التعامل مع الأبناء، ولابد أن تكون واعية ومقدّرة لهذه الرسالة العظيمة أكبر تقدير، حيث إن الجهل، وعدم المعرفة يؤديان بالقطع إلى نتائج عكسية، وبالتالي لا ينشأ الأبناء نشأة سليمة.

إن حاجة الأبناء إلى عطف ومحبة الأم على جانب كبير من الأهمية، وذلك لسلامة نموهم النفسي والعضوي معاً، وبطريقة صحيحة، وكذلك يعد شعور الأبناء بالأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، والهدوء النسبي، والمحبة والتفاهم، أمر ضروري في حياتهم، ولابد من توافر كل هذا حتى يأتي نموهم سليماً.

ولقد قرّر علماء النفس المحدثون أن وجود الأمن العاطفي شرط أساسي لانتظام الحياة النفسية للفرد في مرحلة حياته الأولى، واستقرار مشاعره الاجتماعية، وأنه من دون الحب والحنان في هذه المرحلة يفشل الفرد في التفتح والازدهار، من الناحية: النفسية، والجسدية والعقلية.

ومن هنا كانت الأم في الأسرة هي حجر الزاوية، وموضع الثقل، وهي صاحبة الدور الرئيس في تقويم أفرادها، وجمع شملهم، وهي التي تنصرف بكل عواطفها وبكل مشاعرها لإسعاد أسرتها، معطية لها من وقتها أكثر مما تعطيه لأي جانب آخر.

ويعد دور الأم في الأسرة دوراً قيادياً، ولها أكبر الأثر في خلق الجيل الواعي المتفتح، وهي وراء كل نجاح يحققه أبناؤها، بما تقوم به من مشاركة فعلية، واستشارة في الرأي، وبما تهيئة لهم من جو هادئ يضفي على الأسرة الحب والاحترام والحياة الأسرية الهانئة، فينعكس أثر ذلك كله على تعامل الأبناء مع بعضهم بعضاً، ومع غيرهم.

العمر مراحل مختلفة

إن عمر الفرد يتكون من مراحل عدة، فإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة كل مرحلة من هذه المراحل، وعوامل الأبناء على أساسها، فلسوف يتوصل الآباء والأمهات إلى فهم أبنائهم فهماً دقيقاً، وعندئذ يضعون

أيديهم على الخيط الرفيع، الذي يربط بين السيطرة وبين انفلات الزمام.

وهذا هو ما أوضحته الشريعة الإسلامية الغراء، فلقد جعلت لكل مرحلة من مراحل العمر المختلفة أسلوباً خاصاً في التربية:

ففي المرحلة الأولى يحتاج الابن إلى المداعبة والملاطفة، وعدم استخدام أي نوع من أنواع العنف أو القسوة، بل بالحب والحنان يتم تصحيح الأخطاء التي توجد.

ويبدأ أسلوب الثواب والعقاب في المرحلة الثانية، حتى يستطيع الابن التمييز بين ما هو صواب فيفعله، وبين ما هو خطأ فيتجنبه، وبين ما يجب أن يستمر فيه، وبين ما يجب أن يكف ويمتنع عنه.

أما في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة «المراهقة»، فعلى الأم أن تهتم بها اهتماماً جيداً، بحيث تجعل نصب عينيها جميع تصرفات أبنائها، إذ إن هذه المرحلة هي التي يتم فيها تشكيل شخصيات أبنائها تشكيلاً كاملاً.

وهذه المرحلة لها مالها من الخطورة، فيجب على الأم أن تستخدم العقل استخداماً سليماً في التربية، حتى لا تفاجأ بتصرفات غير مبررة، ومحاولات مستميتة للتخلص من القيود، والتمرد عليها، تلك القيود التي تعتبر القواعد الأساسية في التربية، والتي من أبرز ما فيها «الطاعة» والامتثال لأوامر الوالدين امتثالاً تاماً.

و«الطاعة» هي لب التربية وجوهرها، وهي في الوقت نفسه الأمر الذي له قيمته وتقديره عند بعض الآباء والأمهات، وكذلك الأبناء، فالوالدان يعتقدان أن تغير سلوك أحد الأبناء هو خروج عن الطاعة، والابن يظن أن الطاعة ليست سوى مظهر من مظاهر الاستبداد والسيطرة، وكبت للحرية، وكلاهما ممعن في الخطأ.

وحتى لا يكون هناك اصطدام بين الجيلين: جيل الوالدين، وجيل الأبناء... فلابد من وضع خطة تغيير تدريجية، تساير عمر الأبناء، وتتماشى مع رغباتهم إلى حد ما، وبحيث لا تظهر وكأنها بمثابة تنازل من جانب الوالدين لمشيئة الأبناء، أو الاستسلام لارادتهم.

وفي الوقت نفسه، يجب أن يشعر الأبناء بأنهم قد بدأوا يحتلون مكانة الكبار عند الوالدين، كأن يستشارون في بعض الأمور العائلية، ويؤخذ برأيهم إن كان صواباً، أو يناقشون فيه في حال عدم الأخذ به.

ومما يفيد في هذه المرحلة أن يقوم الوالدان بتكليف الأبناء ببعض الأمور، التي تحرك فيهم الإحساس بالمسؤولية، والشعور بأنهم قد صار لهم رأي مستقل، وفي استطاعتهم التعبير عنه.

إن الأبناء في هذه المرحلة هم في أشد الحاجة إلى الصديق الوفي، والناصح المخلص، وليس هناك أحد في الوجود كله أوفى ولا أخلص من الوالد لابنه، ولا أوفى ولا أخلص من الأم لابنتها.

الإسلام وتربية النشء

إن في تعاليم الإسلام وبمادئه الكثير من المعايير التي تهدف إلى تربية النشء، وفي توجيهات الإسلام ما هو أساس لإعداد النشء، وفي أحكام الإسلام ما هو تكليف للوالدين بتربية الأبناء، ومراقبتهم المراقبة الدقيقة داخل المنزل وخارجه، والمراقبةالتي تحفظ عليهم سلامة الفطرة، وتقيهم أمراض البيئة، وانحراف السلوك، يقول الحق سبحانه في محكم آياته: (يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: «الزموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم».

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

إن الأبناء يتشربون من الأسرة القيم الدينية والخلقية، التي تشكل معايير السلوك المقبول وغير المقبول في المجتمع، وذلك لحاجة الأبناء إلى الاستحسان والتقبل، ولخوفهم من النبذ والعقاب، ولرغبتهم في أن يتقمصوا أو يتوحدوا مع النموذج، المتمثل في الوالدين، أو في أحدهما.

والتوجيه في الأسرة لا يجب أن يكون عبارة عن نصح وإرشاد، أو مجرد نصائح وتوجيهات، بل هو في المقام الأول أسوة حسنة، وقدوة صالحة، فالأبناء الذين يجدون من آبائهم محافظة على المبادئ والقيم، والتزاماً بالعادات والتقاليد، ومراعاة للمعايير السلوكية، المأخوذة عن الدين، والمستنبطة من توجيهات الشريعة، في كل مظهر من مظاهر حياتهم، فسوف يكونون بالضرورة مثلاً أعلى لأبنائهم، ونموذجاً يحاولون على قدر إمكانهم الاقتداء به، حتى ولو لم يوجه إليه نصح أو إرشاد.

ولا يجوز أن تقتصر التربية على تلقين الأبناء المعلومات، أو اكتساب المهارات الفنية، وإنما تهدف التربية إلى أبعد من ذلك، فهي تهدف إلى تهذيب الأخلاق، سواء ذلك في أخلاق الفرد أو أخلاق المجتمع.

ومن الواضح أن الاقتصار على العلم المادي وحده ينحرف بالفرد والمجتمعات إلى شرور لا نهاية لها، فلابد إذاً من أن يقترن التعليم بالأخلاق.

وخير ما يكفل للابن النشأة الإسلامية الصحيحة، هو أن يأخذ نصيبه من التربية الإسلامية، حتى كلما نما جسده في نشأته المادية، كان له تطور أدبي في عقليته، وفي تدينه، وفي خلقه، وازدادت معرفته بما له، وما عليه، نحو وطنه، ونحو أمته، ونحو المجتمع الذي يعيش فيه.

وبعد:

فإن الأم هي المدرسة الأولى، وهي صانعة الأبناء، والأبناء هم صناع المستقبل، وحاملو مشعل الحضارة، وهم امتداد الأمة ورجاؤها، وهم الذين سيكونون بإذن الحق سبحانه أداة التغيير والتقدم، والرقي والازدهار.

ومن هنا يجب العناية بالأبناء، عناية تتصل بنموهم الجسدي والعقلي والروحي، والانفعالي، وإعدادهم لتنمية المهارات التي يحتاج إليها المجتمع بالفعل، وذلك وفق ما يصلحون له، وما يبدعون فيه.

إن الأسرة هي التي تخرج للحياة أو للمجتمع أفراده، الذين يتعاونون في بناء كيانه العام، بتفاعل بعضهم مع بعض، في نطاق ما لهم من مبادئ وقيم، وغايات وسلوك، وباحترام ما للآخرين من خصوصيات ومقدسات. ■

اهتمام عالمي بالشيخوخة

إعداد :
المهندس حواس محمود

لقد أضحت الرعاية الصحية والاجتماعية للأشخاص المسنين جزءاً أساسياً من برامج الرعاية الصحية الأولية، والبرامج الاجتماعية المختلفة في عدد كبير من بلدان العالم، وهذا بدوره يدعو إلى تضافر الجهود الحكومية والأهلية، مع جهود عائلات المسنين والمسنين أنفسهم من أجل الإسهام في تأمين حياة أكثر صحة وسعادة لهذه الفئة الجليلة من أبناء المجتمع.

إن قدرة كل جهاز من أجهزة الجسم وكل خلية من خلاياه تتأثر عبر السنين وتتغير في كل مرحلة من مراحل الحياة والإنسان يحس بذلك ويقدره، وما كان يقوم به طفلاً ويافعاً وشاباً يقل عما يقوم به كهلاً وشيخاً، وتعد الشيخوخة مرحلة طبيعية يمر بها الإنسان وهي تتميز عادة بدرجة من النقص في النشاط الاجتماعي والاقتصادي، مع زيادة في ظهور بعض الأمراض والإعاقات المختلفة واستفحالها، وقد تختلف تأثيرات الشيخوخة هذه من شخص إلى آخر وفق الكثير من العوامل الفردية المختلفة كالعوامل الوراثية



والاجتماعية والمهنية والصحية وغيرها، لقد أحسّ بالشيخوخة نبي الله زكريا الذي نادى ربه وتضرع وهذا ما تبين في قوله تعالى في الآية ٤ من سورة مريم : (قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقياً)، وفي هذا الصدد نشير إلى قول أبي العتاهية :

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما صنع المشيب

الشيخوخة مفهوم اجتماعي

تشير الباحثة الدكتورة تماضر حسون إلى أنه تبين من دراسة بسيطة شملت ٦٠ مسناً من كلا الجنسين، ومن مجتمعات أقطار عربية متنوعة، أن الشيخوخة مفهوم اجتماعي وليست قضية بيولوجية، فالإنسان العربي المسن فاقد الأمل بأن يكون له غد أو حياة أو دور أو موقع، كما أنه يصنف نفسه بالمكان، وخارج الزمان، ويصبح جزءاً من الأشياء فتنتفي معه الإرادة لتحقيق أي شيء، وطالما انتفت الإرادة والأمل، فوقته يذهب هدراً، ويعيش في الفراغ وطوال الوقت إنه لا يحاول اكتساب خبرات جديدة أو حتى يتكيف معها، موقعه الرفض لكل ما هو خارج إطار حيازته، فالشيخوخة في المجتمع العربي مرحلة يفقد فيها الإنسان الأمل بدور ومستقبل، ويصبح سلبي الإرادة، يشعر بأن الوقت يمر عليه دون فائدة، تتناقص خبراته وتقل يوماً بعد يوم، ويصبح قليل الحركة، مضيقاً دائرة الحياة، والسبب في هذا الوضع ليس بيولوجياً، وإنما هو نتاج وحصاد لعدم تحضير الفرد نفسه لاستقبال الشيخوخة، فهو لم يع ضرورة بناء أرصدة خلال شبابه لشيخوخته، إذ لم يراع وضعه الصحي، ولم يحسب حساب الحالات الصحية التي من الممكن أن يصل إليها عندما يبلغ سن الشيخوخة، ومن الناحية المادية، يصل المسن العربي لتلك المرحلة من العمر دون تخطيط مسبق لكيفية توفير رصيد من المال يكفي لإعالته، فقد أنفق العمر والجهد والشباب والمال في سبيل إعالة الأبناء ونسي نفسه، أما من الناحية العائلية، فغالباً ما تكون علاقة المسن بأسرته سلبية في شبابه، وبالتالي تنعكس عليه في مرحلة شيخوخته، فالمسن كان في سن الشباب يمارس سلطة قوية تتسم بالتسلط والقسوة على الآخرين، ممن يحيطون به، وبالتالي عندما يصل إلى مرحلة الشيخوخة تنعكس تصرفاته، كمعاملات وعلاقات بينه وبينهم، وإذا تطرقنا إلى العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، نجد أن المسن يشعر بأنه معزول، لأنه في شبابه لم يقم ببناء علاقات اجتماعية متينة، لأن العلاقات القليلة التي كان يقوم ببنائها في سن الشباب كانت تبنى على أساس الاستفادة الوقتية، لذا فعندما يصل لسن الشيخوخة، يكون خالي الوفاض من أي علاقة اجتماعية تردُّ لنفسه المتعبة بعض الأمان والاستقرار.

ظاهرة تشيخ المجتمع

تبين الدراسات الإحصائية للسكان في البلدان العربية شأن سائر البلدان النامية أن فئة السكان ممن هم فوق الستين من العمر، تتراوح بين ٣ ـ ٩٪ من مجموع السكان، أما البلدان الصناعية المتطورة في كل من أوروبا واليابان وأميركا، فتتراوح نسبة فئة المسنين فيها بين ١٢ ـ ١٨٪، وهي آخذة في الازدياد والنمو ومن المتوقع أن تصل إلى نسبة ٢٠ ـ ٢٥٪ من السكان بحلول العام ٢٠٢٠م، وهذا الارتفاع في نسبة فئة المسنين يعرف بظاهرة «تشيخ المجتمع»، وهذه الظاهرة تعود إلى عوامل عدة أهمها المعدلات العالية لزيادة المواليد في الماضي، مقارنة مع الحاضر، إضافة إلى زيادة معدلات البقاء وارتفاع العمر الوسطي المتوقع والذي هو في حد ذاته ناجم عن انتشار وتطور خدمات الرعاية الصحية والاجتماعية والخدمية والإدارية وتطورها في المجتمع، وزيادة الوعي الصحي لدى الأفراد والأسرة. لقد شهدت البلدان الصناعية منذ عقود عدة تطوراً ملحوظاً تناول مختلف أشكال الخدمات الصحية والاجتماعية التي تحتاج إليها هذه الفئة

المتزايدة من السكان، وقد شهد العالم أيضاً الكثير من الإنجازات والتحضيرات في هذا المجال إلى أن توّج هذا الاهتمام، والتوجه العالمي باعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة العام ١٩٩٩م عاماً دولياً للأشخاص المسنين، تلقى فيه الأضوء على حقوقهم وواجباتهم وإنجازاتهم، وتدعى فيه جميع الجهات المعنية من حكومية وأهلية ودولية، وغيرها إلى بذل المزيد من الجهود تحت الشعار الذي اختير لهذا العام الدولي وهو «نحو مجتمع واحد لجميع الأعمار».

إنجازات الشيخوخة

إن أعظم الإبداعات والإنجازات إنما تمت بناء على القوى الذهنية والعقلية ولم تكن بفعل القوى الجسدية، وفي هذا الصدد يقول شيشرون: «إن جلائل الأعمال لم تكن في يوم من الأيام وليدة القوى الجسمية أو الرشاقة البدنية، بل هي قد كانت وليدة المشورة، والسلطة، والخبرة الطويلة، والحكمة الرزينة، وكل هذه مزايا لا تجيء إلا مع الشيخوخة».

في مجال الفلسفة

لعله لم يكن من قبيل الصدفة أن يكتب «كانت» الفيلسوف الألماني المشهور، أجمل كتبه «وهو نقد ملكة الحكم» في سن السادسة والستين، وأن يقدم لنا برجسون، المفكر الفرنسي الكبير درته الثمينة «منبع الأخلاق والدين» في الثالثة والسبعين، وأن يطالعنا ديوي الفيلسوف الأميركي العظيم - بكتاب هائل في «المنطق أو نظرية البحث» في التاسعة والسبعين وأن يبدأ المفكر الإنكليزي المعروف «الفرد نورث وايتهد» كل حياته الفلسفية في سن الواحد والستين بعد بلوغه سن التقاعد في انكلترا وارتحاله للعمل في أمريكا!

في مجال الأدب

وفي مجال الأدب يمكننا أن نذكر «فولتير» الذي كتب روايته الشهيرة «كانديد» في الخامسة والستين من عمره، وكذلك فكتور هيغو الذي كتب أجمل قصائده في مرحلة متأخرة من حياته «وجوته» الشاعر الألماني الكبير الذي قدم لنا في شيخوخته النهاية الرائعة للجزء الثاني من فاوست وبول كللودل الروائي الفرنسي المعروف الذي كتب الكثير من رواياته بعد سن السبعين.

في مجال الفن

وأما في مجال الفن فإننا نعلم أن «فاغنر» الموسيقار الألماني الشهير، قد فرغ من «بارسيفال» في التاسعة والستين من عمره، وأن مصورين كثيرين من أمثال سيزان ورنوار وبراك وبيكاسو وماتيس وغيرهم قد قدموا لنا أعمالاً فنية رائعة في مرحلة متأخرة من مراحل حياتهم.

الاهتمام والعناية بالشيخوخة

لاتزال المجتمعات العربية من المجتمعات الفتية التي تشكل فيها شريحة الأطفال والشباب القسم الأعظم من أفراد المجتمع ومع ذلك فإن الدراسات السكانية تبين أن العقود المقبلة ستشهد ازدياداً ملحوظاً ومتنامياً في نسبة المسنين وأعدادهم في مختلف بلدان العالم العربي، الأمر الذي يترتب عليه ضرورة توافر الخدمات الصحية والاجتماعية، وتطويرهما لتلائم هذا التحول التدريجي وتلبي الحاجات التي تترتب على ذلك، ولابد هنا من الإشارة إلى المستلزمات المطلوب توافرها والإعداد لها «مع بعض النصائح الضرورية»، على طريق توافر الخدمات الصحية والاجتماعية وتطويرها لتلبي الحاجات المتنامية لهذه الفئة الجليلة من المجتمع، وهي تعيش المرحلة الذهنية من العمر ومنها :

١ - إصدار التشريعات المختلفة الخاصة برعاية الأشخاص المسنين.

٢ - إعداد الاختصاصيين من أطباء وممرضات وعاملين اجتماعيين ونفسيين وغيرهم من ذوي الاختصاصات في الجوانب المختلفة المتعلقة بالشيخوخة، وإجراء الفحص الدوري الشامل للأشخاص المسنين لكشف أي حال مرضية، وتقديم العلاج الباكر لها.

٣ - إعداد الأسرة وإرشادها لتقوم بدورها المهم في الرعاية المنزلية اللازمة للمسنين.

٤ - إعداد دور السكن والمرافق العامة لتلائم احتياجات الأشخاص المسنين.

٥ - تشجيع المنظمات الأهلية العاملة في هذه المجالات وتقديم جميع التسهيلات اللازمة لها.

٦ - تقديم الوسائل التأهيلية اللازمة لبعض المسنين كالنظارات الطبية، والمعنيات السمعية والوسائل المساعدة على الحركة والتنقل وغيرها.

٧ - الممارسة المنتظمة للرياضة البدنية غير المجهدة كالمشي والتمارين الرياضية.

٨ - تشجيع الأشخاص المسنين على مزاولة العمل الملائم لهم لما له من أهمية صحية واجتماعية واقتصادية.

٩ - تشجيع الأشخاص المسنين على المشاركة في المناشط الاجتماعية والدينية والترويحية للأسرة والمجتمع وتسهيل مشاركتهم فيها.

١٠ - الالتزام بالعادات الصحية الحميدة والامتناع عن التدخين والمشروبات الكحولية وختاماً - فإن الاهتمام بالشيخوخة ضرورة موضوعية وواجب إنساني يحتمه علينا واقع الحياة الإنسانية لأن أي إنسان منا سيمر بهذه المرحلة، وهنا يمكن الإشارة إلى أن الصحافة العربية مقصرة في هذا المجال إذ إنها تهتم بالطفولة من خلال الدراسات والمقالات المنشورة والتي تتناول واقع ومشكلات الطفولة وتهمل إلى حد بعيد مرحلة الشيخوخة علماً أن هذه المرحلة حساسة من حياة الإنسان وهناك مثل يقول «الشيخوخة هي الطفولة الثانية» فلماذا يتم الاهتمام بالطفولة الأولى وتهمل الطفولة الثانية فعسى أن يكون هذا المقال دعوة للاهتمام بالمتقدمين بالسن لكل من يهمه الأمر. ■

المراجع :

١- ن. غسان شحرور «اليوم العالمي لكبار السن...» مجلة بناة الأجيال عدد ٢٤ تشرين أول ١٩٩٧م ص١٥٧ دمشق سورية.
٢- د. زكريا إبراهيم «الخوف من الشيخوخة» مجلة «العربي» عدد ١٠٣ حزيران ١٩٦٧م.
٣- د. محمد محمد أبو شوك «الشيخوخة لها أمراض خاصة» العربي عدد ١٥٨ يناير ١٩٧٢م.
٤- د. تماضر حسون «الشيخوخة ليست مسألة تتعلق بالبيولوجيا» مجلة الفصل عدد ٢١٢ ص٩٥.
٥ - م. حواس محمود «إقرار العام ١٩٩٩م عاماً دولياً للمسنين» مجلة الحصاد السعودية عدد مقبل.

ثمرات الفكر



إعداد: محمد هاني

فهرس مخطوطات مكتبه مكه المكرمه

صدر حديثاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض «فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة» والفهرس يتضمن بيانات «بيبلوغرافية» شاملة لمخطوطات مكتبة مكة المكرمة والتي احتوت على عدد كبير من مكتبات علماء مكة المكرمة وأدبائها في القرن الماضي، والجدير بالذكر أن هذا الإصدار من إعداد نخبة من الأساتذة الأفاضل، ويقع الكتاب مع الفهرس في إحدى وتسعين وخمسمئة صفحة من القطع المتوسط.

طبعه جديدة من الحضارة البيزنطيه

بعد مرور ثلاثين عاماً على صدور الترجمة العربية لكتاب «الحضارة البيزنطية» لـ(ستينفي رنسيمان)، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ظهرت طبعة جديدة من الكتاب. يقول العالم الجليل الراحل محمد شفيق غربال في مقدمه للطبعة الأولى: إن بيزنطة هي التي يسميها العرب دولة الروم وهي عند الفرنجة الدولة الرومانية الشرقية ويوضح أن العلاقة بين العرب والروم هي علاقة حرب دائمة لا تمنع التفاهم والتعاون وقد انتصر العرب انتصارات رائعة وأقاموا دولتهم في معظم بقاع الروم، ويقول مترجم الكتاب: إن بيزنطة عاشت قروناً عدة مسيطرة متحكمة في حوض البحر الأبيض المتوسط لا ينازعها سلطانها فيه منازع، إلى أن أشرقت شمس الإسلام، والكتاب يقوّم هذه الحضارة وتكوينها وحروبها وجهازها الدبلوماسي والفرق فيها بين حياة المدينة والريف وعلاقاتها بالعالم المجاور لها ويخصص الكتاب فصلين للأدب البيزنطي والفن البيزنطي.

حقيقه الإسلام

بحث فى الجذور ودعوة للفهم الحقيقى

الإسلام يعاني من عدم معرفته معرفة جيدة من قبل الكثيرين وحتى من المسلمين أنفسهم أو ممن تعمد من البعض تقديمه على غير حقيقته... فصوروا الإسلام في صورة الدين الجامد الحقود المتطرف الداعي للعنف وبالتالي التشبث به والدعوة إلى العودة إلى ينابيعه في عصر التطور والتقدم رجعية ممقوتة ونكسة تعيد المجتمع إلى الوراء.

من هذا الواقع انطلق عبدالهادي بوطالب عضو أكاديمية المملكة المغربية في إصدار كتاب جديد تحت عنوان «حقيقة الإسلام» لدحض المزاعم المشوهة للإسلام واعتبره «إسهاماً متواضعاً لتقديم الإسلام في صورته الحقة... المسالم الذي تطبع تعاليمه الرحمة والعدل وتناهض العنف والعدوان وقتل النفس بغير حق».

بدأ عبدالهادي بو طالب بسطه لحقيقة الإسلام بالحديث عن جذور الإسلام وشخصية رسوله محيطاً بالظروف الحياتية التي سادت منطقة الجزيرة العربية ومركزاً على صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، «الإنسان والنبي والرسول»، ليتناول بعد ذلك «القرآن المنزل وجمعه وتدوينه والتعريف به وبأسلوبه» باعتباره المعجزة التي أتى بها النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبرزاً إعجازه، وبخاصة في ميدان المعرفة والعلم بما فيه العلم الحديث، «حيث حفل بآيات تتحدث بثراء عن الأرض والسماء، وعن كيفية خلقها وعما يهم عوالم الحيوان والنبات والتناسل البشري»، ووضع بو طالب بدايات الإسلام في طابعها الشمولي حيث قدم صورة دقيقة عن المجتمع العربي قبل البعثة النبوية سواء من الجانب الديني أو السياسي أو الاجتماعي وربطها بأوضاع العالم آنذاك، مشيراً إلى أوضاع المنطقة المتاخمة للبحر المتوسط، وبخاصة الأمبراطورية الرومانية، كما استعرض في السياق نفسه حال أمبراطورية الفرس والحضارات الصينية والهندية واليابانية.

وانتقل إلى الحديث عن شمولية المنهج الإسلامي ومظاهرها المتعددة «فالإسلام ليس ديناً فحسب، ولكنه عقيدة وسلوك ونمط حياة للناس»، و«المسلمون مجمعون على أن المنهج الإسلامي شامل وكامل إن لم يكن في فروعه وتفاصيله ففي أصول أحكامه وقواعد مبادئه» مشدداً على مبادئ الحوار والتعايش والسلام مع الديانات السماوية كاستراتيجية سمت بالإسلام منذ ظهوره.

ويقول الأكاديمي المغربي بوطالب في حديثه عن النظام السياسي الإسلامي إن «الإسلام أقام نظاماً سياسياً متكاملاً متميزاً بما يتميز به النظام السياسي اليوم من مقومات وخصائص وتشريعات وتنظيمات ومؤسسات» مفنداً بذلك «ما شاع في الغرب من أن التنظيمات الدستورية حديثة العهد وأنها لا تتجاوز قرنين» واستعرض الركائز الأساسية للنظام السياسي الإسلامي وهي البيعة والشورى والرقابة المتبادلة بين طرفي الحكم وثنائية المسؤولية.

أما بخصوص النظام الاجتماعي فقد تناوله انطلاقاً من أن الإسلام «لم يقم بنيانه على خلايا الجنس أو العرق أو اللون... أو على التمايز بين الذكر والأنثى ولا على تقويم الطبقات» فهو مجتمع أخلاق وعدل ومساواة وسماحة وتسامح، كما أنه مجتمع التكافل الذي يشكل أحد أسس البناء الاقتصادي في الإسلام.

وأولى المفكر المغربي كذلك أهمية لقضايا حقوق الإنسان في الإسلام، ونظام الأسرة والمرأة والميراث والحجاب وكلها قضايا تثير نقاشات وسوء فهم، وبخاصة في البلدان الغربية، كما تناول الرد على المغتربين عن الشريعة الإسلامية الذين «حرّفوا عن قصد مفهومها عن محتواه وهو يعني نظاماً حضارياً متكاملاً وجعلوا من العقوبات هي وحدها الشريعة»، ولم يكتف بوطالب بشرح المبادئ العامة لمختلف جوانب الدين الإسلامي، إذ استعرض في فصول عدة تاريخ الدولة الإسلامية بدءاً من دولة المجتمع النبوي والدولة الإسلامية الأولى، مروراً بالدولة الأموية إلى اكتمال الحضارة الإسلامية، كما خصص فصلاً لـ «الإسلام والتجديد الذاتي» استعرض فيه قضايا مثل الدعوة السلفية وحركة الإخوان المسلمين وثورة جمهورية إيران الإسلامية وحركة العنف التي يشهدها العالم حالياً، بالإضافة إلى الحوار العالمي بين الديانات والحضارات، وفي هذا السياق استخلص بوطالب أن «المطلوب أن يقوم كل فصيل إنساني بحوار الذات والنقد الذاتي وتقويم السلوكيات ليقوم بعد ذلك الحوار الشامل بين الحضارات والديانات أفقياً وعمودياً من دون أحكام مسبقة، ولينتهي ذلك في آخر المطاف إلى «عولمة» الإنسان... في نظام واحد يطبعه التنوع وتمايز الخصوصيات». كتاب «حقيقة الإسلام» لعبدالهادي بوطالب صدر في ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط في دار «أفريقيا الشرق» بالدار البيضاء. ■

علم النفس البيئى

عن سلسلة كتب جامعة الكويت والتي يصدرها المكتب التنفيذي للجنة التأليف والتعريب والنشر صدر كتاب «علم النفس البيئي» للمؤلف د. فرانسيس مالك أندرو - ترجمة الدكتور عبداللطيف محمد خليفة والدكتور جمعة سيد يوسف يقع الكتاب في ٣٧٩ صفحة ونظراً لنقص المؤلفات العربية في هذا المجال، فقد تم اختيار هذا الكتاب وترجمته من بين كتب عدة متاحة في هذا المجال. يعالج الكتاب موضوع البيئة من معظم جوانبه في اثنى عشر فصلاً تحدث عن أمور من أبرزها، انتقال المعلومات الحسية من البيئة إلى الفرد، الوقع الانفعالي الذي تحدثه البيئة على البشر، الضغوط التي يؤججها الأشخاص عندما تصبح المدخلات المقبلة من البيئة متطرفة ومكثفة وغير معتادة، أشكال السلوك المكاني الإنساني والخصوصية والملكية الخاصة والازدحام، أعماق البيئة المشيدة، الإنسان في سياق البيئة الطبيعية، تأثير البشر في البيئة الطبيعية.

علم النفس البيئي

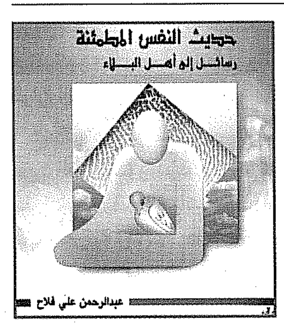
تأليف

أ. د. فرانسيس ت. ماك أندرو

● غلاف الكتاب

رسائل إلى أهل البلاء

رسائل إلى أهل البلاء كتيب من تأليف الأستاذ عبدالرحمن علي فلاح، وهذا الكتيب يقع في نحو مئة صفحة من القطع الصغير يتحدث عن نفس مطمئنة أكرمها الله تعالى وابتلاها في وحيدها، فصبرت واحتسبت واستطاعت أن تستعلي على آلامها وأحزانها وتحول كل ذلك إلى رسائل موجهة إلى من هم في حاجة إلى المواساة والصبر والتصبر من أهل البلاء لأنها نبضات قلب جريح وأنّات نفس حزينة ولكنها صابرة على قضاء الله تعالى وقدره.



● غلاف الكتاب

نشأة وتطور الصحافه المدرسيه فى الكويت

صدر حديثاً أول كتاب من نوعه يتناول بالمتابعة والتحليل الصحافة المدرسية في الكويت نشأتها وتطورها. واحتوى الكتاب - الذي ألّفه د. جاسم الشمري تحت عنوان «الصحافة المدرسية» - على خمسة أبواب تضمنت ١٨ فصلاً، وجاء في ٢١٤ صفحة من القطع الكبير، واستعرض فيه بدايات الصحافة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، مركزاً على تطور الصحافة في الكويت، تضمن الباب الأول البدايات الصحافية في الوطن العربي ونبذة عن الاتحاد العام للصحافيين العرب ودوره كمنظمة تعني بشؤون العاملين في هذا القطاع الحيوي، بينما خصص الباب الثاني لتاريخ الصحافة الكويتية عبر خمسة فصول هي البدايات الأولى، وصحافة ما قبل الاستقلال، وظهور الأندية الثقافية في فترة الخمسينيات، وصحافة ما بعد الاستقلال. ثم تناول بالبحث والتحليل البناء الإداري والفني للصحيفة وفنون الكتابة الصحافية وتطورها وتعريف الصحافة والصحافي، ثم تعرض للصحافة ولجريمة الاحتلال العراقي للكويت العام ١٩٩٠م، وخصص د. الشمري الباب الخامس للصحافة المدرسية في الكويت كرافد من روافد العمل الإعلامي، مستعرضاً الصحافة في المدارس الثانوية أنواعها، وكيفية بناء المواهب الصحافية في الوسط الطلابي والأندية الصحفية ودور الصحافة المدرسية في تنمية المواهب الشابة والتثقيف.

الصحوة الإسلاميه فى روسيا الحديثه

صدر بالروسية أخيراً كتاب جديد للباحث المختص بالشؤون الإسلامية الدكتور الكسي مالاشينكو بعنوان: «الصحوة الإسلامية في روسيا الحديثة» أثار اهتمام الأوساط الإسلامية والمهتمين بالشؤون الإسلامية في البلاد، لأنه يتضمن دراسة موضوعية دقيقة لوضع المسلمين وتنامي العامل الإسلامي في المجتمع الروسي، ويتألف الكتاب من سبعة أبواب هي :

الإسلام في روسيا، الإسلام من أجل روسيا، نبذة تاريخية عن المسلمين، الإسلام في فترة السلطة السوفييتية والصحوة الإسلامية، المفتون وأئمة المساجد، الإسلام والسياسة والشيشان، روسيا والإسلام.

ولعل باب الصحوة الإسلامية هو أهم الأبواب، إذ يحاول المؤلف فيه أن يقدم الخلفية التاريخية لهذه الصحوة ومبرراتها الموضوعية في فترة تصاعد الصحوة الإسلامية في العالم أجمع بعد أن فشلت النزعة المادية الغربية في فرض نفسها على العالم الإسلامي، وبرأيه أن المجتمع عموماً ينهار، إذا ما سقطت الأركان الأخلاقية التي يقوم عليها، ويتجسد ذلك في المجتمع الإسلامي في روسيا في القرآن الكريم والسنة الشريفة، حين حاول البلاشفة حظر الأديان بزعم أنها «أفيون الشعوب»، فإنما عملوا بذلك على تهديم أركان المجتمع الإسلامي الأخلاقية في روسيا ولحسن الحظ فإنهم فشلوا في هذه المحاولة، ولو أنها تركت آثارها السلبية، ومن جانب آخر فإن حظر نشر الفكر الإسلامي وممارسة الشعائر الدينية أعطى رد فعل معاكساً حالما سقط النظام السوفييتي، ولهذا ترى أن العقيدة الإسلامية عادت للظهور بكل عنفوانها في أوساط المسلمين منذ مطلع التسعينيات، لكن غياب المراجع والكتب الإسلامية، وعدم وجود علماء مسلمين قادرين على قيادة عملية الصحوة نفسها، تركت آثارها السلبية المتمثلة بحدوث الصراعات بين الشخصيات والمراكز الدينية للاستحواذ على مراكز القوة والانتفاع مادياً، وفي ما يتعلق بنشر الدعوة الإسلامية يعطي المؤلف أمثلة عن اعتناق السلافيين «الروس والأوكرانيين والبيلاروس» للإسلام، ولا سيما في فترة الحرب الأفغانية، ويفسر المؤلف ذلك بأن الجنود والضباط السوفييت شعروا في فترة الحرب بقوة المجتمع الإسلامي الروحية وتلاحمه، هذا وقد أثرت النشاطات الدعوية والإغاثية الإسلامية كثيراً في إكساب الصحوة الإسلامية في روسيا بإعطائها زخماً قوياً بعد أن جرى توزيع مئات الآلاف من المصاحف والكتب الإسلامية المترجمة إلى الروسية، وإقامة عدد من المؤتمرات الدولية في موسكو وغيرها من المدن السوفييتية الإسلامية.



مجله الأدب الإسلامي في عامها الخامس

جاء في افتتاحية العدد «بهذا العدد السابع عشر تستهل مجلة الأدب الإسلامي سنتها الخامسة بتوفيق من الله العزيز الحميد... بارك لها في زادها القليل، وذلل لها وعورة الطريق، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها، فتضاعف ما يطبع منها، وهي المجلة الأدبية المتخصصة».

وقد تضمن العدد الجديد موضوعات أدبية ونقدية متنوعة منها «الأدب الإسلامي في مواجهة اللاأدب» للكاتب الكبير الأستاذ عبدالتواب يوسف الحائز على جائزة الملك فيصل رحمه الله، ومنها «الشيخ محمد الغزالي - الداعية الأديب» للدكتور ابن عيسى باطاهر، و«أدونيس وديوانه الجديد (الكتاب: أمس)، المكان: الآن» للدكتور غازي التوبة.

وفي مجال الإبداع اشتمل العدد على قصة تاريخية للأديب الكبير الدكتور محمد رجب البيومي بعنوان: «نورجهان أمبراطورة الهند»، وعلى قصة مترجمة بعنوان «الحمامة» لزيتون بانو، مع باقة من الشعر الإسلامي المتنوع.

أما الأبواب الثابتة، فكان أولها: «لقاء العدد» مع أحد رواد الأدب السعودي المعاصر، ألا وهو الشيخ عبدالله بن إدريس رئيس النادي الأدبي في الرياض وعضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ومن هذه الأبواب: «ثمرات المطابع» وقد اشتمل على دراسة أدبية رائعة لقصيدة «سفر أيوب» للسياب، بقلم الناقد الإسلامي الدكتور عبدالباسط بدر وتضمن باب «من تراث الشعر» قصيدة من الشعر العالمي بعنوان: «مصرع الذئب» للشاعر الفرنسي ألفرد دوفيني مع قصيدة الفرزدق «الذئب في ضيافة الشاعر»، وتضمنت مكتبة الأدب الإسلامي عرضاً موجزاً لكتابين مهمين: أولهما «أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، للدكتور محمد عادل الهاشمي، قام بعرضه الأستاذ صلاح أحمد الطنوبي، وثانيهما «الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام» للدكتور شوقي حمادة، قام بعرضه الدكتور عمر الساريسي، ويتلو ذلك باب الأقلام الواعدة وباب «بريد الأدب الإسلامي» ثم باب «الرسائل الجامعية» وأخيراً باب «من أخبار الأدب الإسلامي».

● غلاف المجلة

أخبار ثقافيه

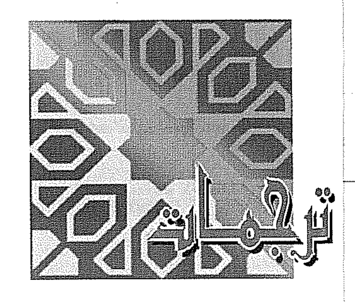
● بمشاركة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، تنظم «كلية العمارة والتخطيط» في جامعة الملك سعود بالرياض ممثلة لوزارة التعليم العالي، الندوة العلمية الأولى عن عمارة المساجد والتي تجاوز عدد البحوث المقدمة إليها ٣٠٠ بحث من جميع أنحاء العالم من الفترة بين ٣ - ١٧ شوال المقبل، والتي ستعقد في رحاب جامعة الملك سعود وستكون فعاليات هذه الندوة ضمن الاحتفالات لمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

● صدر حديثاً كتاب عن أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة «الفرقان للتراث الإسلامي» الذي عقد في لندن بين ١٨ - ١٩ نوفمبر من سنة ١٩٩٥م وصدرت أعمال هذا المؤتمر من قبل باللغة الإنكليزية سنة ١٩٩٦م والكتاب يتحدث عن صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية من إعداد مجموعة من الباحثين.

● تحت شعار «مشاكل البحث في المنظمات» يعقد مركز البحوث العربية بالتعاون مع وزارة التعليم العالي في الكويت مؤتمر «البحث العلمي الثاني» وذلك خلال الفترة ٢٥ - ٢٦ يناير ١٩٩٩م برعاية كريمة من سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء معالي الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح وسيتناول المؤتمر بصفة رئيسية المشاكل والعوائق التي تواجه البحوث في المنظمات والهيئات البحثية، وسيشارك ضمن هذا المؤتمر نخبة من الباحثين والأكاديميين من جميع الوزارات والهيئات الحكومية والأهلية والدينية.

● صدرت الموافقة المبدئية - عن وزارة التعليم العالي السعودية - على إنشاء أول كلية أهلية للبنات في جدة تحت رعاية مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وستمنح الكلية درجة البكالوريوس في سبعة تخصصات علمية وأدبية.

● تنظم جامعة الأزهر مسابقة دينية كبرى بالتعاون مع بيت الزكاة الكويتي في القاهرة، تقدر جوائزها بـ ١٠٠ألف جنيه مصري، وتدور حول عشرة موضوعات تناقش أهم قضايا الساعة، وستقوم لجان التحكيم باختيار عشرة بحوث فائزة في كل موضوع ليحصل كل فائز على جائزة مالية قيّمة يسلمها السفير الكويتي في القاهرة فيصل عبدالرزاق الخالد، والأستاذ عبدالمحسن العثمان الأمين العام لإدارة الوقف بالكويت في شهر أكتوبر المقبل.





ماليزيا والخروج من الأزمة الاقتصادية



إعداد : عبدالمنعم أحمد

الأزمة الاقتصادية التي تلقي بظلالها على دول شرق آسيا تركت آثاراً سلبية للغاية في كل مجالات الحياة، وتحاول تلك الدول وفي مقدمتها ماليزيا الخروج من هذه الأزمة، في أقرب وقت ممكن ترى كيف تنظر ماليزيا في الوقت الراهن لهذه الأزمة وطريقة معالجتها ... «الفايننشال تايمز» كتبت مقالاً مطولاً للكاتب «شيلا ماكنولتي» تناول فيه الأزمة الاقتصادية في ماليزيا من جميع جوانبها يقول المقال :

عندما ضربت الكارثة المالية الدول الآسيوية في العام الماضي، قال مهاتير محمد، رئيس وزراء ماليزيا ان الأزمة، فيما يتعلق ببلده على الأقل سوف تنتهي خلال ستة أشهر، وماليزيا لا تحتاج إلى إصلاحات هيكلية، فاقتصادها سوف ينمو، وإن كان بنسبة متواضعة في عام ١٩٩٨م، كما أن النظام المصرفي لا يواجه أي مخاطر، وماليزيا لن تنفذ البتة الإصلاحات التي أوصى بها صندوق النقد الدولي، وذلك مقابل تقديمه لمساعدات مالية للبلاد. إلا إنه وبعد مضي ١٢ شهراً، لم يعد هذا القول يحمل أي معنى، فالاقتصاديون يتنبأون بانكماش الاقتصاد بنسبة تصل إلى ٥ في المئة على الأقل خلال هذا العام وهو الانكماش الأول خلال ١٣ عاماً. كما أن هناك احتمالاً متزايداً أن تضطر ماليزيا إلى السعي للحصول على مساعدة صندوق النقد الدولي.

ويقول «دراغ ماهر»، الاقتصادي في بنك أي - إن - جي بيرنغز: «إنهم لا يحتاجون لهذا الأمر الآن، ولكن حالما يبدأ الاقتصاد في التدهور، ستظهر مخاطر أكبر». بل إنه حتى الخبراء أصابتهم الدهشة من جراء السرعة التي بدأ يسوء بها الاقتصاد، كما أن غياب الشفافية في الحسابات الخاصة يجعل من تقييم عمق الأزمة أمراً بالغ الصعوبة، فضلاً عن ان القيود الصارمة المفروضة على أجهزة الإعلام سوف تجعل الأمر أكثر صعوبة.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن وتيرة تباطؤ الاقتصاد أصبحت تسير بسرعة بحيث لم تعد الإجراءات الشكلية كافية، ويصح القول ان ماليزيا ليست لديها نسبة ديون مرتفعة كتلك التي تثقل كاهل جاراتها، فتخفيض عملة «الرينغيت» إلى نصف سعرها تقريباً لم يضر البلاد بالمستوى نفسه الذي أحدثه تخفيض سعر العملات في الدول الأخرى، غير أن الدين المحلي الذي تبلغ نسبته ١٧٠ في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، كان يعتبر الأعلى في منطقة جنوب شرق آسيا عندما حدثت الأزمة، وتعاني البنوك من تزايد القروض التي لم يتم سدادها، حيث يعتقد البعض أنها ستمثل ثلث جميع القروض بحلول عام ١٩٩٩م، وقد أوشكت هذه البنوك على وقف الإقراض كما هبطت أسعار الأسهم إلى درجة أصبحت فيها أسهم ٩٧ شركة يتم تداولها بسعر أقل من سعرها الذي بيعت به في الأصل عندما عرضت أسهمها للبيع خلال هذا العام.

ماليزيا ليست لديها نسبة ديون مرتفعة

لاتوجد رغبة في الشراء

كما تعاني الشركات من شح السيولة فهي ترغب في بيع أصولها، إلا أنه لايوجد إلا عدد قليل من الماليزيين



ممن لديهم رغبة في شرائها، وقد ذكرت لجنة الأسهم في عرض نادر للجرأة، أنها ترغب أن يتم رفع الحد المفروض على حجم الأسهم الأجنبية في شركات السمسرة المحلية إلى نسبة ٧٠ في المئة (من نسبة ٤٩ في المئة)، وذلك حتى يتم دعم تلك التي تواجه صعوبات، ولقد أشار «أنور إبراهيم» وزير المالية، ونائب رئيس الوزراء إلى أن ماليزيا قد تعيد النظر في القيود المفروضة على الملكية الأجنبية لبعض الشركات. وهي قد تضطر للقيام بذلك، لأنه حتى الشركات الكبرى ذات الأوضاع الراسخة بدأت تضعف بسبب الضربات الاقتصادية، ولقد أصبحت شركة «تايم انجينيرنغ»، وهي فرع من شركة «رينونغ» الضخمة التي تعمل في مجال تشييد البنيات الأساسية، ولديها روابط سياسية جيدة، آخر شركة في سلسلة الشركات تسعى للحصول على حماية القضاء من ملاحقة الدائنين.

شهادة الوفاة

بيد أن الدكتور «مهاتير» ظل يقاوم بشدة أي محاولات لتمكين المستثمرين الأجانب من فرض سيطرتهم على الشركات المحلية، فهو يخشى أنه إذا ما فتح الباب أمامهم، وبالتالي، أمام صندوق النقد الدولي، فإن ذلك قد يكون بمثابة إعلان وفاة للنظام الذي ظل يرعاه لفترة ١٧ عاماً. فمن خلال نظامه لـ «الخدمة الوطنية» تمنح الشركات مزايا مقابل تقديم خدمات عامة «غير مربحة» كما أن هناك سياسة دعم إيجابي تقوم على أساس عرقي، تم تمويلها خلال أعوام النمو السريع، وهي التي مكنت الأغلبية من الملاي الفقراء تاريخياً من تحقيق التقدم. ويلقي الاقتصاديون الآن باللوم على عاتق تلك السنوات القائمة على أساس المحاباة بأنها أدت إلى خنق التنافس، كما يقولون إن سياسة «النمو بأي ثمن» أدت إلى منح القروض دون ضوابط وهو الأمر الذي تسبب في الديون التي تعاني البنوك منها.

هناك سياسة دعم إيجابي تقوم على أساس عرقي

كما يرى العديد من الاقتصاديين أن على ماليزيا أن تطبق الإصلاحات مثلها مثل جاراتها، فهي إما أن تستمر في إطالة أمد هذه العملية أكثر من اللازم، على الطريقة اليابانية، أو أن تقوم بتنفيذها. ويقول «كوستاس باناغيوتو»، كبير الاقتصاديين في شركة «كيم اينغ» للسندات، «لابد أن يمر الاقتصاد بعملية التأقلم، ولا يوجد أي سبيل للتراجع عن ذلك، عن طريق صندوق النقد الدولي أو من دونه». وبينما بدأت الأنباء الاقتصادية تنتقل من السيئ إلى الأسوأ، يبدو أن الدكتور «مهاتير» قد أدرك هذا الأمر، فخلال الأسابيع القليلة الماضية قام بتفكيك برنامج ماليزيا للتقشف، وأبعد «أنور إبراهيم» الذي صاغ ذلك البرنامج، كما رقى «دائم زين الدين» المستشار الاقتصادي المقرب لديه بمنحه منصباً وزارياً للإشراف على السياسة الاقتصادية التوسعية الجديدة.

محاولة أخيرة

ولكن بالرغم من تغيير آرائه، فإن «مهاتير» يقوم بمحاولة أخيرة بأسلوبه الخاص وهو يأمل في الحصول على الأموال اللازمة بطرق أخرى ومن دون قيود يفرضها صندوق النقد الدولي، وماليزيا تود إنفاق ١٢ بليون دولار ماليزي «ما يعادل ٢,٩ بليون دولار» على البنية الأساسية، والتنمية الاجتماعية، وهي تحتاج إلى ٢٥ بليون دولار ماليزي لشراء الديون الهالكة، وأصول المؤسسات المالية، ويتوقع الاقتصاديون أن الأمر سوف يتطلب مبلغاً يصل إلى ٤٠ بليون دولار ماليزي لتعزيز رؤوس أموال البنوك. ويسعى مهاتير للحصول على معونات من الوكالات المتعددة الجنسية، كما يرغب في جمع الأموال من خلال إصدار سندات تباع للأجانب، والحصول على قروض أمر ممكن إذا ما وضعنا في الاعتبار انخفاض ديون ماليزيا النسبي، ولكن جمع الأموال اللازمة من سوق رؤوس الأموال العالمي قد يأخذ وقتاً أكثر مما تتمكن ماليزيا من احتماله.

والدكتور «مهاتير» لم يستطع كسب ود المستثمرين وذلك بسبب خطبه الحادة التي لا تنتهي، فخلال الاثني عشر شهراً الماضية، اتهم الأجانب بتخليهم عن أسواق ماليزيا ضمن مؤامرة موجهة ضدها، كما أنه قبل أسابيع قليلة، حذر من ردة فعل آسيوية عنيفة إذا ما استغل الأجانب الأزمة عن طريق فرض سيطرتهم على الاقتصاديات الإقليمية.

كما أن المستثمرين غير متأكدين أي نوع من العلاج المحلي سيختاره «مهاتير» كهدف للتمويل في الخطوة التالية، وفضلاً عن ذلك فإنه لاتوجد ضمانات بأن هذه الأموال لن تهدر في عمليات إنعاش المصالح التجارية لذوي الاتصالات الجيدة، وان أي سندات تصدرها ماليزيا ستتضمن، دون شك قسط تأمين كبير لمواجهة المخاطر، ويعد هذا آخر جهد يبذله الدكتور «مهاتير» لتفادي فتح أبواب الاقتصاد غير أن هناك بوادر تدل على استعداده لتقديم تنازلات فمجرد اعتراف حكومته بأن الاقتصاد سيشهد انكماشاً، ـ بالرغم من ـ أنها مازالت لا تقدر عمق الكساد حق قدره ـ، إنما يشير إلى أنها تعرف أنه إنما يواجه أكبر أزمة في حياته العملية.

كما تشير التعليقات الأخيرة إلى أن الدكتور «مهاتير» يفضل أن يتذكره الناس بأنه قد أنعش الاقتصاد وذلك بدلاً من جعل بلاده تواجه الإفلاس، فقد عبر في إحدى اللحظات التي يمر فيها عن سريرته وما يجول في نفسه: «إذا كنا لا نزال لا نستطيع حل المشكلة الاقتصادية، ربما قد نضطر في يوم ما من الخضوع لصندوق النقد الدولي».

وهذا اليوم قد يأتي في وقت أبكر مما يتوقع. ■

من هدي كتاب الله

﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعه فإياي فاعبدون. كل نفس ذائقه الموت ثم إلينا ترجعون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنه غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾

العنكبوت: ٥٦ ـ ٥٩

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ :

«ينادي مناد يوم القيامه من بطنان العرش : ألا فليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم من عباد الله إلا المتفضلون».

السلامة من الناس

لما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به :

أخبرني كيف التخلص إلى السلامة من الناس ؟

فقال له حاتم :

بثلاثة أشياء.

فقال :

أحمد ما هي ؟

أجاب حاتم :

تعطيهم مالك، ولا تأخذ مالهم، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم.

علم الصمت

قال أبو الدرداء رضي الله عنه :

تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام، فإن الصمت علم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك على أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب ولا مشاء إلى غير أرب.

روح الخشية

مر عمر رضي الله عنه بمعاذ بن جبل، وهو يبكي فقال :

ما يبكيك؟.

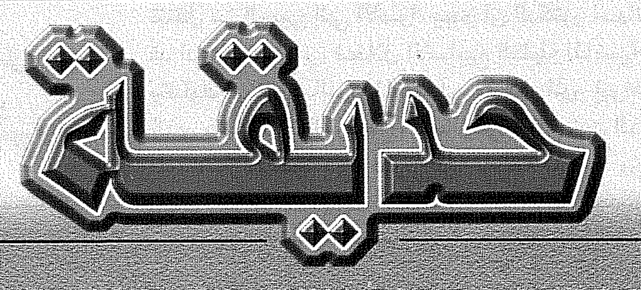
قال : حديث سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ :

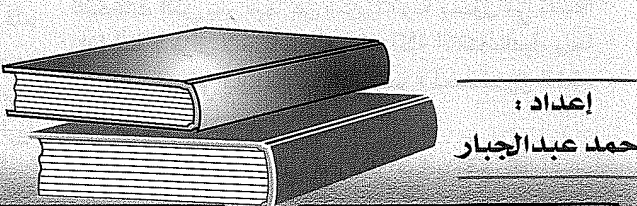
«إن أدنى الرياء شرك، وأحب العبد إلى الله تبارك وتعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم».

إضاعة الحق

ثلاثة يضيعون الحق في ثلاثة مواطن :

مخلص يسكت عند قوم مبطلين، وعالم يسكت بين قوم جاهلين، ومنافق يتقرب إلى قوم ظالمين.





إعداد :
حمد عبدالجبار

من فضلك ابتسم

ليس هناك أجمل من ابتسامة صادقة تضيء الوجه وتجعله أكثر حيوية وجمالاً، والابتسامة تسعد من يراها وهي عمل سهل وبسيط لكنه في الوقت نفسه من أكثر التعابير النفسية والإنسانية تعقيداً.

والابتسامة الصادقة تبعث على السعادة التي لها آثار إيجابية على الجهاز العصبي، ويساعد الضحك على تنشيط الدورة الدموية.

والابتسامة تؤثر على مشاعر الناس من حولك وتنقل الألفة والسعادة للآخرين.

وصدق الرسول ﷺ إذ يقول :

«تبسمك في وجه أخيك صدقة».

خاطئ ومخطئ

من الأخطاء اللغوية الشائعة في استعمال كثير من الناس، معنى كلمة خاطئ بدلاً من مخطئ، ويقول علماء اللغة: شتان بين الاستعمالين.

فالخاطئ : هو الذي تعمد الخطأ من الفعل: خطئ يخطأ

والمخطئ : هو الذي لا يتعمد الخطأ، بل جاء الخطأ منه عفواً دون قصد من الفعل : أخطأ يخطئ.

قال تعالى في المعنى الأول : (ولا طعام إلا من غسلين. لا يأكله إلا الخاطئون» الحاقة: ٣٧ ـ ٣٨

وقوله تعالى : (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) القصص: ٨

وقال سبحانه وتعالى في المعنى الثاني : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) الأحزاب: ٥

وقال أيضاً : (ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) البقرة : ٢٨٦.

أركان السعادة

أركان السعادة ثلاثة: أن تجد شيئاً تعمله، وشيئاً تحبه، وأملاً ترجو تحقيقه أو تسعى إليه.

اختبارات !

يُختبر الذهب بالنار، وتختبر المرأة بالذهب، ويختبر الرجل بالمرأة.

أقوال في العفو

● وصية والد لابنه :

يا بني لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوباً إليه، وطالب كان مطلوباً ما لديه.

● وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

وقال أيضاً:

أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه.

● وقال الأحنف :

ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث :

إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي منه.

● وقال معاوية وكان مشهوراً بالحلم :

إني لآنف أن يكون في جهل لا يسعه حلمي، وذنب لا يسعه عفوي، وحاجة لا يسعها جودي، وهذه مروءة عالية المرتبة.

الأيام خمسة

الأيام خمسة :

يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مردود، ويوم موعود، ويوم محدود.

فالمفقود : أمسك الذي فاتك على ما فرطت فيه.

والمشهود : يومك الذي أنت فيه تتزود فيه بالطاعات.

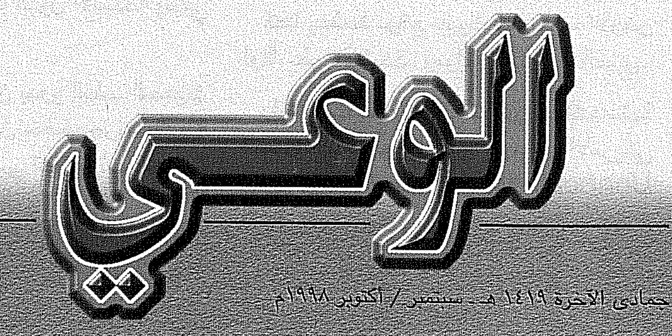
والمورود : هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا ؟.

والمحدود : هو آخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينيك.

والموعود : هو آخرتك، وهو يوم لا انقضاء له فاهتم له، فإنه نعيم دائم أو عذاب مخلد.

أقبح الجبن

أقبح أنواع الجبن : الجبن من الجهر بالحق خشية ألسنة المبطلين ... لا تتأخر عن كلمة الحق بحاجة إنها لا تسمع، فما من بذرة طيبة إلا ولها أرض خصبة ... ليس عليك أن يقتنع الناس برأيك الحق، ولكن عليك أن تقول للناس ما تعتقد أنه حق.





إعداد: تمام أحمد

مجموعات مناهضة للتكنولوجيا تنذر بفناء الحضارة الصناعية

مثلما يحتفي العالم مبتهجاً بتطوير أحدث منجزات العلم والتكنولوجيا، ترتفع الأصوات هنا وهناك محذرة من الآفاق المظلمة أمام البشرية بسبب التقدم التكنولوجي المتسارع.

وإن كانت مفردات التقدم قد دخلت قواميس الحياة اليومية معلنة انتصار الإنسان على المصاعب، مثل مفردات البنسلين، وأجهزة الفحص الشعاعي بالأشعة السينية «أشعة إكس»، والأسبرين، وشتى الآلات الحديثة التي تسهل عمل الإنسان، فإن مفردات مخيفة تربطها بعض مجموعات الدفاع عن الأرض مع الموت والمجاعة والحروب، وخصوصاً مع التكنولوجيا، تقدم بوصفها تجسيداً للرعب التكنولوجي الجديد.

وتجسد هذه المفردات منجزات مخيفة، مثل العامل البرتقالي المدمر للوسط المحيط ومواد «دي دي تي والانتراكس، والهواتف الجوالة، التي لا يزال الجدال دائراً حول أضرارها على سلامة دماغ مستخدميها، والمنتجات من ملابس النايلون الضارة بجسم الإنسان.

الهاوية التكنولوجية

ويؤكد الدعاة المناهضون للتكنولوجيا الذين يستخدمون أنفسهم لأحدث منجزاتها مثل المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، إن التكنولوجيا تقود العالم نحو الهاوية.

وتتحدد مخاوفهم في مجموعة من الميادين التي تشكل جبهة التطوير والأبحاث الحديثة وهي ميادين التقنيات الحيوية وهندسة المورثات، والنقل وتلويث السيارات للبيئة، والكمبيوترات، والأسلحة والطاقة النووية، وتقنيات الطب الحديث، وظاهرة تسخين الأرض وانحسار طبقة الأوزون، وظهور الأمراض الجديدة.

وتمثل هندسة المورثات أحد أهم الميادين التي يوجه المدافعون عن الأرض والمناهضون للتكنولوجيا، سهامهم نحوها، فهم يؤكدون أنها قد تقود إلى استنساخ هتلر جديد يتحكم في مصائر العالم إضافة إلى تمكين مجموعات من العلماء المشبوهين والشركات الكبرى من الحصول على المعلومات عن المورثات والتحكم فيها لصالحها وليس لصالح البشرية.

ولا يختلف الكثير مع هؤلاء الدعاة حول دور السيارات التي تحرق وقود الأرض من تلويث البيئة، فقد اعتبر آل غور نائب الرئيس الأمريكي محرك السيارة أكبر تهديد للبشرية في الوقت الراهن، وتطرح مشاكل التلوث بوصفها مشاكل لا تقل حدة عن مشاكل المجموعة وانتشار الأمراض المميتة.

أما ميدان الكمبيوترات فإنه يخيف مناهضي التكنولوجيا مع التقدم في مجالات تطوير ذاكرة صناعية ونظم ذكاء قد تتمكن من التحكم في الإنسان، إضافة إلى ذلك، فإن صناعة الكمبيوترات تستنزف طاقات الأرض، ويشير هؤلاء إلى حادثة قيل إنها وقعت في معمل لإنتاج السيارات في اليابان قام فيها أحد الروبوتات بمسك رأس عامل فيها بوصوفه أحد أجزاء السيارات المطلوبة.

مخازن مشروعة

وتظل الطاقة النووية والأسلحة النووية أحد الميادين المفضلة لحماة البيئة ومناهضي التكنولوجيا، حيث يؤدي ردم النفايات وخزنها إلى آثار تتحملها الأجيال المقبلة في وقت تطور فيها مختلف الدول الأسلحة وتبني المنشآت النووية.

ويشكك المناهضون بدور الطب الحديث الذي تحول من ميدان مخصص لمعالجة المرض إلى توظيف شتى التطويرات الجديدة من دون قيود، فقد ازداد استخدام المضادات الحيوية على نطاق واسع ما يؤدي إلى ظهور جراثيم متفوقة لا يمكن مكافحتها.

ومع ازدياد ذوبان ثلوج القارة القطبية الجنوبية المتجمدة وازدياد مستويات مياه البحار التي تهدد السواحل التي تقطنها مجموعات كبيرة من السكان، فإن ظاهرة تسخين الأرض بسبب الاحتباس الحراري داخلها تتحول إلى مسألة تطرح يومياً.

ويؤدي استغلال الطبيعة العذراء للأرض بشكل جشع للحصول على فوائد للشركات الكبرى وتطوير عقاقير أو منتجات سكانية هائلة، خصوصاً في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بسبب اختلال التوازن الطبيعي.

معارضة على الإنترنت

وتتشكل هنا وهناك حول العالم مجموعات متفرقة تنادي بالحفاظ على الأرض.

وتعود أصول هذه الظاهرة العالمية إلى بداية القرن التاسع عشر، حين قامت مجموعة من العمال المهرة العاملين في معامل إنتاج النسيج في بريطانيا عامي ١٨١١ و ١٨١٢ بتدمير الآلات، وقاد هذه المجموعة نيد لاد، وقد حشدت الحكومة حينذاك ما يقرب من ١٤ ألف جندي للمحافظة على الأمن في منطقة بلاك كاونتري في وسط بريطانيا.

وقد لجأ العمال إلى هذه الأعمال بسبب حال البطالة التي تعرضوا لها بفضل إدخال الآلات.

وتوجد على شبكة الإنترنت حالياً مواقع إلكترونية لمجموعة مناهضة للتكنولوجيا يحمل أحدها اسم «لاديتيز» الذي يشير كما يبدو إلى مجموعة من «اتباع لاد» يحمل شعاري «الحياة كانت أفضل قبل ظهور الخبز المنتج صناعياً» و«نبحث عن خط مخصص لسير الدراجات الهوائية على طريق المعلومات السريعة».

كما ينشط موقع «إيرث فيرست» الأرض أولاً، على الإنترنت، ومواقع إلكترونية أخرى.

وإن كانت هذه المواقع تبشر بمناهضتها السلمية للتكنولوجيا، فإن المهووس الأمريكي الذي أطلق عليه اسم Unabombera

مفجر القنابل الوحيد، كان جاداً في قتل كل من لا يتفق مع آرائه المعادية للتكنولوجيا.

ويعرض النص الذي يحتوي على ٣٥ ألف كلمة، على عداء صريح للمجتمع الصناعي برمته، وقد شارك كازينسكي في حملة لإرسال الرسائل الحاوية للمتفجرات قبل إلقاء القبض عليه.

حماية الأرض

وبدأت حركة «الأرض أولاً» على يد مجموعة متطرفة قادها ديف فورمان في الولايات المتحدة لحماية الوسط الطبيعي من التخريب باستخدام طرق لخلق حال من الفوضى.

إلا أن التسعينات شهدت سيطرة مجموعات بيئية أقل تطرفاً رغم أن بعضها يلجأ إلى حماية الطبيعة بقوة، ويطلق على هذا البعض «المحاربون البيئيون».

ويعتقد أن «الأرض أولاً» تعمل في ١٣ دولة حالياً، وتوجد في بريطانيا ٦٣ مجموعة تنتمي إليها.

وقادت هذه المجموعات عمليات الاعتصام ضد مشاريع إنشاء طرقات جديدة تم تغطيتها إعلامياً بشكل واسع.

وتستخدم هذه المجموعات أفضل منجزات التكنولوجيا في حملتها المعادية للتكنولوجيا، وهنا تكمن المفارقة!.

نذر المستقبل

ويبدو كيركباتريك سايل وهو أحد منظري نهاية العالم وصاحب كتاب «المتمردون ضد المستقبل» أكثر تشاؤماً بمستقبل العالم، ويعتقد سايل أن نذر المستقبل تبدو ملامحها حالياً، فهو يتوقع أن البشرية قد تشهد بعد ٢٠ عاماً ثورة للدول الفقيرة ضد الدول الغنية، وسلسلة من الكوارث البيئية ستقود إلى نهاية الحضارة التكنولوجية.

ويؤكد سايل في أفكاره أن التقدم الصناعي هو عامل يقود إلى تدمير الماضي ويحول المستقبل إلى موقع مجهول ويشير إلى حقيقة أن مهارة الإنسان اليدوية لا يمكن أن تعوض.

التكنولوجيا ومنجزاتها وضعت الإنسان، على مدى تطوره، في أعلى طبقات التطور الطبيعي على الأرض وجلعته سيد المخلوقات، وهي تدفعه لبناء مستقبل أفضل، إلا أنها قد تدمر الأرض وتهلك البشرية، إن ظلت محتكرة على مجموعة من أصحاب القوة والمال التي تستنزف خيرات الأرض وتنهب ثرواتها من أجل الربح الجشع ومن دون الالتفات إلى مصير الملايين.

عن الشرق الأوسط ١٠ / ٨ / ١٩٩٨

أسرار جهاز المناعة البشري قد تكشفها مادة وراثية

عن الحياة ٢١ / ٨ / ١٩٩٨

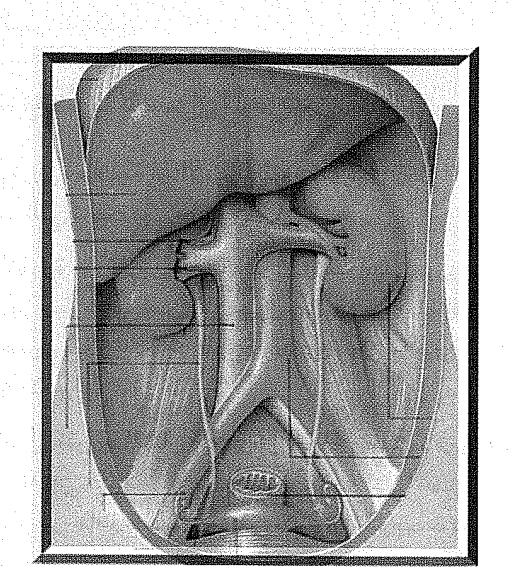
قال باحثون إن مادة جينية انتقلت إلى الحيوان ربما من ميكروب قد تفسر جهاز المناعة المعقد لدى الإنسان.

وأضافوا أنهم وجدوا أدلة قوية على كيفية وصول هذا «الجين المنقول» لجسم الإنسان فيما يفسر كيف يمكن لجهاز المناعة البشري محاربة مجموعة ضخمة من الفيروسات والبكتيريا والطفيليات.

وكتب ديفيد شاتس وزملاؤه في جامعة يال في مجلة «نيتشر» يقولون إنهم يعتقدون أن هذا الجين المعروف بقدرته على التحول ربما تصرف على غرار الفيروسات وتسلل إلى المادة الوراثية لحيوان كان قد أصابه قبل ٤٥٠ مليون عام.

وقال شاتس في حديث تلفازي «اعتقد أنه كان هناك ميكروب يحتوي على هذا الجين المتحول الذي قفز بدوره من جينات هذا الميكروب إلى جينات أجدادنا».

وأضاف: «هذا يساعد في تفسير كيف أن الفقريات ذات الفك هي الكائنات الوحيدة التي لديها نظام مناعة ثانٍ مكتسب بالإضافة إلى نظامها المناعي الأصلي الذي تتمتع به الكائنات الأخرى».



وجهاز المناعة الأصلي يضع دفاعاً بدائياً في حال الإصابة بالعدوى، إذ يدمر أي خلية غريبة، ولكن يمكن لبعض الميكروبات أو الفيروسات المهاجمة اختراق هذا الجهاز بقليل من التنكر.

أما الخط الدفاعي الثاني فهو جهاز المناعة المكتسب الذي يولد المضادات وهي بروتينات على سطح المهاجم تعلمه باعتباره جسماً غريباً لمساعدة الخلايا الليمفاوية على التعرف عليه.

وتستخدم الخلايا الليمفاوية نظاماً لمكافحة كل مهاجم بالأسلوب الذي يناسبه، فلكل خلية ذاكرة تعيد تشكيل سطحها ليقابل المهاجم ويمكنها «تذكّر» هذا الشكل للهجوم التالي، إنها القدرة على «قص ولصق» المادة الوراثية وهي التي قفزت إلى الحيوان من الميكروب القديم.



تقرير إسرائيلي: المسلمون خطر على كياننا



ذكر تقرير إسرائيلي أعدته حكومة بنيامين نتنياهو أن مسلمي المناطق المحتلة في فلسطين العام ١٩٤٨م يشكلون تهديداً استراتيجياً للدولة العبرية، مشيراً إلى أن هناك أسساً ومبررات يمكن في ضوئها قيام هؤلاء بالمطالبة بالحكم الذاتي كمرحلة أولى في عدائهم السافر للكيان الصهيوني، وحسب التقرير الذي أعده فريق من الأجهزة الأمنية المختلفة بناء على طلب نتنياهو فإن المسلمين يشكلون تهديداً واضحاً لمستقبل إسرائيل، ذلك لأن لهم علاقات متشعبة مع منظمات إسلامية في العالم ومن ضمنها حركة حماس في الضفة والقطاع.

وذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية أن التقرير خصص فيه جزء مهم للنشاطات التي يقوم بها المسلمون.

ووصف التقرير المسلمين من فلسطينيي ١٩٤٨م بأنهم يشكلون الصحوة الإسلامية لعرب فلسطين، ومع أنها ما زالت في بداياتها إلا أنها أخذت تشكل بديلاً لأجهزة السلطة الإسرائيلية وبالذات في مناطق جنوب فلسطين في النقب من خلال المساجد وتبني إصلاح وترميم المقابر، وبث روح الجهاد في نفوس المواطنين.

جنرال إسرائيلي يعترف بقتل الأسرى العرب

اعترف الجنرال احتياط «هارون دورون» علانية أن الإسرائيليين مارسوا قتل الأسرى المصريين بشكل جماعي خلال الحروب التي نشبت بين العرب والكيان الصهيوني.

وكان تم كشف النقاب في الأيام الأخيرة عن تقرير قدمه الجنرال الإسرائيلي دورون إلى رئيس الوزراء السابق شيمون بيريز قبل عامين من الآن حول حقيقة معاملة الجنود الإسرائيليين للأسرى من الجيش المصري خلال المعارك التي دارت بين الطرفين، حيث كان دورون قائداً لإحدى الكتائب العسكرية الإسرائيلية.

وقال «دورون» في اعترافات صحافية إن تقريره المشار إليه عرض خلاله وبشكل سري على رئيس الحكومة في حينه بيريز شهادته عن حقيقة ما يعلمه عن فضيحة قتل الأسرى من الجنود المصريين التي أثيرت قبل أكثر من عامين، حيث أكد في تقريره أنه وجد شخصياً حالات لقتل الأسرى من الجنود المصريين.

مجلس الوزراء الكويتي يقر قانونين لتأسيس البنوك الإسلامية وشركات الإجارة

وافق مجلس الوزراء الكويتي في جلسته العادية المنعقدة يوم ١٩٩٨/٨/٩م على مشروع قانون بإضافة قسم خاص بالبنوك الإسلامية إلى الباب الثالث من القانون ٣٢ لعام ١٩٩٨م الخاص بالنقد وبنك الكويت المركزي وتنظيم المهنة المصرفية.

ويهدف هذا المشروع إلى إصدار تشريع ينظم تأسيس ونشاط البنوك الإسلامية في دولة الكويت، ويحدد علاقتها ببنك الكويت المركزي كسلطة رقابية على الجهاز المصرفي في الدولة.

ويذكر أنه لا يوجد في الكويت سوى مصرف إسلامي واحد هو «بيت التمويل الكويتي»، ولكن توجد شركات استثمارية تمارس جزءاً من الأعمال المالية الإسلامية إلى جانب الاستثمارات التي لا تخالف الشريعة الإسلامية منها شركة المستثمر الدولي.

كما وافق مجلس الوزراء على مشروع اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٢ من السنة الحالية والذي يسمح بالترخيص لتأسيس شركات للإجارة والاستثمار، الذي أعدته وزارة التجارة والصناعة.

في الأراضي الفلسطينية سموم اسرائيلية تنشر السرطان

أكدت مصادر فلسطينية أن السلطات الإسرائيلية تقوم بدفن النفايات السامة في الأراضي الفلسطينية، وأن جهات فلسطينية مسؤولة شاهدت بنفسها أبخرة سامة تصدر عن بعض المناطق حيث ثبت أنها نفايات سامة مدفونة فيها.

وتعتبر بلدة «عزون» جنوب نابلس بالضفة الغربية من المناطق «النموذجية» لدفن النفايات السامة من وجهة نظر إسرائيلية، حيث يتم نقلها من مدن استيطانية يهودية من مناطق ١٩٤٨م ومستعمرات من مناطق ١٩٦٧م، وتدفن في أراضي بلدة عزون.

وأضافت المصادر الفلسطينية أنه يمكن لزائر المنطقة أن يصاب بالتهاب في العينين مصحوب بدموع، وكذلك التهاب بالحنجرة في غضون ساعات قليلة فقط من زيارة المكان.

ورغم النفي المتكرر من مسؤولين في الكيان الإسرائيلي لهذا الأمر إلا أن صحيفة «الغارديان» اللندنية أكدت ذلك في سياق تقرير مشفوع بشهادة فلسطينيين أكاديميين وأطباء فلسطينيين يقومون بمعالجة أهالي بلدة عزون منذ ١١ سنة من آثار الأبخرة السامة المتصاعدة من دفن النفايات في المنطقة حيث ارتفعت نسبة الإصابات بالسرطان في أوساط أهالي البلدة المذكورة.

وتشكل عزون رأساً لمثلث خطير على البنية الفلسطينية إضافة لمدينتي طولكرم وقلقيلية بسبب كونها أماكن للنفايات السامة، حيث تأتي الشاحنات الإسرائيلية ليلاً والمحملة بتلك النفايات من المنطقة الصناعية الإسرائيلية على بعد ٢٠ ميلاً إلى الغرب لتفرغ حمولة الموت في المناطق المذكورة.

من دون آباء أو أمهات أو رعايه

أطفال كوسوفا لاجئون في الحارات

وصل عدد اللاجئين من كوسوفا إلى ٢٨٥ ألفاً خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، ذكر ذلك مكتب رعاية حقوق الإنسان في العاصمة الكوسوفية «برشتينا» حسبما ذكرت جريدة «بويكو» الألبانية، وقال إن من هؤلاء ٢٦ ألفاً في الجبل الأسود، و ٢٠ ألفاً في ألبانيا، و ٢١ ألفاً في مقدونيا، و ١٦ ألفاً في البوسنة، و٥ آلاف في أوروبا، والبقية في الداخل. وأكد المكتب أن عدد القتلى وصل إلى ٤١٥ شخصاً، والمفقودين ٤٠٠ شخص، وأكدت الرقم الأخير وسائل الإعلام الصربية في بلغراد دون أن توضح مصيرهم.

ويقول شاهد عيان من برشتينا إن عدد اللاجئين في الحارة التي يقطن فيها زاد عن عدد السكان الأصليين، حيث وصل إليها أخيراً ٢٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين ٦ و ١٢ عاماً، من دون ذويهم.

قطع هؤلاء الأطفال ٤٠ كم من قرية «راموفيتش» إلى برشتينا، حيث أرسلهم من تبقى من آبائهم وأمهاتهم إلى العاصمة لينعموا بالأمان، بينما انضم الآباء إلى جيش التحرير، وهربت الأمهات إلى القرى المجاورة.

هذا وارتكبت القوات الصربية في الأيام الأخيرة مذبحة وحشية مروعة ضد ٢٠ فرداً معظمهم من عائلة واحدة بعد أن أعلنوا أنهم مدنيون عزل وخرجوا من المنزل رافعين العلم الأبيض، ولكن القوات الصربية أخذت



فوضى عالمية وكوارث إنسانية ترافق الأخطاء المتوقعة للكمبيوترات العام ٢٠٠٠ م



عبَّرت وزارة الدفاع السويدية عن خشيتها من عدم قدرتها على اتخاذ جميع الإجراءات المطلوبة لإدخار تعديلات على نظم الأسلحة التي يتم التحكم فيها بوساطة الكمبيوتر قبل نهاية القرن الحالي.

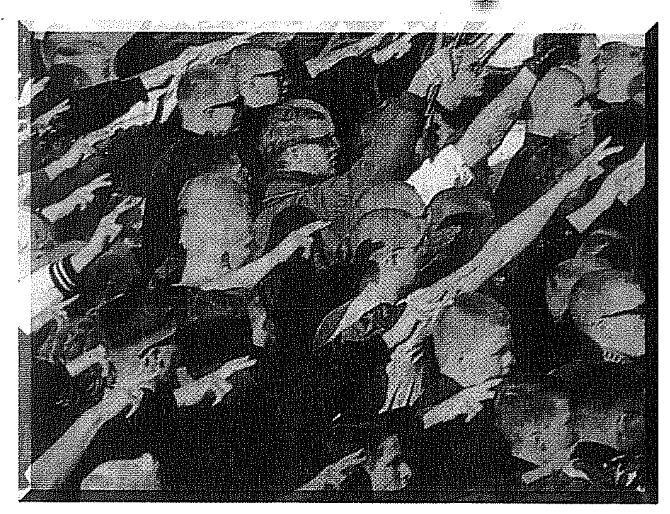
وجاءت هذه المخاوف ضمن رد على أسئلة توجهت بها الحكومة السويدية عن مدى استعداد وزارة الدفاع لمواجهة التغيرات التي ستطرأ على أنظمة الكمبيوتر كنتيجة لدخول العالم في الألفية الميلادية الثالثة بعد أقل من عام ونصف العام.

ويخشى العديد من العلماء والخبراء في مجال الحاسوب الآلي حصول فوضى عالمية قد تؤدي إلى كوارث اقتصادية وإنسانية إذا لم تتخذ الإجراءات اللازمة لتفادي الحسابات الخاطئة للكمبيوترات كسبب مباشر لتغير الزمن وعدم استيعاب هذه الأجهزة للتحول المفاجئ لها منذ العام ١٩٩٩م حتى العام ٢٠٠٠م، وأكثر ما يخشاه الخبراء أنظمة الحاسوب المستخدمة في قطاعات الصناعة والمصارف والطيران.

وتضمن تقرير وزارة الدفاع السويدية أيضاً إلى حكومة بلادها مخاوف من أن عدم الاستعداد الكافي لمواجهة هذه الظاهرة المنتظرة قد يؤدي إلى نتائج خطيرة منها سقوط الطائرات وتعطل وظائف التحكم في الغواصات والسفن الحربية وبعض المركبات البرية.



ازدياد تعاطي المخدرات بين أطفال أميركا



أظهرت دراسة حكومية نشرت في واشنطن يوم ١٩٩٨/٨/٢١م أن تعاطي المخدرات بين الصبية الأميركيين في تزايد وبالأخص الماريغوانا.

وزاد تعاطي المخدرات بين الأطفال الذين تراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٧ عاماً إلى ١,٧ في المئة في العام ١٩٩٧م مقابل تسعة في المئة في العام ١٩٩٨م.

وأوضحت الدراسة التي أجرتها وزارة الصحة الأميركية أن تعاطي الماريغوانا خلال الفترة نفسها في المجموعة العمرية عنيها، زاد من ٧,١ في المئة إلى ٩,٤ في المئة، وشملت الدراسة ٢٤٥٠٥ أشخاص.

وقالت دونا شالالا وزيرة الصحة الأميركية: «نواجه مشكلة ماريغوانا خطيرة بين شبابنا، هذه الدراسة توضح أن عملنا في مكافحة المخدرات لابد أن يركز على هؤلاء الصغار».

وأضافت أن عدداً أكبر من الصبية يتعاطى الماريغوانا لاعتقادهم أنها غير خطيرة، مشيرة إلى تحول في تصور الأطفال لأخطار الماريغوانا بدأ في العام ١٩٩٠م.

وقالت شالالا: «أطفالنا مخطئون، الماريغوانا غير آمنة، الماريغوانا تضعف القدرة على التعلّم والذاكرة».

وزاد تدخين السجائر بين شبان أميركا أيضاً في العام ١٩٩٧م، حيث ارتفعت النسبة في الفئة العمرية من ١٢ إلى ١٣ عاماً من ٧,٣ في المئة إلى ٩,٧ في المئة العام ١٩٩٧م.

منع البسملة في طاجيكستان !

تفيد الأنباء الواردة من دوشانبه أن السلطات بدأت حملة مكثفة ضد الهيئات والشخصيات الإسلامية.

كما مُنعت محطات الإذاعة والتلفاز من بث تلاوة آي الذكر الحكيم أو أي عبارة إسلامية مثل «بسم الله الرحمن الرحيم» أو «إن شاء الله» بذريعة محاربة التطرف الإسلامي.

وبموجب ذلك، يمنع الجنود من الصلاة في الثكنات، ويحظر على الجندي إطلاق لحيته.

رابطة العالم الإسلامي تدين استمرار العدوان الإسرائيلي على المسجد الأقصى

أكدت رابطة العالم الإسلامي أن المسجد الأقصى المبارك وما حوله ملك للمسلمين ولا تجوز ولاية غيرهم عليه وعلى مدينة القدس التي تحتضنه، وأعربت عن أسفها الشديد لاستمرار العدوان الإسرائيلي بأشكاله المختلفة على المسجد.

وقال الأمين العام، للرابطة الدكتور عبدالله العبيد في بيان له لمناسبة الذكرى ٢٩ للعدوان الإسرائيلي على المسجد الأقصى أن للمسجد الأقصى المبارك مكانة مرموقة في قلوب المسلمين، منددا بامتهان السلطات الإسرائيلية لهذه القدسية، بما تقوم به من إجراءات عدوانية مستمرة ضده تمهيداً لهدمه، وإقامة هيكل سليمان

منظمة العمل الدولية تدعو الحكومات للاعتراف بتجارة الجنس !

في سابقة خطيرة وبعيدة كل البعد عن القيم والأخلاق والمثل الإنسانية العليا التي يجب أن تسعى إليها المنظمات العالمية حثت منظمة العمل الدولية يوم ١٩/٨/١٩٩٨م الحكومات على أن تعترف رسمياً بتجارة الجنس المزدهرة وأن تعاملها معاملة أي نشاط اقتصادي آخر.

وقالت المنظمة التابعة للأمم المتحدة في تقرير عن جنوب شرق آسيا إن تجارة الجنس في المنطقة شهدت نمواً سريعاً حتى أنها أصبحت الآن تدر ما بين اثنين و ١٤ في المئة من إجمالي الناتج المحلي في اقتصادات دول المنطقة، ولم تصل منظمة العمل الدولية إلى حد الدعوة إلى إباحة الدعارة، غير أن المنظمة تحدثت عن منافع الاعتراف بها كقطاع اقتصادي من أجل «مد شبكة الضرائب لتشمل كثيراً من النشاطات المربحة المتصلة بها وصوغ سياسات عمالية تشتد الحاجة إليها للتعامل مع ما يقدر بنحو بضعة ملايين يعملون في مجال الجنس».

وقد يكون تقرير المنظمة مثيراً للجدل بالنسبة إلى الحكومات والشعوب التي تعتقد أن الدعارة يجب اعتبارها جريمة.

وكررت منظمة العمل الدولية دعوتها إلى القضاء على دعارة الأطفال، وقالت إن تقديرات عدد الأطفال المنغمسين في ذلك تراوح بين ٥٠ إلى ٧٠ ألفاً في الفليبين وما يصل إلى ٨٠٠ ألف في تايلاند. وذكر تقرير منظمة العمل عن تجارة الجنس في أندونيسيا وماليزيا والفليبين وتايلاند أن بين ٠,٢٥ في المئة و ١,٥ في المئة من جميع النساء في هذه الدول يعملن غانيات. وفي تايلاند أوضحت دراسة حكومية العام ١٩٩٧م أن هناك ٦٥ ألف امرأة غانية، لكن منظمة العمل الدولية قالت إن الرقم غير رسمي وربما يصل العدد إلى ٣٠٠ ألف، وقالت إن الغانيات في أندونيسيا يتراوحن من ١٤٠ ألف إلى ٢٣٠ ألف غانية، وفي ماليزيا ١٤٢ ألفاً والفلبين نحو نصف مليون.

وقالت دراسة منظمة العمل إن هذا القطاع يتسع وينمو متخطياً الحدود وأن كثيراً من مؤسسات الجنس في الفلبين تبين أنها تتلقى دعماً مالياً أجنبياً ومن ذلك أعمال التهريب الدولية للغانيات.

وقالت منظمة العمل في أندونيسيا تقدر العوائد المالية لتجارة الجنس بنحو ٣,٦ بليون دولار كل عام ومن ذلك ما يقرب من ١٠٠ مليون دولار سنوياً وقالت إنها تجنى من نشاطات جنسية في العاصمة جاكرتا وحدها.

البنك الإسلامي يخصص ١,٤ بليون دولار لتمويل التجارة

خصص البنك الإسلامي للتنمية ١,٤ بليون دولار لتمويل التجارة في السنة المالية الجارية بهدف توسيع نطاق المبادلات التجارية والاستثمارات بين الدول الأعضاء.

وقال رئيس البنك أحمد محمد علي: تشمل هذه المخصصات ٨٣٠ مليون دولار لتمويل الواردات و ٢٠٠ مليون دولار للصادرات، و ٣٠٠ مليون دولار لعمليات القطاع الخاص من خلال محفظة المصارف الإسلامية التي يديرها البنك من مقره في جدة، ويشارك فيها ٢٠ مصرفاً ومؤسسة مالية إسلامية.

وحدد البنك ثلاثة مجالات عمل للتركيز عليها في السنوات الثلاث المقبلة: هي توسيع التجارة والاستثمارات، وتنمية الموارد البشرية، وتلبية الحاجات الأساسية في مجالات الصحة والتعليم والغذاء، كما حدد تسعة أهداف لفريق العمل المنبثق عن اجتماع طهران في يونيو الماضي، من أهمها البحث في الوسائل الكفيلة بحفز المؤسسات الإسلامية لزيادة نشاطاتها التمويلية.

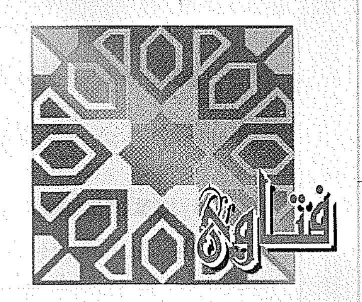
المزعوم مكانه، وأوضح الدكتور العبيد أن السلطات الإسرائيلية استولت على المزيد من أراضي الوقف المحيطة بالمسجد الأقصى، بالإضافة إلى المقابر الإسلامية بحجة توسيع الطرقات وتحديثها، وإجرائها حفريات تحت بنيانه ومن بينها الأنفاق الخطيرة التي تهدده بالسقوط والانهيار.

وشدد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي على أن ما تقوم به إسرائيل من سياسات عدوانية على المسجد الأقصى والقدس الشريف يعد انتهاكاً لقرارات الأمم المتحدة التي تؤكد أن القدس المحتلة جزء من فلسطين، لا يجوز العبث بأراضيها وتغيير معالمها الجغرافية وأوضاعها السكانية.

وحذر الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور العبيد في بيانه من استمرار السلطات الإسرائيلية في العدوان على القدس الشريف ومحاولات تهويدها بإزالة معالمها الإسلامية، وشمول ذلك للمسجد الأقصى المبارك وما يجاوره من مواقع تابعة لأوقافه، مشيراً إلى أن السلطات الإسرائيلية المحتلة لم تلتزم بما قرره المجتمع الدولي في شأن مدينة القدس وما فيها من مقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى الذي نصبت فيه المذابح الدموية مرات كثيرة.

وأضافت أن السلطات الإسرائيلية تسعى إلى تنفيذ مشروع القدس الكبرى لاستكمال إجراءات التهويد وبناء المزيد من المستوطنات اليهودية حولها وإحلال المزيد من المستوطنين اليهود مكان السكان الأصليين بعد اغتصاب أملاكهم وتهجيرهم وطردهم من أراضيهم، وأوضح أن رابطة العالم الإسلامي تتابع هذه الإجراءات العدوانية بألم شديد، وهي تحذر من استمرار هذا العدوان.

وقال الدكتور العبيد إن الرابطة التي تمثل بها الشعوب الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم تطالب الهيئات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي بالعمل من أجل عودة المسجد الأقصى المبارك إلى أهله، وعدم السماح للسلطات الإسرائيلية باستمرار الهيمنة عليه وعلى مدينة القدس العربية المسلمة.



الطلاق المعلّق على شيء ما

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

حصل خلاف بيني وبين زوجتي، فأمرتها أن تترك بعض الأعمال، فقلت لها: إن عملت كذا فأنت طالق، وكنت أقصد بذلك مجرد التهديد، فخالفت أمري وفعلت ما أمرتها بتركه، وقد استفتيت بعض علماء الفقه فأمروني بإرجاعها، وفي مرة ثانية قلت لها: إن لم تخبريني بالشيء الفلاني فأنت طالق، فأخبرتني به بعد مدة، ومنذ خمسة أيام اتفقنا على الانفصال، وقلت لها: أنت طالق منذ هذه الساعة، والآن أرغب في إرجاعها.

أجابت اللجنة بما يلي :

يلزم السائل كفارة اليمين بالنسبة للمرة الأولى، ولا يقع عليه شيء للمرة الثانية لأنها فعلت ما حلف عليه، وبقوله لها منذ خمسة أيام، «أنت طالق» تقع طلقة واحدة رجعية، له مراجعتها ما دامت في العدة، وقد راجعها فعلاً أمام اللجنة.

تعمد الخطأ لبيان الصواب في القرآن الكريم

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

إني أمارس عملية تعليم القرآن الكريم حسبة لوجه لله تعالى، ولضرورة تعليم النطق بالحكم السليم كالإدغام بغنة، والإخفاء ونحو ذلك، أضطر للنطق بالكلمة بشكل غير صحيح، ثم النطق بها بشكلها الصحيح ليتبين الفرق بين النطقين، واستبعاد النطق غير الصحيح، وإقرار القراءة على الوجه الصحيح.

السؤال : هل في عملي هذا شيء من المخالفة الشرعية ؟ أرجو بيان ذلك.

أجابت اللجنة :

ليس في هذا العمل شيء من المخالفة الشرعية، مادام القصد منها التعليم فقط.

تقسيم دية المقتول على الورثة

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

رجل يطلب قسمة الدية الشرعية، المقرر قيمتها بستة آلاف دينار كويتي على ورثة المجني عليها، وهم والدتها، وشقيقاها، وزوج المجني عليها المتهم بقتلها خطأ.

أجابت اللجنة :

إن الدية تقسم قسمة الميراث، وحيث إن الزوج تسبب في قتل زوجته فهو ممنوع من الميراث شرعاً، وحيث إنه ظاهر في السؤال أن الورثة محصورون في الأم والأخوين الشقيقين، فيكون لـلأم السدس، والباقي للأخوين بالتسوية، فإن كان هناك ورثة غير هؤلاء فتقسم حسب الوجه الشرعي.

نسبة المولود لأبيه

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

أنا امرأة موجودة في الكويت منذ العام ١٩٨٢م، وبعد هذا التاريخ دخل زوجي إلى البلاد دون تأشيرة دخول رسمية، ومكث معي مدة شهرين، وأنا زوجته على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وخلال هذه الفترة حصل حمل وبعدها سافر، ثم وضعت مولودة، والآن انتهت خدماتي، وحجزت في الطائرة وأردت الحجز لطفلتي فمنعت من ذلك، ورفضت وزارة الصحة أعطائي إثباتاً بذلك على أن الطفلة ابنتي، ولا يوجد أحد من الذين مكثنا عندهم خلال الفترة الماضية يشهد لي بأن هذه الطفلة ابنتي لأنهم ممن لا يحملون إقامة صالحة.

أجابت اللجنة :

بما أن الولادة حصلت في الفترة الصالحة «شرعاً» لثبوت النسب حيث هناك زوجية سابقة قائمة.

لذا، فإن نسب هذه الطفلة ثابت من زوج هذه المرأة، ولا ينتفي نسب هذه الطفلة من أبيها، إلا إذا نفاه بنفسه شرعاً، وليس لأحد حق نفي هذا النسب سوى زوجها.

وقد نصحت اللجنة هذه الزوجة المذكورة بأن تقدم ما يدل على رضا زوجها بهذه الطفلة أنها ابنته، وأن تقدم ذلك للجهات الرسمية توكيداً لبراءتها.

حضانة الأم الزانية

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

هل تصلح من ثبت عليها الزنى بإقرارها أن تكون حاضنة لأولادها؟

أجابت اللجنة بما يلي :

المنصوص عليه شرعاً في جميع المذاهب أنه يشترط في الحاضنة أن تكون مأمونة في الدين، وتفسير الأمانة في الدين ألا تكون فاسقة، فإذا كانت الحاضنة فاسقة، فلا يحق لها شرعاً أن تمسك المحضون، سواء أكان ولدها أم لا، وتسقط حضانتها بالفسق لئلا ينشأ الصغير أو الصغيرة متأثراً بسلوكها، فالزانية لا تصلح أن تكون حاضنة.

صالونات التجميل... زينة المرأة وعورتها

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ما حكم استعمال «المكياج» للمرأة: طبعاً لغير زوجها، كالحمرة والبودرة وصبغ الأظفار، كذلك الذهاب إلى صالونات التجميل النسائية وقص الشعر؟

أجابت اللجنة :

أ - إن وضع مادة المناكير على الأظفار تمنع وصول الماء إلى الأظفار وبالتالي عدم صحة الوضوء والغُسل من الجنابة والعادة الشهرية حتى ولو وضعت على طهارة فإن حدوث الحدث الأكبر بعد وضع المناكير على الأظفار يمنع وصول الماء إلى جميع الجسم وبالتالي لا يصح الوضوء مع وجود الحائل كما تقدم.

ومثل ذلك يُقال في تصفيف الشعر فإن كان هناك ما يمنع من وصول الماء إلى أصول الشعر عند الاغتسال من الجنابة أو من العادة الشهرية، فإنه يكون محظوراً لأن تحت كل شعرة جنابة ولا عبرة بقول بعضهم إنه يكفي وضع المناكير أو تصفيف الشعر على طهارة.

ب - ثم إن تزين المرأة لزوجها لا غبار عليه، كما أن ظهورها على محارمها بالزينة الظاهرة التي تكون على الوجه أو اليدين والرأس وما يظهر غالباً لا بأس بها، وينبغي أن نعلم أن زوج الأخت ليس من المحارم، كما يظن بعض الناس لأن المحرَّم إنما هو الجمع بين الأختين ومثله زوج العمة والخالة.

وأما إظهار زينة المرأة لغير هؤلاء فهو محرّم لقوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) النور: ٣١.

ج - على أنه لو كان في كشف وجهها فتنة وجب أن تستر وجهها أيضاً، والإسلام يحرص على العرض حرصه على الأنفس، بل ربما أكبر لأن المرأة وعاء الولد وهي التي تحفظ الأنساب ففي تعريضها للفتنة ما فيه من الخطر على المجتمع الذي يريده الله أن يكون مجتمعاً طاهراً.

د - ولا شك أن الذهاب إلى صالونات التجميل فيه خطر كبير إذا كان الرجال هم الذين يقومون بتجميل النساء أو كان ذلك بحيث يرون جمالها، كما هو مشاهد في بعض الصالونات وكأن يُراد تجميل المرأة لغير زوجها أو لمن لا يباح لهم النظر إليها، ومن المعلوم أن التسريحة التي يُنفق عليها مال كثير تكون المرأة حريصة على بقائها أطول مدة مع وجوب الغسل عليها غالباً في هذه المدة، فإن كان ما يمنع من وصول الماء إلى جذور الشعر، فإنه يمنع صحة الغسل، وعندها لا تصح الصلاة.

سفر الزوجة بدون المحرم

عُرض على اللجنة السؤال التالي :

هل يجوز لزوجتي أن تسافر بمفردها من النرويج متوجهة إلى أهلها في المغرب؟ مع العلم بأن المسافة في الطائرة لن تستمر أكثر من عشر ساعات (أي من الصباح حتى المساء) وأنها لن تبيت إلا في بيت أهلها.

أجابت اللجنة :

إن المَحْرَمَ أو الزوج يشترط أحدهما للمرأة في حال السفر فقط «ولا يشترط وجوده في بلد إقامة المرأة» ومع ذلك إذا تعذر أو شق أن يصحبها في حال السفر زوج أو محرم وكان السفر مأموناً «كما هو الحال في السفر بالطائرة في رحلة مباشرة من بلدها الأصلي إلى بلد العمل أو بالعكس، مع عدم تعرضها للانفراد وذلك بأن يصحبها الزوج أو المحرم إلى مطار المغادرة، ويستقبلها أهلها أو أحد المحارم في مطار الوصول» ولا تزيد مدة السفر عن يوم وليلة، فإن سفرها في هذه الحال يكون مباحاً.

شرب ما اختلط بالكحول

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

مسؤول مصنع للمرطبات يقول: «وردت إلينا كمية من شراب «الأبرتن المركّز» وبما أن هذه المادة تستخلص من مادة الكحول، والتي تصلح بعد التصنيع النهائي للاستهلاك الآدمي حيث تكون خالية تماماً من الكحول. لذا نرجو التكرم بأخذ رأي الشرع بمدى صلاحية هذا الشراب هل يجوز شرعاً أم لا؟

أجابت اللجنة:

ليس للمسلم أن يتعامل مع الخمر في «أي طور من أطواره»، ولكن لو كان عنده عصير فتخمر بنفسه، ثم تخلل من غير أن يعمل فيه عملاً فإنه يطهر، ويكون خلا جائز الاستعمال، أما إن عمل فيه عملاً حتى صار خمراً فإن عمله به حرام، ولا يجوز استعماله والخل الناتج من العصير يكون طاهراً جائز الاستعمال، وهذا التفصيل بالنسبة إلى المسلم، حتى ولو عمل العصير غير المسلم وصار خلاً فإن الخل لا شك يكون حلالاً، وعلى هذا فإن هذه المادة وهي «الأبرتن المركز» إذا وصلت إلى درجة ليس فيها كحول فإنه يباح استعمالها.



سهام الأسحار

محمود علي عبد الرحمن

لئن كان لبعض الأحداث ذكريات في النفس تظل محفورة في الذاكرة لا تجرؤ الأيام ولا السنون على محوها مهما تقادمت، فتراها تطلُّ بين الفينة والأخرى كلما عبر المجال الفكري أو البصري أمثالها أو نظائرها، فإن لبعض الكلمات وقعاً ورنيناً - أيضاً - يثير شجون النفس ويحرك فيها الرواكد وربما انفتحت بها قلوب مغاليق.

ومن أقوى تلك الكلمات أثراً وأثراها معنى وأعظمها وقعاً ما كتبته السيدة نفيسة - رضي الله عنها - لأحمد بن طولون... كلمات ما وقعت على سمع ظالم إلا زلزلت أركانه وحطمت جبروته وأعادته إلى رشده وصوابه ما بقيت عنده مسكة من عقل وذرة من رحمة.

على رقعة كتبت : «ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار غير مخطئة ولاسيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم، ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»، فعدل الحاكم لوقته حين قرأها.

وعندما مر بخاطري حال إخوتنا المأسورين لدى بعض الأشقاء منذ بضع سنين، استوقفتني الكلمات بقوتها، فاستلهمت المعاني واستوعبت المباني فهالني ما تفيض به من قوة تعبير وعظم نذير فارتعدت فرائصي واقشعر بدني وخلت أنني معهم أرددها في الظلمتين ظلمة الليل وظلمة السجن وظلمه، وما بينها وبين الله حجاب، فأيقنت أنها مجابة لا محالة.

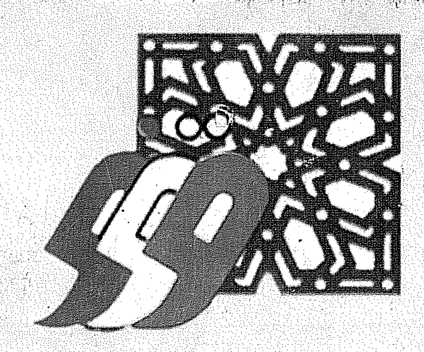
إنها كلمات تكسو القلب طمأنينة، وتضفي على النفس سكينة، وتعيد صبراً مفقوداً وحلماً معهوداً، وتجدد أملاً معقوداً، فتقرُّ بها الأعين وتسمو الأرواح وتهون معها الغربة والفرقة.

ثم ساءلتني نفسي؟ ... أليسوا رجالاً؟ أشجاعة تداني شجاعتهم، ألم تر كيف ضربوا لنا الأمثال في التضحية والإيثار؟ وهل أتاك صنيعهم حين الغدر؟ إنهم قاوموا وصمدوا ما وهنوا وما استكانوا وما ولوا الأدبار حين قصرت الأعنّة واستجرت الأسنة، وتنازل الأقران، وتكافح الأبطال، وأقبلت الآجال تفترس الآمال.

أما الأهل والعشيرة فلهم حقاً أن يفخروا، فمن أصلابهم أنجبوا هؤلاء الرجال الأفذاذ، فطوبى لهم ونصر قريب وعود بإذنه تعالى حميد، ولله در البحتري حين قال :

وما هذه الأيام إلا منازلُ
فمن منزل رحب إلى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وإنما
صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبكِ
أما في رسول الله يوسف أسوة
لمثلك محبوساً على الظلم والإفكِ
أقام جميل الصبر في الحبس برهة
فآل به الصبر الجميل إلى الملكِ


بسم الله الرحمن الرحيم
وما لنا ألا نتوكل
على الله وقد هدانا
سبلنا ولنصبرن على
ما آذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون
صدق الله العظيم
الآية ١٢ سورة ابراهيم



الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلا

السهم الوقفي

بقيمة ١٠

د.ك

- بـ ١٠ د. ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

« رواه مسلم »

السهم الوقفي

صدقة جارية... لخدمة الدين والوطن

للاستفسار :

رقم : (٨٠٠٨-٢٤١) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع

بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)